

في كل مقالة لذة دائمة

المسابقة [illegible] ١
[illegible] على قارعة الطريق [illegible] ٤
[illegible] الحركة في الخارجية الأمريكية [illegible] ٨
قال [illegible] ١٣
علموا أولادكم الحياة [illegible] ١٨
كيف [illegible] ٢١
عشرة رجال [illegible] ٢٥
الشخصيات التي لا [illegible] ٢٩
كيف [illegible] الفرنسيون [illegible] ٣٣
[illegible] في العقاقير الكيميائية [illegible]
[illegible] ٤٦
[illegible]
[illegible]
أصدق صديق للإنسان [illegible]
[illegible] الحرب [illegible] ٦٤
[illegible] في بريطانيا [illegible] ٦٨
[illegible] ٧٢
القاذفة [illegible] ٧٦
[illegible]
[illegible] ٨٣
[illegible]
[illegible]
[illegible] أمريكا [illegible] ٩٧

مايو ١٩٤٥

يوزع من مجلة ريدرز دايجست اثنا عشر مليون نسخة تطبع فى خمس لغات. إن الطبعات الانجليزية تصدر فى الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا ومصر والصين واستراليا والهند. والطبعة الأسبانية تباع فى ثمانية عشر بلداً من البلدان المتكلمة باللغة الأسبانية فى أمريكا اللاتينية. والطبعة البرتغالية تباع فى البرازيل والبرتغال. والسويدية فى السويد. وهذا هو العددُ الواحد والعشرون (التاسع من السنة الثانية) من الطبعة العربية. وقد وُزِّعت نسخهُ فى مصر وفلسطين وسوريا ولبنان وشرق الأردن والعراق والمملكة العربية السعودية واليمن وسائر الجزيرة. ويرجو المحررون أن تنال هذه المجلة رضاك. ويَسرُّهم أن يتلقوا ما يبدو لك من ملاحظة أو نقد أو اقتراح بتحسينها وإتقانها.

READER'S DIGEST

(Reg. U.S. Pat. Off. Marca Registrata)

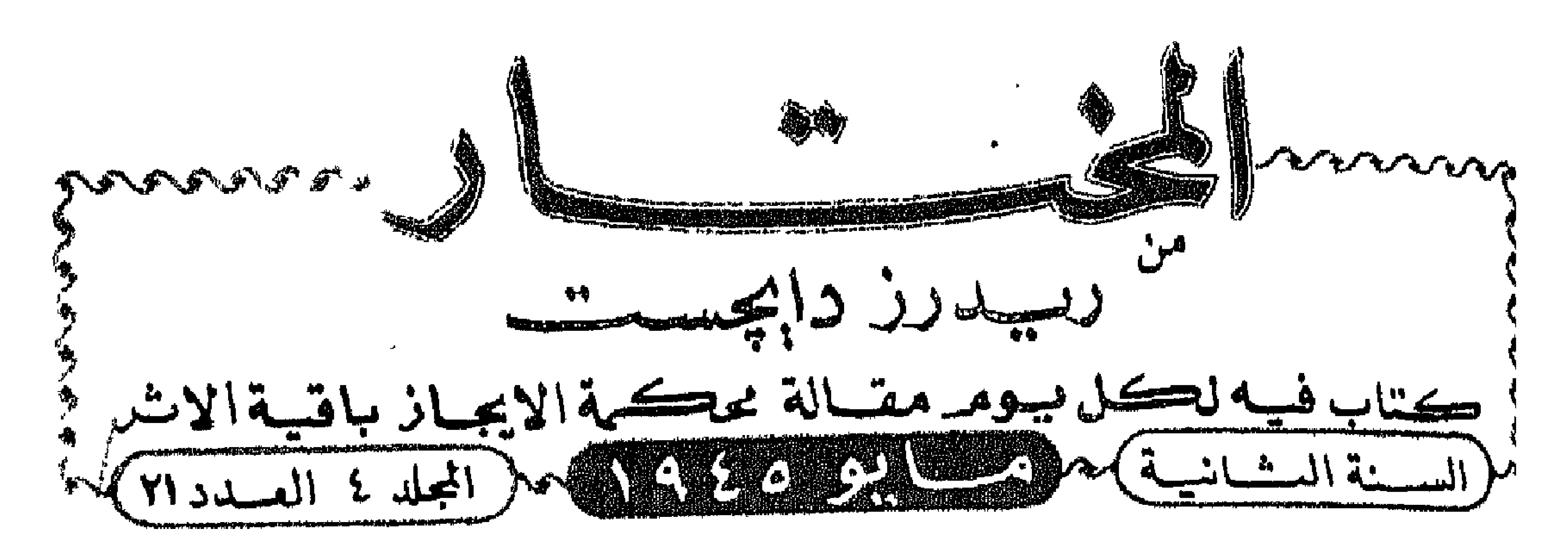
تصدر شهرياً فى بليزانتفيل، نيويورك، بالولايات المتحدة الأمريكية — وتصدر طبعات انجليزية، وأسبانية، وبرتغالية، وسويدية، وعربيــة — وتصدر دار الطباعة الأمريكية للعميان بلويزفيل كنتكى طبعتين للعميان إحداهما طبعة «براى» وأخرى على «أقراص مسجلة».

الطبعة العربية: — التحرير والإدارة: ١٦ — شارع شامبليون بالقاهرة. تليفون: ٥٠٨٩٣

مصر والسودان — ثمن النسخة ٣ قروش صاغ — قيمة الاشتراك السنوى ٣٠ قرشاً صاغاً

فلسطين وشرق الأردن ٣٥ ملاً — العراق ٣٥ فلساً — سوريا ولبنان ٣٥ قرشاً

الاشتراك السنوى ما يعدل ٤٠ قرشاً مصرياً



النهاية

[أديب ألمانيا العظيم المنفى ، يعى الشر الذى أصاب النفس الألمانية]

توماس مان * حائز جائزة نوبل الأدبية * مختصرة عن مجلة « فرى وورلد »

أصبحت خاتمة أبغض وحش فى عصرنا — الإشتراكية الوطنية — على وشك الوقوع . ولو أن غصصها كانت مقصورة عليها ، ولم تكن فى الوقت ذاته غصص أمة منكودة الحظ تشرق اليوم من جراء ثـقْـلة خمارها ، لوسعنا أن نتأمل النكبة بارتياح هادئ إلى ما هو حق ولازم .

ومن المستحيل أن تطالب أمم أوربا والعالم المنكوبة أن ترسم خطاً واضحاً فاصلا بين النازية والشعب الألمانى . وقد عانى العالم خمسة أعوام من الحرب مفعمة بالآلام والتضحيات ، وهى حرب كانت ألمانيا هى التى أطلقتها ، وقد واجه خصوم ألمانيا من أول يوم منها حذق ألمانيا وبسالتها وذكاءها ونظامها ومقدرتها الحربية ، أو بإيجاز ، قوة الأمة التى أيـّدت كلها النظام النازى وخاضت معاركه . ولم يواجهوا هتلر وهملر اللذين ما كانا يعدان شيئاً لولا أن الشباب الألمانى بيأسه وولائه الأعمى كان يقاتل ويموت ببسالة مضللة فى سبيل هؤلاء المجرمين .

وما من أحد يسعه أن ينكر أن « اليقظة الوطنية » فى سنة ١٩٣٣ كانت تنطوى على القوة الخفية لثورة حقيقية صادقة ، ولكن الخيبة واللعنة كانتا مسطورتين على معارف وجهها . وقد كتبت حينئذ فى يومیتى : « إن الثورات العظيمة تجتذب فى العادة عطف العالم وإعجابه بسماحتها وأريحيتها ، ولكن ما خطب هذه الثورة « الألمانية » التى تعزل ألمانيا ولا تبذر حولها سوى المقت الذى لا ينطوى على إدراك ؟ إنها تباهى بأنها لم تهرق دماءً ، وهى مع ذلك أشد الحركات ضغينة وطلبا للانتقام وأظمأها إلى الدم . وقوام شخصيتها البغضاء والحنق والانتقام والخسة . وكان يسعها أن تكون أكثر

سفاكا للدماء ، وأن تفوز مع ذلك بإعجاب العالم ، لو أنها كانت فى الوقت نفسه أسمى وأضوأ وأنبل . وقد كتب على الألمان أن يحدثوا ثورة ذات صبغة لم تعهد من قبل — ثورة مناهضة للفكر والحرية والحق والعدل ، ولم يسبق لهذا نظير فى التاريخ . وقد صحب هذا كله ابتهاج عظيم من الجماهير التى تعتقد أنها أدركت مأربها ، والحقيقة أنها إنما خدعت بالمكر السيء المجنون » .

ولن أكتم ما عرفته يومئذ — وإن كنت بذلك أبدو كأنى أنكر تبعة الألمان — وأعنى السرعة التى فشت بها الشكوك وانتسخ بها الوهم فى طول البلاد وعرضها ، والسرعة التى انقلب بها زعم الحكام انهم هم والأمة شيء واحد ، أسطورة وقحة . فقد رأيت الأمة تقع فى فخ لا يسعها أن تنجو منه بعد الآن عناداً منها وضعفا .

وقد كتبت لنفسى دون غيرى : « إن الاقتناع يخامرنى بأن الشعب على الجملة ممتلىء برعب عميق من حكامه ومن المأزق الذى سيق إليه . وقلة المبالاة والتسليم والقنوط ، — لا الإيمان والحماسة — هى التى « تحمل » هذا النظام وتعززه . والترقب المستخذى والانتظار سائدان . وأخلق بالناس أن يتنفسوا الصعداء كأنما تخلصوا من كابوس إذا انقشعت هذه الغمة » .

هذا ما كتبته ولست أستطيع أن أنكره . وكان الذى رأيته يومئذ هو أن شعباً يحمل بالسياط على حماسة وطنية ثورية كاذبة ، غير أنه مع ذلك شعب مكتئب يخاف شرور المستقبل ، ويستسلم للقضاء غير عابىء ، شعب يرى أنه قد أقحم فى مغامرة مشكوك فيها دون أن تتاح له أضأل فرصة للمقاومة .

وما لبث ما سميته « حرب انتقام داخلية » أن تطور إلى حالة حرب مع العالم ، حرب مصطنعة أرثتها العزلة اليائسة والوهم الذى يغذّى بعناية ، بأن الشعب الألمانى هو بطل الحق ، وأن كل ما فى العالم من شر قد اجتمع ضد بلد يستطيع أن يجىء بالخلاص . ولكن كل حالة حرب ، حقيقية أو مزعومة ، تدانى ما بين الشعب وحكومته ، ويدمج خطرها الأمة فى النظام القائم .

ثم جاءت الحرب الحقيقية وبذل الألمان خير ما فى وسعهم ، وشره أيضاً ، وارتكبت فظائع يرتجف لها قلب الإنسانية ، فظائع لا تنسى ولا يكفر عنها شىء . وقد أبوا ما استطاعوا ان يدركوا أنهم خسروا الحرب ، فلما أدركوا ذلك أخيراً أحل التعصب المغروس وروح الكمد حيال الدمار ، محلّ ما ضاع من الإيمان بالنصر .

وكان من المشاهد الفظيعة أن نرى أمة بأسرها تهجم على الجحيم بعيون مفتوحة ،

وأخفقت إخفاقاً زريّاً محاولات شتى للتخلص وزحزحة النظام القائم عن مكانه ، وإنقاذ ما يمكن إنقاذه من الجوهر والمستقبل . ولم يسبق أن نكبت أمة بأقسى من هؤلاء الحكام والسادة الذين أصروا فى غير شفقة على أن تهلك الأمة معهم .

ويوشك أن تقع الكارثة القوميـــة التى كان يحملها النظام فى أحناء صدره . وقد ظللنا ننتظرها اثنتى عشرة سنة ، نحن الألمان المنفيين ، بمزيج من الاستهوال والأمل . نعم تمنيناها — فى سبيل الأخـــلاق ، وبباعث من البغضاء الصادقة ، والرغبـــة فى عقاب الشر السخيف . والآن وقد جاء الانهيار — إفلاس أخـــلاقي ، روحى ، عسكرى ، اقتصادى ، شامل معـــدوم النظير — فإن ما يدركنا من المرثية لكل هـــذا التاريخ الغاوى ، وكل هذا الحمق والنزق ، وكل هذا التحدى للمطالب الحقيقية للعالم الحاضر ، يعادل ما نشعر به من الرضى والارتياح . فإن كل ما هو ألمانى قد صـــار فى خطر ، وفى جملة ذلك الروح الألمـــانى ، والفكر الألمانى، والكلمة الألمانية . ونحن مضطرون أن نواجه هـــذه المسألة وهى : هل تجرؤ « ألمانيا » أن تفتح فى المستقبل شفتيها فى شأن من الشئون الإنسانية ؟

وكيف يكون الشعور بأن الإنسان ينتمى إلى أمة لم تعرف قط كيف تصبح أمة ، وكبدت العالم مثل هـــذا العذاب كله فى محاولاتها المستيئسة المخبولة أن تصبح أمة ! وكيف ترى سيكون معنى أن الواحد منا كاتب ألمانى ؟ لأن وراء كل جملة نؤلفها فى لغتنا أمة محطمة محترقة روحيا ، متحيرة فى نفسها وفى تاريخها . أمة ، إذا صح ما يقال ، تقنط من أن تحكم نفسها يوماً ما ، وتؤثر أن تصبح مستعمرة ، أمة سيكون عليها أن تحيا فى سجن منفرد لأن ما تكدس من البغض الرهيب حولها لن يأذن لها فى مجاوزة حدودها ، أمة لن تستطيع أن تكشف عن وجهها مرة أخرى .

وثم شئ واحد محقق ، فلابد من أن ينقضى الريخ ذو الروح الحربى الذى لم يفهم قط معنى كلمة «الحرية» ، والذى لم يفهم من معنى للحرية إلا حقه فى استعباد غيره . إن آلة الحرب التى تسمى ألمانيا كانت لعنة على العـــالم حتى أن أى تدبير للقضاء عليها من حيث هى نزعة عقلية ، لا يمكن أن يستنكر . ويبقى الأمل فى أنه بمعونة الإرادة الألمانية التى نقـــاها العذاب القاسى ، قد يستطاع إيجاد نوع من الحكومة والحيـــاة للشعب الألمـــانى يشجع إنمـــاء خير مواهبه وقواه ، ويربيه بحيث يصبح عاملا صادقاً يعاون على الوصول إلى مستقبل للانسانية أضوأ وأبهى .

كنز على قارعة الطريق

إن تجربة رسل نيكول تهيء الفرص لكثيرين ممن يريدون أن يعملوا لأنفسهم



فرانك ج. تايلور • ملخصة عن مجلة "ستر"

يقول رسل نيكول إن رجلا « له خيال وولع بالعمل وله أسرة تعاونه » يستطيع أن يهيء لنفسه كنزاً على قارعة الطريق فى أية بقعة تقريباً من الولايات المتحدة . وعند نيكول الخبر اليقين ، فقد بدأ فى سنة ١٩٢٨ بخمسمئة ريال اقترضها ، وبلغ دخله فى سنة ١٩٤٤ من المتجر الذى افتتحه على قارعة الطريق ، بالقرب من ترمال بكاليفورنيا ، أكثر من ١٥٠,٠٠٠ ريال . وتخصص نيكول فى بيع أهم محصول فى الجهة ، وهو البلح ومنتجاته .

ويقول نيكول : « كان فى وسعى أن أفعل ذلك فى جهات أخرى فى تجارة النقل أو اللحم أو السمك أو الجبن أو آنية الخزف أو المنسوجات أو أية منتجات محلية أخرى ، لها من المزية ما يجعل الناس يتحدثون عنها . وقلما تجد جهة من هذه البلاد لا تنتج شيئاً يكون خيراً مما تجده فى أية جهة أخرى » .

كان رسل نيكول ودوداً هادىء الحديث، وقد سرح من الجيش سنة ١٩١٩ فعاد إلى وادى كوتشيلا واشتغل سنين يسوق الجرارات للمزارعين ، وفى عام ١٩٢٨ استقر رأيه على أن يبيع بلحاً ، فكانت له قطعة من الأرض على طريق عام ، وكوخ خشبي وضع عليه لوحة كتب عليها « بلح بالجملة والتجزئة » وهيأ كل شيء — إلا البلح — فلم يكن لديه مال يشتريه به .

ودعا نيكول ه . ا . وسترفيلد صاحب بنك كوتشيلا الأهلى أن يصحبه فى سيارته إلى الطريق العام حيث أقام متجره فى منعرج منه ، وبين له أن راكبي السيارات القادمين من كلتا ناحيتى الطريق لا بد لهم أن يروا لوحته . وكان لصدق لهجة نيكول أثرها فى صاحب المصرف فأقرضه ٥٠٠ ريال . وظل نيكول يسوق الجرارات ليلا ويغفى مع أواخر الليل غفوة ، ويبيع البلح فى النهار . وكانت زوجه وابنته تساعدانه فى المتجر ، وبلغ مقدار دخله فى تلك السنة ٣,٥٠٠ ريال سدد دينه منها وفرغ لبيع البلح .

وحدث بعد ذلك أن أعاد المهندسون تخطيط الطريق العام فقوموا المنحنى ، وأصبح حانوت البلح بعيداً بحيث لا يجتذب

راكبي السيارات ، فلم يفتّ ذلك فى عضد نيكول، وابتاع قطعة أرض جيدة على الطريق العام ثم جمع أخشاب الجسر القديم وعمد التلفون وأقام منها بناء غاية فى الرواء ، صار الفنانون يقصدونه من كل فج عميق ليصوروه أو يرسموه . ورغبة فى تجميل البقعة الجديدة نقل نيكول إليها أربعين نخلة كبيرة من حديقة قريبة أضفت على متجر ڤاليرى جين — وهو اسم ابنته الصغيرة أطلقه على متجره — سحر واحة من واحات الجزيرة ، ومنذ ذلك الحين ازدهرت تجارته.

ويقول نيكول : « إنك فى هذه التجارة لا تبيع منتجاتك فحسب ، بل تبيع خيالا وفتنة وسحراً » .

ولقد تعلم نيكول هذا الدرس عندما بدأ يجرب صنع أكياس للبلح ، وكان يباع إلى ذلك الحين فى صناديق من الورق القوى ، فوضعه نيكول فى أكياس من الورق الشفاف حتى يتيسر للمشترين أن يروا ما بها . وكان يبيعه أيضاً فى آنية صغيرة مزخرفة ، وفى صناديق من خشب أشجار كاليفورنيا .

وذات يوم حدّث نيكول زائراً له حديثاً طريفاً عن زراعة البلح ، وكيف كان لا ينمو فى الولايات المتحدة إلا فى حدائق نظم ريها فى وادى كوتشيلا ، وهى صحراء محرقة تحت مستوى سطح البحر يندر سقوط الأمطار فيها ، وكيف نقّبوا فى واحات مصر والعراق وبلاد العرب للحصول على أجود الأصناف لإقامة هذه الصناعة الأمريكية الناشئة ، وكيف تولد نوع النخيل المعروف باسم « دجلة نور » — ومنه محصول الوادى الأوّل — من فسائل منقولة من نخلة واحدة نبتت من نواة واحدة . وكيف يجمع زراع البلح فى تلك الجهة المحصول باحة بلحة كلما نضجت بدلا من الطريقة التى يستعملها العرب إذ يقطعون العرجون بأكمله ، ويكبسون البلح الناضج وغير الناضج معاً .

فلما فرغ نيكول من حديثه طلب زائره المفتون ما قيمته ألف ريال من أجود أصناف البلح ليجعلها هدايا فى عيد الميلاد . وأردف قائلا : « ولكننى أريد قصتك مع البلح » ، فطبع نيكول كراسات صغيرة ضمنها قصته وأودعها صناديق البلح .

ويقول نيكول : « وقد علمنى ذلك درساً آخر فى أساليب البيع على الطريق ، فإنه ينبغى أن لا تقتصر على بيع خير منتجات الجهة فحسب بل أن تبيع معها قصة هذه المنتجات أيضاً » .

ولم تفت نيكول بعد ذلك فرصة يضفى بها السحر على منتجاته ، ويضيف إليها أنواعا

جديدة . فقد علم من قراءاته عن البلح أن عرب الصحراء يعيشون على التمر ولبن النوق لا غير ، فجعل يقوم بتجارب أفضت به إلى صنع شراب لذيذ من البلح واللبن . وقد أنقذ هذا الشراب تجارته من البوار عندما قيدت الحرب السفر بالسيارات ، فقد كان الجنود المرابطون فى معسكر قريب للتدريب يستهلكون منه مئات .

ومنذ زمن غير بعيد وقف مسافر على دكانه وطلب شراب البلح واللبن ، وجعل يتجرعه مستطيباً ثم طلب آخر وقال : «أتعرف أين سمعت بهذا الشراب أول مرة ؟» كان راكباً قطاراً فى سيبيريا فلقى أمريكيا آخر ودار بينهما الحديث عن أطايب المأكولات فى الولايات المتحدة . وأطنب الرجل الآخر فى وصف شراب البلح واللبن ، حتى تشوف زائر نيكول إلى تذوقه فى أول فرصة تسنح .

ويعلق نيكول على ذلك بقوله : « إن هذا هو ما أعنى حين أقول إنه ينبغى أن تقدم للناس شيئاً له من المزيّة ما يجعلهم يتحدثون عنه » .

وقد ذكرت له سيدة من السائقات أنها صنعت فطيراً من البلح ، فعقد نيكول مسابقة فى خبز الفطائر انجلت عن فطيرة بلح يقوم نيكول الآن بصنعها ويصنع منها ٢٥٫٠٠٠ رطلا لمواجهة طلبات عيد الميلاد ، و ٤٠٫٠٠٠ رطلا فى السنة . وفى أثناء تجاربه فى صناعة شراب اللبن ابتدع طريقة لتحويل البلح إلى معجون ، ويبيعه باسم زبدة البلح ، وهو يستعمل كالزبد يبسط على الخبز أو لتحلية الفطائر وغيرها .

ولقد أكد له تجار البلح الآخرون أن الناس لن يشتروا بلحاً فى الجو الحار لأن البلح حلو جدا ، فبرد نيكول الصناديق التى يعرض فيها بضاعته ، وأقبل الناس على فاكهته المثلوجة . ثم أدخل فى متجره نظام تكييف الهواء مما جعل الزوار يطيلون مكثهم ، ويطلبون مزيداً من البلح .

وكان نيكول منذ أول الأمر يحتفظ بسجل للزوار ، فساعده ذلك عندما نقص عدد المسافرين بالسيارات ، فكتب إلى آلاف من زبائنه القدماء يسألهم : هل يريدون شيئاً من البلح يبعث بالبريد ؟ فانهالت عليه الطلبات ، واضطر فى السنة الماضية إلى استخدام عشرين عاملا لمواجهة هذه الطلبات فى زمن المحصول .

ولقد أحال خيال رس نيكول الواسع عدداً من محاصيل الجهة النافعة إلى تجارة رائجة : فهذا « التابرزال » وهو بلح فى حجم البرقوق له قلب لذيذ الطعم ، بيد أن قشرته كانت من الرقة بحيث لا يصلح للبيع

النظم ، وقد صرف أحد الزراع ثلاثين عاماً فى زراعة ستة أفدنة من هذا الصنف ولكنه لم يجد لمحصوله سوقا رائجة . فوضع نيكول هذا البلح الناعم الحلو المذاق فى صناديق مزخرفة وبين عشية وضحاها أصبح « التابرزال » فاكهة ممتازة .

وكان النخيل الذى يظلل الواحة التى أقامها يغل نوعا طريا من البلح لا يستحق الجنى ، ولكن نيكول يجنى منه الآن ٥٠٠٠ رطل فى السنة ، ولا يجد خيراً منه فى صناعة شراب اللبن وفطير البلح .

ويطيب لنيكول أن يشيد بذكر منتجات تجار الطريق الآخرين ، ومما قاله : « إن فى « فوتهيل بوليفار » تاجراً لديه عربتان قديمتان للتبريد يجلب إليهما تفاح الجبل اللذيذ ويبيعه مثلوجاً . وأعرف رجلا افتتح محلا تحت ظلال دوحة من أشجار الجوز وتخصص فى بيع أنواع النقل وأصبح محله الآن من أشد المحلات ازدحاما بالآكلين . وثمة رجل آخر تخصص فى بيع أنواع الثمار وراجت بضاعته . وإنى أبعث بانتظام بطلبات إلى رجل تخصص فى صناعة الجبن ، وإلى آخر فى ماساشوستس للأسماك . وهناك رجل فى سيارا نيفادا يبيع العسل البرى رطلا بريال . وليس ثمة نهاية لمنتجات هذه البلاد وبخاصة المأكولات التى يمكن استثمارها بشىء من الخيال مقرونا بالصدق والأمانة .

« وحكومة الولايات المتحدة مستعدة لأن تضمن — إلى ألفى ريال — نصف أية سلفة تمنح لقدماء الجنود الذين يؤسسون لأنفسهم تجارات . ولو أننى كنت شابا أبدأ بدءاً جديداً لما توانيت لحظة فى اقتناص إحدى تلك الفرص على قارعة الطريق » .

تعليق لاذع

انصرف محام فى نيويورك عن ممارسة المحاماة فى مكتب يدرّ عليه مالاً وفيراً ، ليشغل منصب قاض فى المحكمة العليا ، فقال له غنى من أعضاء ناديه : « لست أدرى كيف تدع عملك وتقبل مرتب قاض فى المحكمة العليا ؟ إنى لأنفق ضعف هذا المبلغ لأقيم به أوَد حياتى » . فقال القاضى : « لو كنت مكانك لما أنفقته ، إنها لا تسواه » .

[وطسون ب . برى]

ستيتنيوس : القوة المحركة في وزارة الخارجية الأمريكية

بوب كونسيدين
مراسل شركة الأنباء الدولية

ملخصة عن
صحيفة « وشنطن بوست »



إدوارد رايلى ستيتنيوس ، أصغر وزراء خارجية الولايات المتحدة سنا ، منذ كان إدمنـد راندولف وزير خارجية جورج وشنطن ، هو أكثر الأسماء تردداً على الألسنة فى وشنطن . وقد كان يعدّ حين خلف كوردل هل ، رئيساً وسيما لطيف المعشر لا سلطان له — رجلاً فخماً لا يحسن إلا الموافقة . ولـكن هذا الكهل الأبيض الشعر ، الأسود الحاجبين الذى لم يتجاوز الرابعة والأربعين ، والذى كان رئيساً لشركة « يونيتد ستيتس ستيل » ، استطاع فى الفترة التى قضاها فى منصبه ، أن يهز وزارة الخارجيـة التى كان الجمود سنّتها المتقادمة ، أعظم هزة أصابتها منذ مئة عام ، وأنذر هيئـة السلك السياسى المتشدّدة فى وشنطن بأن سوف يختصر كثيراً من المراسم ، ويبطل أسباب البطء فى سير الأعمال .

وهو ينظر إلى العالم نظرة الشباب ، ويؤمن بأن الدبلوماسيين ورجال التمثيل الخارجى يجب أن يدربوا كما يدرب طلبة المدارس البحرية والحربية . وقد اعتزم أن يجند الشباب لوزارته حتى تقوم مثل هذه المدرسة ، وأن يستعجل نهاية عصبة الأمم لكى يفسح المجال لهيئة أقوى منها ، هى الهيئة التى اتفقت عليها الأمم المتحدة فى اجتماعات دمبرتون أوكس (*)

إنه يعتقد أن العالم يستطيع أن يعيش فى سلام ، إنْ هو أخذ بالحزم أول أمة تسلك طريق العسف (فيكون الضغط سياسيًّا فى البدء ، ثم دبلوماسياً ، ثم تطبق العقوبات الاقتصادية ، ثم بالقوة أخيراً) . وهو على

---

* « معنى مشروع السلام الذى صيغ فى دمبرتون أوكس » . إدوارد ر . ستيتنيوس ، المختار مارس سنة ١٩٤٥ صفحة ١

يقين من أنه إذا توفر للشعوب الغنية من الشجاعة والمروءة ما يحملها على بذل العون للشعوب الفقيرة ، استطاعت أن تستأصل شأفة السبب الحقيقي للحروب . وهو يرى أن من حق الشعب الأمريكي أن يعلم تماماً ما تنويه وزارة الخارجية وما تعمله . فإذا ما قضى على هذه الفوضى الحاضرة ، نفض يده من عمل الحكومة ، ليتولى عملا آخر .

وما يرجى من نجاحه فى تحقيق هذا الهدف الأخير أقل مما يرجى فى تحقيق أهدافه الأخرى . فإن أمامه أعمالا كثيرة سوف تستغرق منه زمناً طويلا بعد أن تضع الحرب أوزارها ، ولكن ما طبع عليه من الإخلاص والحماسة يسرع به إلى العمل إذا ما سئل العون .

وستيتنيوس مزيج عجيب من رجل الأعمال ورجل الخدمة الاجتماعية العالمية ـ فهو من الناحيتين البدنية والعقلية على نقيض ما ألف الناس أن يكون وزير الخارجية ، شيخاً وقوراً . ولعل أكبر تهمة وجهت إليه ، هى ريبة حامت حول احتمال مظاهرته لحى المال « وول ستريت » والشركات الكبيرة . وقد قال لى فى هذا الصدد : «حين جئت وشنطن أدركت مبلغ ما أتعرض له من خطر ، لما كان لى من صلة سابقة بشركة يونيتد ستيتس ستيل وشركة جنرال موتورز ، فبادرت واستقلت ، وحولت جميع أسهمى إلى سندات الحكومة . وقطعت كل صلة لى بالأعمال المالية والتجارية » .

وهو يتقاضى الآن ١٥ ألف ريال كل سنة وزيراً للخارجية ، يقابلها ١٠٠ ألف ريال كل سنة كان يتقاضاها رئيساً لشركة يونيتد ستيتس ستيل .

من أعظم الأوهام الشائعة عن ستيتنيوس أن ثروة أبيه ساقت إليه منصباً كبيراً بعد منصب . وقد كان والده يتيما نشأ فى مدرسة لليسوعيين بمدينة سانت لويس ، ثم صار أحد شركاء مورجان ، فلما صار وكيل وزارة الحربية فى الحرب الماضية أرهق نفسه بالعمل . وأما الفتى ستيتنيوس فقد بدأ سيرته التى أصاب فيها النجاح المبكر الباهر ، بفضل « جون لى برات » أحد وكلاء شركة جنرال موتورز ، وخريج جامعة فرجنيا التى تلقى فيها ستيتنيوس العلم .

وقد كان ستيتنيوس نسيج وحده فى الجامعة ، فكان عزوفاً عن الخمر والتدخين والألعاب الرياضية ، ولكنه عنى بإنشاء مكتب للبحث عن أعمال فى بلدة « شارلوتزفيل » للطلبة الفقراء . ولم يكن مع ذلك غير حبيب إلى سائر الطلبة كما قد يظن ، فإنه كان بسّاماً حلو المعشر على الدوام . وقد حببته الجامعة برغمها تقديرها له .

وحين برحها فى سنة ١٩٢٤ دون أن يظفر بإجازتها (لأنه مرض فى السنة الأخيرة) سردت مجلة « أخبار المتخرجين » أعماله النافعة ، وختمت ذلك بأنه ، أيًّا ماكان ، لم يكن فتى يعاب ، إلاّ أنه لم يكن مثالا طلاب الكليات .

وكان قد عزم على أن يكون قسيساً ، ولـكن برات فجأه فعرض عليـه منصباً فى شركة جنرال موتورز فعدل عن رأيه . وقال له برات : « يبدو أن لك كثيراً من الآراء الطريفة فى حقوق الناس . فأجل نظرك فيما حولك وقل لى ، أفى وسعنا أن نبذل لأمتنا جهداً أكبر مما نبذل ؟ »

وقد قضى هـذا الشاب ثلاث سنوات موظفاً فى مخازن مصانع « هيات » لكرات المحاور ، وهى مصانع تابعة لشركة جنرال موتورز ، وكان مرتبه أحد عشر قرشاً فى الساعة ، وكان عاملا دؤوباً ، فعلم شيئاً كثيراً عن حياة العامل . وفى سنة ١٩٢٦ عينه برات مساعداً خاصاً له فوضع مشروع تأمين للجماعـة ، يشمل موظفى جنرال موتورز الذين يبلغ عددهم ربع مليون ، ويصل مبلغ تأمينهم إلى ٤٥٠ مليون ريال . وقد أنشأ عيادات طبية للموظفين ، وعنى بتنظيف المخازن وحجر الغسل ، وشرع فى تنفيذ خطة جديدة فى الإعلان ذاعت الآن .

وفى سنة ١٩٣١ عين وكيلا للشركة وعهد إليه بشئون العلاقات الصناعية والعامة .

وكانت الولايات المتحدة قد آدها ثقـل الأزمة الاقتصادية فى سـنة ١٩٣٢ ، يوم تطوع ستيتنيوس للعمل فى تنفيذ مشروع « المساهمة فى العمـل » بنيويورك . وكان المشروع مفتقراً إلى تأييد روزفلت حاكم الولاية ، فاختير لـكى يظفر بهذا التأييد فاستعار سيارة « كاديلاك » فاخرة من حجرة العرض فى شركة جنرال موتورز وانطلق بها إلى دار روزفلت فى هايد بارك حيث كان روزفلت ووالدته يشربان الشاى ، فدعت مسز روزفلت ذلك الشاب المضطرب إلى الشاى ، فوقع القدح من يده وتحطم ، ولـكنه ظفر بالتأييد المنشود .

أمضى ستيتنيوس عاما فى خدمة مشروع الحـكومة للإنعـاش الاقتصادى ، ثم ضمه صديقه ميرون تايلور إلى شركة يونتد ستيتس ستيل ، فساهم فى إعادة تنظيم هذه الإمبراطورية الواسعة . ولما اعتزل ميرون تايلور عمـله ، انتخب هو رئيساً لمجلس الإدارة ، فامتعض من كانوا أكبر منـه . وكان عمره إذ ذاك ٣٨ سنة ، فكان الأعضاء الشيوخ يعدونه ناشئا حديث التجربة . ألم يصـل إلى اتفاق مع العمال ؟ ألم ينجح فى معارضة خفض الأجور تمشـياً مع هبوط

أسعار الصلب ؟ أجل . ومن هنا أخذ روزفلت ذو الذاكرة القوية يستخبر عنه . وتبع ذلك أن تولى العمل فى مجلس الدفاع الوطنى ، ومكتب إدارة الإنتاج ، ثم صار رئيساً لمجلس الموارد الحربية ، فمديراً للإعارة والتأجير .

وحين كان مدير الإعارة والتأجير عهد إليه بتوزيع بضاعة قيمتها ١٥ ألف مليون ريال ، « ولكنه كان حريصاً حرصاً كالتقتير » ، كما قال أحد رجال وزارة الخارجية ، ثم زاد على ذلك : « لقد كان يستوثق دائماً من أن ما يريده الحلفاء كانوا فى حاجة إليه كل الحاجة ، ولا يجدون سبيلا إلى أن يصنعوه لأنفسهم » .

وقد ولى ستيتنيوس وكيلا لوزير الخارجية فى سبتمبر سنة ١٩٤٣ ، فجاءها بعد أن صقلته تجاربه فى أهم ضرب من ضروب العلاقات الدولية . وقد وفق فى عمله مع كوردل هل ، الذى حمله ضعف صحته على إلقاء العبء شيئاً فشيئاً على عاتق مساعد قوى يحمل ما حمّل ، وفى ٢٧ نوفمبر الماضى أنبأه الرئيس أنه قد اختاره خليفة هل .

ولم يضيع الوزير الجديد شيئاً من وقته ، فلم يكد يفرغ من نقل النبأ إلى زوجته الجميلة بالتلفون ، حتى دعا رؤساء الإدارات فى الوزارة إلى اجتماع عاجل ، وبدأ لساعته يعيد تنظيم الوزارة . ولما دخل إلى مكتب وزير الخارجية ، لم تلبث الغرفة أن أخليت من مكتب هل الثقيل العتيق ، والأثاث المكدس ، وخزانة الكتب الزجاجية الوجه الحافلة بمحاضر مفاوضاته فى التعريفة الجمركية ، ومطبوعات هيئة جامعة الشعوب الأمريكية . ثم دخل النقاشون يطلون الغرفة ، ثم حمل إليها أثاث جديد ومنضدة طويلة بسيطة يتخذها ستيتنيوس مكتباً ، وجئ بجهازى تلفون ، أحدهما أسود للمخاطبات المعتادة ، والآخر أبيض متصل بلوحة التلفون فى البيت الأبيض .

ثم خفّ ستيتنيوس لزيارة مستر هل بالمستشفى ، وطال الحديث بينه وبين الشيخ الحكيم الذى لم يزل عونه وصديقه .

ويقول ستيتنيوس : « أعتقد أنه سيقرّ ما غيرته وما سأغيره . وقد عرضت عليه مشاكلى فكان بالغ الكرم فى مساعدتى . إنه شيخ عظيم ... »

وليس فى وشنطن من هو أكثر دؤوبا فى عمله من ستيتنيوس ، فهو ينهض فى السابعة ويعد قهوته بنفسه . وبينا يرتشفها يدوّن ملاحظاته فى دفتر أسود : « ويكون ذهنى حينئذ صافياً — فهذا وقت صالح للتفكير » . وبعد ذلك يطالع صحف نيويورك ووشنطن وبلتيمور وفلادلفيا

ثم يفطر هو وزوجته وأولاده الثـلاثة ، حتى إذا فرغ كانت غرفة الاستقبال قد حفلت بحشد من مساعديه الشبان وسكرتيريه ، فيملي عليهم نحو عشرين دقيقة ، ويسلم إليهم بعض مذكراته المدونة ، ثم يخف إلى مكتبه . وهناك يقرأ خلاصة البرقيات التي وردت في الليل ، ويشرع في الإملاء على كاتبين من كتاب الاختزال .

ثم يجتمع برجال الوزارة ، ويستقبل وفوداً من الزائرين ، معظمهم من الدبلوماسيين ، ويعقد مؤتمراً صحفياً قبل الغداء . وفي منتصف الساعة الثالثة ، تبدأ فترة مقابلات سريعة مع رؤساء الإدارات ، ويبدأ السفراء في الدخول من الساعة الثالثة وهو يقول : « إنهم جميعاً يطالبون أن أقابلهم في الحال » ! وفي الساعة الخامسة يبدأ في توقيع البريد والبرقيات الرسمية ، ثم يقضي الفترة بعد العشاء إلى منتصف الليل في الإملاء ومناقشة مشروعات التنظيم مع زملائه والتحدث إلى الرئيس ، ويحشو جيوبه وجيوب شبانه بقدر آخر من المذكرات !

ووزير الخارجية رجل مفتول العضل قوي البنية ، ولكنه لا يمارس الآن رياضة ما ، وهو عضو قوي بجمعية طب العظام ، وقد استقدم طبيبه المتخصص في العظام إلى وشنطن ، فيزوره ليدلكه كلما سنحت له الفرصة . وله حوض خاص للسباحة ، وجياد للركوب في ضيعته بفرجنيا التي تبلغ مساحتها ٥٨٠ فداناً ، وهو يتمنى لو يستطيع أن يذهب إليها ، ولكنها أمنية بعيدة !

وفي أول حفل استقبل فيه الممثلين السياسيين ، بعد تقلده وزارة الخارجية ، ضرب مثلا لما يريد أن يصنع لاختصار المراسم ، فقد أراد عدد كبير من الدبلوماسيين أن يحيوه ، فأقام لهم حفلة كوكتيل في منزل على مقربة من وزارة الخارجية ، فلما تم جمعهم وقف وأعرب عن سروره بحضورهم ، وشكر لهم تهنئتهم ، وطلب أن ينيبوا أحدهم في الرد عليه باسم الجميع .

ثم اجتاز الشارع على قدميه وعاد إلى عمله .

معجزة الحياة

إننا نكون أدنى إلى إدراك معجزة الحياة ، لو علمنا أن الجنين يبلغ من ضآلة الحجم في آخر الأسبوع الأول من تكونه ، بحيث لا بدّ لك من سبعة أجنة حتى تملأ مكان النقطة الموضوعة في آخر هذه الجملة .

[برنارد لويس في مجلة « باجنت »]

قاتل يقهر

پول دی کروف

« علة مخيفة نصيب القلب ، كانت تقضى فى الماضى على ۹۷ فى المئة ممن تصيبهم ، تخضع اليوم لعلاج مهدت سبيله جماعة فى مستشفى بروكلين »

التهاب صمامات القلب المكروبى ، وهو مرض يصيب القلب ، يعدّ حتى اليوم أقتل العلل المكروبية ، إذ كان يقضى على ۹۷ فى المئة ممن يصيبهم ، أما الناجون القلائل فلم تكن نجاتهم تُرى إلا فلتة من الفلتات .

وقد استطاع بعض رجال الطب فى العام الماضى أن يردوا هذا الزحف المميت على أعقابه ، وأن يهيئوا لثمانين فى المئة من ضحاياه أملا فى البرء منه . وهذا الظفر فى كفاح الموت يتيح فرصة أعظم فى البقاء لملايين من المرضى بالقلاب (مرض القلب) الروماتزمى فى أدواره المختلفة ، فإن هؤلاء خاصة هم عرضة التهاب الصمامات . وليس من الضرورى أن يكون الروماتزم ثائراً حتى يصيبهم ، فإن التهاب الصمامات ربما سدد سهمه القاتل إلى الصمامات النَّدِبية (التى بقيت فيها ندوب) التى برأت من الروماتزم منذ عهد طويل .

وعلى أن كثيراً من المكروبات قد يسبب التهاب الصمامات ، إلا أن أفتك هؤلاء القتلة دون منازع هو المكروب السبحى الأخضر ، وهو من أعجب الكائنات التى ختلت صيادى المكروبات . والمكروب السبحى الأخضر مخلوق لطيف عادة ، يعيش مأمون العواقب فى أفواه البشر جميعاً على وجه التقريب ، ويحيى حياته الغامضة دون أن يحدث فى الجسم أذى . وهو إذا تسرب إلى دورة الدم ، كما يفعل أحياناً بعد خلع ضرس أو من لوزات أو كهوف فى العظام مصابة ، لم يؤذ البتة — إذا كان القلب سليما من الآفات . ولكن دع هذا المكروب اللطيف يجد طريقه إلى صمامات أتلفها القلاب الروماتزمى أو ترك بها ندوبا ، فما هو إلا أن تراه سفّاحا لا يرحم . إنه يتقى بمهارة سطوة الطب ، بأن يتوغل فى هذه الصمامات ويلتحف بزوائد من الدم الخاثر . وفى هذا العش الخبيث ينمو ويتكاثر بمنجاة ، على ما يبدو ، من كل ما يستعمل فى علاجه من أمصال أو عقاقير . ثم ينسل منه إلى الدم ، فلا يقتصر على تخريب القلب بغاراته على الصمامات الرقيقة ، بل يحدث أذى قاتلا

فى الجسد كله ، إذ تنفصل من صمامات القلب قطع من علق الدم ، فتطوف مع الدم السارى إلى حيث تستقر فى شرايين المخ والكلى والعيون والجلد والرئتين ، بل فى القلب نفسه أيضاً . وانسداد الشرايين هذا يتلف أعضاء الجسم عضواً بعد عضو .

وفى الأدوار الأولى من هـذه المذبحة القاسية ، قد لا يحس المصابون إلا بغلبة الإعياء وإلحاح النوم ، وتعتريهم حمى خفيفة ، ويحسون كأنهم مصابون بالأنفلونزا . وقد يحسب أطباؤهم أن ما أصابهم هو طلائع السل أو التيفود أو الملاريا أو الحمى الروماتزمية ، أو سواها من أمراض مختلفة ، ثم تبدو على أجسادهم نقط حمر دقيقة ، وتظهر تحت أظافر اليدين والقدمين طرائق دقيقة من دم منزوف تبدو كأنها شظايا .

ويستطيع الأطباء أن يشخصوا العلة فى بدايتها باختبار الدم لاكتشاف المكروب السبحى الأخضر ، ولكنهم كانوا حتى اليوم إذا ما وجدوه ، فقد استقبلوا مهمة أليمة ، هى إخبار أهل المريض أن الحالة ميئوس منها ، بل لا أمل فيها .

منـذ أكثر من ثلاثين عاما وصف الدكتور إيمانويل ليبمان من نيويورك هذا الداء الوبيل وصفه الصحيح المأثور . وحاول مكافحو الموت بعد ذلك أن يعالجوه بكل ما فى جعبتهم من أسلحة — بالأمصال ، وبمركبات الزرنيخ ، وبنقل الدم ، وبالحمى المفتعلة — فذهبت جهودهم سدى . وفى أواخر العقد الرابع من هذا القرن أشرقت من عقاقير السلفا الحديثة بارقة أمل ، وتم الشفاء بها فى حالات قلائل ، ولكنها لا تكفى بحيث تؤثر فى معدل من يموتون بالتهاب الصمامات .

ثم كانت سنة ١٩٤٣ واشترك البنسلين فى المعركة ، وعقدت به آمال عظيمة ، إذ لم يكن قوى الفعل وحسب ، بل كان أيضاً مأمون العواقب غاية فى الأمن . ومع ذلك ، فعلى أثر امتحانه امتحاناً ظن وافياً ، نشرت لجنة مجلس الأبحاث القومى أنباء تسوء . فهؤلاء ١٧ مصابا بالتهاب صمامات القلب قد عولجوا بالبنسلين ، فأربعة منهم قضوا نحبهم ، وعشرة لم يتحسنوا تحسناً يذكر ، واثنان من الثلاثة الذين بدا أنهم تحسنوا شيئاً قليلا ، سرعان ما نكسوا بعد انقطاع العلاج . فتقرر رسميا وقف المعركة إلى حين ، لندرة البنسلين يومئذ ، ولأن الجرحى من قواتنا المسلحة كانوا لا يزالون فى أمس الحاجة إليه .

نشر هذا التقرير فى مجلة الجمعية الطبية الأمريكية فى ٢٨ أغسطس سنة ١٩٤٣ ، وهو تاريخ ينبغى أن لا ينسى . ففى اليوم السابق ، يوم ٢٧ أغسطس ، وقف الدكتور

لووى ومعاونوه ، فى المستشفى الإسرائيلى ببروكلين فى نيويورك ، بجوار فراش رجل مريض فى الرابعة والثلاثين كاد يودى به التهاب صمامات القلب ، وقد ظلوا ستة أشهر يخوضون معركة خاسرة فى سبيل إنقاذ حياته . عالجوه بجرع كبيرة من عقاقير السلفا ، ثم أضافوا إليها الحمى المفتعلة ، فلم يغن ذلك شيئاً . ثم عادوا فأضافوا إلى العلاج بالسلفا عقار الهيبارين الذى يعوق خثور الدم ، وكانوا يرجون أنْ عسى أن يذيب الهيبارين زوائد علق الدم عن صمامات قلبه ، فتتعرّى الكروبات السبحية الخضراء وتصبح عرضة لفعل السلفا الساحر . ثم قرنوا الهيبارين فى شهر يونيه بمقادير معتدلة من البنسلين ، ولكنهم ارتدّوا خاسرين .

وأحيط بأطباء مستشفى بروكلين الذين يكافحون الموت ، فعندئذ لجأ الدكتور لووى إلى خطة عنيفة . لقد كان يستعمل ما اتفق الإجماع على أنه المقدار اليومى المقرر من البنسلين ، وهو لا يتعدى ٤٠٠٠٠ وحدة إلا قليلا ، فأما والمريض اليوم قد أشرف على غاية الموت ، فقد عزم على أن يخاطر بإعطائه مقادير عظيمة من البنسلين .

بدأ أطباء مستشفى بروكلين يحقنون المريض بخمسة أضعاف الجرعة المقررة — ٢٠٠٠٠٠ وحدة كل يوم مضافاً إليها حقن الهيبارين كل يومين . وظل البنسلين ١٤ يوما ولياليها يقطر باستمرار فى وريد من أوردة معصم المريض من قارورة معلقة على سريره . وكانت الإبرة المغروزة فى الوريد مثبتة فى مكانها بقصاصة من الشريط اللاصق ، فكان فى وسعه أن يحرك ذراعه كما يشاء . وكان عجيباً أن لا يضايقه هذا الحقن المستمر فى يقظة ولا فى منام .

واختفى المكروب السبحى الأخضر من دم المريض أثناء هذا العلاج ، فلما قطع عنه نُكس الرجل . فلما أعيد علاجه مدة اخرى ب ٢٠٠٠٠٠ وحدة كل يوم ، اختفى المكروب الخبيث البتة . وهذا الرجل الذى كان يعدّ من الأموات هو اليوم حىّ فى صحة جيدة .

وفى ٢٨ أغسطس سنة ١٩٤٣ نقلت إلى المستشفى الإسرائيلى فى بروكلين امرأة فى الثانية والخمسين ، وكانت فى غيبوبة ، وقد أصابها الشلل من انسداد شرايين مخها بعلق الدم ، وكانت على شفا الموت أو فى السِّياق كما يقول الأطباء .

وبدأ الدكتور لووى ومعاونوه من فورهم علاجها بالجرع العظيمة من البنسلين ، مضافا إليها الهيبارين ، ١٣ يوما . وفى اليوم الثانى من بدء العلاج جلست المريضة فى فراشها . فلم يمض أسبوعان حتى برأت من علتها .

لقد فرغت لساعتى من محادثة هذه المرأة الخالدة ، فبعد عام ونصف من تاريخ نقلها إلى المستشفى ، ولم يكن يومئـذ من موتها محيص ، تراها اليوم حية قوية تؤدى عملها . وقد قالت لى إنها قرأت فى إحدى الصحف كلمة لثقة من الثقات فى حكومة الولايات المتحدة يقول فيهـا إن البنسلين وإن كان دواء مدهشاً إلا أنه لن يُرجى منه أن يحيى الموتى . ثم قالت : « لـكن البنسلين ردنى حتى صرت كأنما استويت فى كفنى جالسة ، لقد بُعثت من رقدة الموت » . وودت لو رأيتها حينئذ وهى تبتسم .

وفى نهاية سنة ١٩٤٣ شرع الدكتور ليو لووى ومعاوناه ، الدكتوران فيليب روزنبلات وهارى ج . جرين ومساعدهم الفنى مورتيمر رسـل ، يكتبون تقريرهم العلمى عن سبع حالات متتابعة غير مختارة ، من حالات الالتهاب المكروبى فى صمامات القلب ، تمّ شفاؤها بفضل العلاج الجديد . ونشر هـذا التقرير فى مجلة الجمعية الطبية الأمريكية فى يناير سـنة ١٩٤٤ ، فقرر مجلس الأبحاث الوطنى أن يعيـد البحث فى أثر البنسلين فى علاج هذا الداء .

والآن أخذت تفد على المستشفى الإسرائيلى ببروكلين أفواج من مرضى التهاب صمامات القلب ، تحملهم سـيارات الإسعاف أو النقالات . وكان كثير منهم على حالة يرثى لها ، وبعضهم كان قد أصابه هبوط القلب باحتقان الدم . فكان البدء فى علاجهم هو وحده مخاطرة قد تسرع بهم إلى الموت .

لم يردّ الدكتور لووى ومعاونوه أحداً منهم ، وحاولوا علاجهم جميعاً بطريقتهم الجديدة ، وإن كانوا يعلمون أن الموت محتوم على بعض من تناهى به الداء منهم ، وذلك قد يزعزع الثقة فى عملهم . ودافع الدكتور لووى عن جرأته فى تقريره المنشور فى مجلة الجمعية الطبية الـكندية فى يناير سنة ١٩٤٥ فقـال : « على الرغم من الظواهر الخطرة التى تجلت على كثير من المصابين ، لم يكن لنا من قبولهم بدّ ، فقـد كان ردّهم كالحكم عليهم بالموت » .

وبعبارة أصرح لم يكن من هم الدكتور لووى أن يسترعى أنظار النـاس بتعداد البارئين ، وإنمـا كان همه أن ينقذ الأرواح .

وقد شارك أطباء بروكلين ، منذ بدأوا عملهم ، مساعد ليس من الأطباء ، ولولاه لقعد بهم العجز . هذا المساعد هو جون ل . سميث نائب رئيس شركة تشـارلس فايزر ببروكلين ، وكانت هذه الشركة من أوائل المهتمين بأبحـاث البنسلين فى أمريكا ، والممهدين لإنتاجه على نطاق واسع فى دنان التخمير . وكذلك تولى سميث إعداد البنسلين

للعلاج الجديد . وبعد نشر التقرير عن شفاء المرضى السبعة الأول ، منح مجلس الأبحاث الوطنى الدكتور لووى ومعاونيه مقداراً من البنسلين بلا ثمن ، يضاف إلى ما كانت تساهم به شركة فايزر ، كما منحوا أيضاً سواهم من الأطباء الذين كانوا يومئذ قد بدأوا يخوضون معركة يرجى فيها النصر .

كان مستر سميث يتفقد كل سرير تقريباً من أسرة أولئك المرضى الذين أنقذهم العلاج الجديد ، وكان ينقل يوما بعد يوم إلى علماء شركة فايزر ومهندسيها وعمالها نبأ الأرواح التى ردّتها إلى الحياة مهارتهم وإخلاصهم فى العمل . ويقول مستر سميث : « كانت النشوة تأخذهم جميعاً ، وكان علمهم بأنهم ينقذون هذه الأرواح عاملا قوياً فى زيادة ما نصنعه من البنسلين زيادة هائلة » .

وإذا قدرت العدد العظيم من المرضى الهالكين الذين وفدوا إلى المستشفى الإسرائيلى متعلقين بآخر خيط من خيوط الحياة ، فليس عجيباً بعد أن يبوء الدكتور لووى وزملاؤه بالخيبة فى بعض قليل من عدد تطرد زيادته ، قد نجح علاجه بالبنسلين والهيبارين نجاحاً باهراً . ففى تقريرهم الثانى المحتوى ٥٤ حالة سجل مكافحو الموت فى بروكلين ١٣ حالة أخفقوا فى علاجها وانتهت بالوفاة ، وحالة واحدة عاودها النكس ، وثلاثة ماتوا بهبوط القلب بعد تطهيرهم تطهيراً تاما من كل آثار المكروب السبحى الأخضر ، كما أثبت التشريح ذلك . وبين الثلاثة عشر الذين ماتوا على رغم العلاج ، عشرة كان من المستحيل إنقاذهم ، إذ كان الداء قد فتك بقلوبهم فتكا شديداً ، أو انسدت شرايين المخ بعلق الدم ، أو بلغ النحول من أنسجتهم مبلغاً عظيما ، أو نزل بهم الالتهاب الرئوى القاضى . وثلاثة منهم فقط ، نشأت وفاتهم عن عدوى بنوع عَصِىّ على البنسلين من المكروبات السبحية الخضراء .

وقد وجد الدكتور لووى وزملاؤه أنه كلما طال فتك الميكروب السبحى الأخضر الخبيث بصمامات القلب ، طال أمد العلاج ، وعظم المقدار اللازم من البنسلين . ولما كان معدل الشفاء بين الحالات غير المختارة (من الإصابة الطارقة إلى الإصابة القاضية) يفوق الآن ٨٠ فى المئة ، فإن معظم المرضى يعالجون معالجة مستمرة تدوم خمسة أسابيع على الأقل ، يعطون فيها ما يصل إلى ١٠٠٠٠٠٠ وحدة من البنسلين كل يوم أو يزيد ، مضافاً إليها الهيبارين .

والهيبارين — على خلاف البنسلين — سلاح ذو حدين ، فإذا زيدت مقاديره فقد يؤدى ذلك إلى حدوث نزف الدم ، وربما

أفضى إلى الوفاة . ومع ذلك فقد وفق الدكتور لووى والدكتور روزنبلات بعونة ا . ه . بوبست والدكتور . و . شانر من شركة « روش — أورجانون » ، وهى إحدى مؤسسات إنتاج العقاقير الطبية ، فاستطاعوا أن يجدوا طريقة مأمونة فى إعطاء هذا العقار . فهم يذيبونه فى مزيج من الجلاتين والحمض الخليك وسكر العنب ، اكتشفه الدكتور جورج بتكن ، فإذا حقن ذوبه هذا ، امتصه الجسم امتصاصاً بطيئاً مأمون العاقبة .

وفى أول ديسمبر سنة ١٩٤٤ أدخل مجلس الأبحاث الوطنى التهاب صمامات القلب المكروبى الندرب (هو الذى لا تكاد تلتئم بؤرة منه حتى تظهر بؤرة أخرى) فى قائمة الأمراض التى يمكن علاجها بالبنسلين عندما تكون جرثومة العدوى غير عصية على البنسلين — وهى تشمل معظم حالات التهاب صمامات القلب . وفى يد مكافحى الموت اليوم من الأسلحة ما يعينهم على خوض المعركة .

وثمة ٢٠ مصنعاً على التقريب من مصانع الكيمياء والعقاقير ، قد نجحت فى زيادة إنتاج البنسلين زيادة بينة ، حتى أن الثمن الذى كانت تدفعه حكومة الولايات المتحدة لكل ١٠٠,٠٠٠ وحدة قد انخفض فى العام الماضى من خمسة جنيهات إلى ما يبلغ ٣١ قرشا .

أما وقد ظهرت اليوم قوة العلاج الجديد على شفاء التهاب صمامات القلب ، فإن الأطباء سيصبحون أشد يقظة فى الكشف عن هذا المرض وهو فى بدايته ، وذلك بفحص الدم بطريقة الاستنبات . وفى وسعهم أن يثقوا بأن الشفاء متوقع فى كل الأحوال على التقريب ، إذا ما اكتشف المرض فى الأشهر الثلاثة الأولى من بدايته ، وقبل أن تتلف صمامات القلب تلفاً بليغاً ، إن كانت المكروبات غير عصية على البنسلين .

منذ سنتين وحسب لم يكن للمصابين به غير ثلاثة فى المئة من أمل فى الحياة !

★ ★ ★ ★ ★ ★

مداعبة

ذهبت منذ عهد قريب أودع زوجى حين سافر بطائرة نقل بحرية إلى جزائر ألوشيان ، وكان بين ركاب الطائرة كلب صغير ، فأعربت عن سوء حظى وقلت للضابط المسئول : « حسن ! تسمحون لكلب بالسفر فى الطائرة ، على حين لا تجد الزوجات بدأ من البقاء فى الولايات المتحدة ؟ » .

فقال الضابط : « ولكنك تنسين يا سيدتى أن جميع المسافرين يستطيعون أن يداعبوا الكلب ! » .

[شرلى ه . كروشو فى « كورونت »]

علموا أولادكم الحياة

الناس كالسلحفاة

عثرت في إحدى زياراتي للريف أيام طفولتي على سلحفاة ، فأخذت أخبرها بين يدي ، ولكنها أغلقت درعها عليها إغلاقاً محكماً . فلما رآني عمي أجهد في فتحها بعصا قال لي : « لا لا ، ليس هذا هو السبيل إلى ما تريد » .

وأخذ السلحفاة إلى المنزل ووضعها على المدفأة ، وبعد دقائق جعلت تشعر بالدفء وأخرجت رأسها وأرجلها وزحفت نحوي هادئة .

فقال عمي : « الناس يا بنيّ كالسلحفاة ، فلا تحاولنّ أن تقسر إنساناً على فعل شيء ، بل أدفئه بشيء من عطفك ، فذلك أحرى أن يجعله ينزل على ما تريد » . [ريلا ليجيت]

غش وندم

كانت أمي وخالاتي مولعات بالخروج لجمع الثمار البرية ، وكنت طفلة كسولا أحمل دائماً أصغر سلة وأتلكأ في عملي ، والأخريات دائبات في جمع الثمار . وذات يوم ملأت سلة بالعشب وغطيتها بطبقة رقيقة من الثمار ، وبدت السلة مملوءة ، فأثنين عليّ الثناء المستطاب لما أبديت من نشاط غير مألوف .

وفي اليوم التالي صنعت والدتي فطيراً محشواً بالثمار ، وأعدت لي فطيرة في إحدى الصحاف تطل الثمار من خلال ثلمة في قشرتها . لكن تصور ما أصابني من ألم حين وجدت تحت تلك الرقاقة المغرية — عشباً مما حملت في سلتي ! .

وقالت والدتي قبل أن تثور ثائرتي : « إنك حين تغشين غيرك إنما تغشين نفسك أولا ، وأنت بذلك تحيين نزعاتك الشريرة ، وسرعان ما يقضي ذلك على نزعاتك الطيبة » .

ومن يومئذ لم يخطر على قلبي قط أن سوف ينفعني ما أجنيه بالغش . [م . ه ل]

درس النشار

كنت وابنة عمي لا نكف عن الجدل أثناء قيامنا بأعمال البيت ، وكنت أكبر منها سنا ، فأحاول أن أعلمها كل شيء كيف تعمله ، وكانت طبعاً تمتعض لذلك .

وذات يوم أخذنا جدي إلى كومة الخشب في الحديقة وأعطانا منشاراً ذا مقبضين ، ثم تخير قطعة كبيرة من الخشب وقال لنا : « انشرا هذه » . فأخذتنا الحيرة ، ولكننا أطعنا . وجعلت أنشر بأسرع ما في طاقتي ظناً مني بأن ذلك يظهر قصور ابنة عمي ، بيد أن المنشار كان يجمد في مكانه إذا أنا

دفعته بسرعة تزيد على سرعة جذب ابنة عمى له ، وكنت بذلك أفقد توازنى . ثم أدركت أنى كلما جذبت المنشار جذباً خفيفاً دون أن أدفعه كان قطع المنشار أسهل وأيسر . وبيّن لنا جدى ، وعيناه تلمعان ، كيف يكون عمل المنشار ذى قبضين : «أن تعملا معاً بانسجام» . وقال: «كلما عرض لكما عمل من الأعمال فتعاونا معاً على أدائه وستجدانه يتم بسهولة وسرعة » .

[مسز وليام . م . هوتشكس]

عربات فارغة

كان أبوانا يجهدان حادّين أن يطبعا فى نفوسنا نحن الأطفال سموّ رقة الأدب ، وكانا يمقتان خاصة أن يقاطع المرء صاحبه وهو يتكلم .

وذات صباح ، حين كانت طيور الحدائق تغرد ، نادانى أبى وسألنى: «أتسمعين صوتاً غير الطيور ؟ » فأنصتّ لحظة وقلت : « نعم إن ثمة عربة سائرة فى الطريق » .

فقال : « نعم إنها عربة فارغة . أتدرى كيف عرفت ذلك ؟ » .

فأجبته متعجباً : « لا » .

فقال : « لأنها تقعقع قعقعة كثيرة . إن العربات الفارغة تحدث أشد الضجيج ».

كان هذا كل ما قال ، بيد أنى كنت كلما سمعت صخاباً يبدىء ويعيد عاودنى صوت أبى على مدى السنين وهو يقول : « إن العربات الفارغة تحدث أشد الضجيج » .

[مارى أجنس كيلى]

اذكروا المحاسن تنسوا المساوىء

حبسنى جو عاصف فى المنزل عدة أيام لم نكف أنا وأخى فى خلالها عن الشجار ، وأخيراً شكا كل منا إلى أمه ضعة أخلاق أخيه . فاستمعت إلى شكوانا صابرة ، ثم طلبت إلينا أن نجلس فى ركنين متقابلين من الغرفة وجهاً لوجه نصف ساعة ، وأن يكتب كل منا قائمة بمناقب الآخر وأخلاقه الطيبة ، وثمة جائزة تمنح لأطول القائمتين .

ولا يسع امرءًا يطيل التفكير فى فضائل إنسان أن يذكر أيضاً مساوئه ، ولقد وجدت هذا درساً قيما أفدت منه طوال الحياة .

[فرانسيز جرين]

❋

من لانت كلمته وجبت محبته

[على بن أبى طالب]



كيف تبلع سيفاً

زادما العظيم

كما رويت لجون جونكس مانيكس

ملخصة عن مجلة "كوليرز"

إذا صرخ الأطفال وأغمى على النساء ، فقد وثقت من نجاح لعبتك .

لن أنس أبداً أول مرة بلعت فيها أنبوبة مضيئة طولها قدمان من أنابيب « نيون » ، وكانت مما يباع سرا وتهريباً ككل أنابيب « نيون » التي يستعملها بالعو السيوف في ذلك الوقت ، لأن الشركات الكهربائية كانت لا تسمح لأحد بابتياع أنبوبة إذا عرفت أنه ينوي أن يبلعها ، فقد قتل كثيرون من بالعي السيوف لأن الأنابيب انكسرت في جوفهم ، فرأت الشركات أن هذا إعلان سيئ .

على أن لبلع أنابيب نيون تأثيراً رائعاً في الحقيقة ، وذلك لأن جميع الأنوار تطفأ فيما عدا الأنبوبة نفسها ، ثم ينضو اللاعب ثوبه إلى الخصر ، ويبلعها إلى المقبض ، ولا يكاد يفعل ذلك حتى يتوهج الضوء فيه ويشع من جوفه ، فيكون لذلك تأثير سحري لا يوصف ، ويغمى على أناس كثيرين في العادة ، وهذا مما يزيد الجمهور للعبة محبة.

وقد كنت أتلهف على أن أكون ممن يبلعون أنابيب نيون ، وكنت في ذلك الوقت أعمل مع « كرنفال » ، وأعيش في مركبة مع فلامو « آكل النار » . وبينما كنا ذات ليلة نقوم بألعابنا في نيوجرسي ، عثر فلامو على كهربائي وعده أن يصنع له أنبوبتين ، ولابد في أنابيب نيون من وصلة كهربائية عند الطرفين ليضيء الغاز الذي فيها ، ولهذا تصنع الأنابيب المعدة للبلع على شكل حرف U ، ويبقى الطرفان خارجين من فمك . ومعنى هذا أنك تبلع أنبوبتين ، وهذا بطبيعة الحال أشق من بلع نصل سيف رقيق . ومن أجل هذا يجب أن تكون الأنبوبة أدق ما يمكن ، والأنابيب الدقيقة قصيفة يحتمل أن تنكسر .

وتناولت أنا وفلامو الأنابيب ذات مساء بعد أن انتهينا من العرض الأخير ، فلما أضأناها وهيأناها للبلع اضطربت .

وقلت له : « إني خائف يافلامو » .

وكنا قد قرأنا قبيل ذلك عن موت « البرنس نيون » أول من بلع أنابيب نيون ، فقد انكسرت الأنبوبة في جوفه .

وكان « المصباح البشرى الكهربائى » الذى تلاه قد اتفق له أن حدث تماس لسبب ما ، فمات قبل أن يحمل عن المسرح ، فبدا لى أن اللعبة لا تستحق المجازفة .

فقال فلامو : « إذا كنت تخاف يا فتى فلا تبلعها ، فإنه يُخشَى أن يتقبض حلقك فيكسر الأنبوبة » .

وكنت أعلم أن على أن أبلعها على الفور قبل أن تزداد حرارتها ، فإن الأنبوبة الحارة تلصق بجوفك فلا تستطيع أن تخرجها ، فتناولت أنبوبة ومسحتها .

ووقفت وألقيت رأسى إلى الخلف وأمسكت بالأنبوبة بيدى اليمنى وجعلتها رأسية على شفتى ، وجعلت أدخلها فى حلقى بيدى اليسرى المضمومة . والقاعدة الأساسية فى بلع السيوف هى أن توجد خطاً مستقيما من الحلق إلى المعدة . وكنت أحس بحرارة لذيذة إذ تنزلق الأنبوبة هابطة فى جوفى ، على خلاف الحديد البارد ، إلا أنها ذات سعة فظيعة .

وشعرت أنها مست عظام صدرى ، وهو شعور يورث الحذر دائماً ويرسل فى البدن رعشة ، ثم انزلق طرف الأنبوبة عن العظم ، فهبطت فى يسر حتى مست يدى اليمنى شفتى .

ونزعت الأنبوبة والتفت إلى فلامو وسألته بلهفة : « هل شع النور فى صدرى ؟ »

فأكد لى بلهجة الاحترام : « لقد كنت يا بنى تضىء كالنار الموقدة ، وإنها للعبة رائعة ، وقد كاد يغمى على أنا نفسى » .

وفى الليلة التالية عرضت على الجمهور بلع أنبوبة نيون فكان نجاحها باهراً ، واحتاج الأمر إلى حمل سيدتين وإخراجهما ، وانتاب أحد الأطفال اضطراب عصبى فرفع والداه قضية على الملعب ، فطارت لى شهرة .

ومعظم بالعى السيوف كانوا قبل ذلك شباناً نزحوا عن مواطنهم ليلتحقوا بملعب متنقل ، ويظل الفتى زمناً ملاحقاً للملعب يؤدى للاعبين ما يكلفونه من أعمال ، ثم لا يلبث أن يطلب تعلم لعبة . وينبغى أن لا يكون شاذاً فى الخلق — ذا جسامة أو نحافة بالغة أو قماءة شديدة — أو لا يدخل فى طوقه أن يقتنى الجهاز الدقيق اللازم للعبة فى الهواء ، أو لا يكون صالحاً للدعاية للعب وبيع التذاكر لها ، أو مقامراً ؛ ولهذا يبلع السيوف .

وكثيراً ما سئلت : لماذا يريد إنسان أن يبلع سيفاً ؟ والجواب أن بالع السيوف فى الملعب يكون فناناً موفور الاحترام ، وهو فن يشتهى كل امرئ أن يحذقه ، ولكن ما أقل من لهم صبر على تعلمه .

ولا تكلفه سيوفه إلا ١٥ ريالا أو عشرين ، وإذا لم يرض عن الملعب فإن فى

وسعه أن يتأبط سيوفه ويثب إلى قطار خلسة ويمضى إلى ملعب آخر ، ويستطيع أن يعرض لعبته فى الحانات أو زوايا الشوارع بقروش ، وهو مطلق الحرية وقادر دائماً على الحصول على ملء جيبه من القروش بعمل لا يستغرق سوى دقائق قليلة .

ويحتاج بلع السيوف إلى التدرب الشاق ثلاثة شهور أو أربعة . وعليك أولا أن تتبين طول السيف الذى تستطيع أن تبلعه ، فإذا بلعت سيفاً طويلا جدا فافعل ذلك ببطء وعناية ، حتى تشعر بأن ذبابته لمست قاع المعدة ، وهنا يجب أن تكف . ومن الصعب وصف الشعور بلمس الذبابة ولكنك ستعرف حين يحدث ذلك . ثم ضع علامة على النصل مما يلى الأسنان ، وانزعه واقطعه عند موضع العلامة ، وهذا هو سيفك . وستشعر على الأرجح بالغثيان حين تنزل السيف من حلقك أول مرة ، ويستمر هذا الشعور عدة شهور حتى يألف حلقك مس الحديد البارد .

وطبيعى أن يستطيع رجل مديد القامة أن يبلع سيفاً أطول من سيف يبلعه رجل قصير . ولما كنت طويلا جدا فقد احتفظت عدة سنين بالرقم القياسى فى أمريكا لبلع السيوف (٢٦ بوصة) ، ونزع منى الرقم القياسى وغلبنى عليه رجل أقصر منى لجأ إلى حيلة هى أن يأكل وجبة ثقيلة قبل اللعب فتثقل معدته وتهبط فيها البوصات المطلوبة للتفوق . وأنا أدع للقارئ أن يحكم على هذه الحيلة وهل هى جائزة مشروعة !

ولا يعرف أحد من كان أول من وجد أنه يستطيع أن يبلع سيفاً ، ولكنه لا بد أن يكون ذا شخصية غير عادية ، ونزّاعاً إلى التجريب . وقد كان الحواة المتنقلون يلعبون هذه اللعبة أمام الفراعنة ، وذكر أجريبا أنه شاهدها فى روما القديمة .

وذاع بلع السيوف واشتهر أول ما اشتهر فى معرض شيكاغو العالمى سنة ١٨٩٣ ، وظل سنوات بعد ذلك موضع التشهير بكشف سره المزعوم فى الصحف والمجلات.

وكان التفسير الشائع أن السيف يطوَى ويدخل بعضه فى بعض إلى الغمد ، فكنت أحمل معى سيفاً عارى النصل بغير قراب وأبلعه لأقنع الناس بأن لا حيلة هناك . وأخيراً كسر السيف شاب وهو يعالج أن يهتدى فيه إلى غش أو خدعة ، وسمعته بعد ذلك يقول : « هذا سيف يُطْوَى ، وكان فى وسعى أن أكشف عن سره ، ولكنه انكسر وأنا أحاول ذلك » .

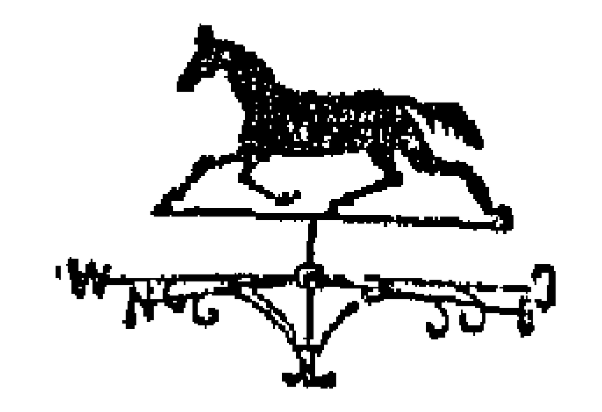
وثم وجوه شتى غير بلع السيف بالطريقة المألوفة ، فهناك صديق لى كان يبلع سيوفاً محمية بأن يبلع أولا غمداً مصنوعاً من مادة

الأسبستوس ، ولكن وجود الغمــد سر محجوب ، ومن الصعب جدا أن يمشى المرء وفى جوفه غمد وأن يبدو مع ذلك طبيعيا .

وقد تفشى فى السنوات الأخيرة القليلة وباء فى صورة نساء يبلعن السيوف ، ولست أرضى عن هــذا ، فإن النساء مستعدات للمخاطرة . وقد رأيت فتاة ابتلعت سيفاً من الصفيح ثم جعلت تتلوى حتى انثنى السيف فى جوفها قبــل أن تخرجه . ولست أقيم وزناً لكونها تأخذ فى الأسبوع أجراً قدره ٢٠ ريالا على هذه اللعبــة ، فإنها خطرة .

وظهرت فتاة تبلع أنابيب نيون فى ملعب بمعرض نيويورك العــالمى ، وكانت تقوم بلعبتهــا على مسرح دوار ، فدهشت لاجترائها على بلع الأنابيب ، لأن أيسر هزة فى المسرح قد تكسرها . وبعد أن قامت باللعبــة المألوفة ، جاءت بأنبوبة مركبة على طرف بندقية ، وبلعت الأنبوبة إلى نصفها ، ثم أطلقت البندقية ، فكان من أثر ارتداد مقبضها أن دفع بقية الأنبوبة فى حلقها .

فاندفعت خارجاً من القاعة وبى فزع على حين كان الجمهور يضحك منى . وإنى لأتعثر عند آخر صف ، وإذا برجل يستوقفنى ويقول : « أحسبك تظن أن هذه الفتاة بلعت الأنابيب حقا . أليس كذلك ؟ » . ثم قال بصــوت خفيض : « سأطلعك على سر . هذه الأنابيب مزيفة ، فإنها تتداخل إلى المقبض » .



عانت أم شابة مشقة عظيمة فى أمر ابنها البالغ ثلاث سنوات ، حين دخل حجرة الحمام وأوصد الباب ثم عجز عن فتحه أو امتنع . فهرعت فى يأسها إلى التلفون واستدعت فرقة المطافئ . وبعد قليل جاءها أحد رجال المطافئ يحمل فأساً فى إحدى يديه وجهاز إطفاء الحريق فى الأخرى . فوصفت له حرجها ، وبدلا من أن يعود ليأتى بسلّم يدخل به الحجرة من النافذة ، سألها : أهو ذكر أم أنثى . فلما أنبأته تقدم إلى الباب وقال بلهجة الآمر : « اخرجى أيها الفتاة » . ففتح الصبى الباب وخرج منه ، فإذا رجل المطافئ ، يقول للوالدة : « هى حيلة لا تخيب » .

[برنارد سلبر شتين]

عشرة رجال وقميص

كورى فورد • ملخصة عن مجلة "كوزموبوليتان"

« صنعت مسز جونز فى كنساس جيوبا فى قميص — ثم تلقت خطاب شكر من رجال قاذفة ضخمة فى الهند »

هذه قصة قميص — قميص كسواه من الصوف كان للملازم جونز . وهى قصة تبدأ فى شقة صغيرة فى ولاية كنساس ، حيث جلست زوجة الملازم جونز على حافة السرير تحيط بها حقائب لم تتم تعبئتها بعد ، وجعلت تستعجل إتمام القميص ، وتخيط جيوبه الصغيرة لتحمل مواد الإسعاف والطعام ، ولم تكن تحلم قط أنها ستنقذ حياة عشرة رجال بعد نصف عام فى الجانب الآخر من العالم .

ولقد قص هؤلاء الرجال العشرة قصتهم فى قاعدتهم بالهند ، وهم جالسون حول منضدة من الخشب فى حجرة المخابرات . قالوا إن قلعتهم الطائرة التى بلغت تكاليفها مليوناً من الريالات ألقت قنابلها على بنكوك وانقلبت راجعة مجتازة خليج البنغال فى طريقها إلى الهند ، فإذا جهاز توصيل الوقود يحترق . وإذن فسيتعذر عليهم أن يظفروا بمدد من الوقود ، فأخذت المحركات تقف واحداً بعد الآخر . فلما صاروا على مسافة ساعة من شاطىء الهند طلب الطيار من المهندس أن يربطه فى مقعده ، ثم أمر تفريغ ما فى فجوة القنابل من خزانات الوقود ، فبدأ غازه يتسرب إلى جوف الطائرة .

ولم تمض عشر دقائق حتى وقف المحرك الرابع ، وهوت الطائرة ، فارتطم ذيلها بالماء ثم اعتدلت ثم ارتطم مرة أخرى ، ثم صدم مقدمها الماء صدمة عنيفة كصدمة جدار من الحجر الصلد ، وهكذا انفجرت تلك الطائرة التى ملأها الغاز والتى تزن ستين طناً .

قال الطيارون : وكان دويها أشبه بمليون قطار سريع محملة بالديناميت تتصادم مرة واحدة ، ولم نر أثراً للطيار البتة . وقال جوزيف فالون الملازم الثانى المهندس : كان الرجال طافين من حولى على الماء مذهولين كالسمك الذى دوخه انفجار الديناميت ، ولعل قميص الملازم جونز هو الذى أنقذنا .

كان جونز ، مساعداً فى مكتب المخابرات ملحقاً بهذه الجماعة من الأسراب . وقبل أن يبرح الولايات المتحدة كان قد قرأ فى تقارير المخابرات السرية أن نصف الرجال عند ما يقذفون بأنفسهم من الطائرات ينسون معدات الإسعاف أو يفقدونها ، فكان يحث على وجوب استعمال رداء من قطعة واحدة يكون على الطيار دائماً إذا ما قفز أو اضطر إلى الهبوط فى الماء . ولما لم يستطع أن يظفر بتشجيع المسئولين

صمم على أن يصنع لنفسه نموذجا منها .

جمع مواد مختلفة للإسعاف ، كعقاقير السلفا والضمادات والمورفين ووضع جميع الأدوية فى علب الأسبرين المصنوعة من الصفيح ، وطوى كل علبة فى قطعة من المطاط لتمنع تسرب الماء إليها ، وضم إليها مدية وأقراصاً للغذاء ، وحبلا للصيد وصفارات وطوقا ، وبطارية وخرائط — بل وضع معها كتابا عن أساليب النجاة . وقد خاطت له زوجته عدة جيوب فى القميص ليضع فيها تلك الأشياء وقد بلغ وزنها جميعاً أقل من خمسة أرطال ، وضعها جونز فى حقيبته حين رحلت جماعته إلى الهند .

لم يذهب الملازم جونز فى تلك المهمة الأولى ، ولكنه سلم القميص إلى الملازم فالون قبيل قيام الطائرة وهو يقول له : « ارتد هذا احتياطاً لما عساه يقع ! »

فابتسم فالون وأجاب : « لا ريب ، وأراهن أنك تود لو وقع ما تخشاه لتعرف أيفى القميص بالغرض أم لا ! »

كان مساعد الطيار الملازم الثانى ا . ل . بريجز هو الذى جذب قوارب النجاة بعد أن ارتطمت الطائرة بالماء . فأعطى الأول لفالون المهندس ، وطلب إليه أن يلتقط سائر الرجال . قال : « كنت أعانى مشقة شديدة فى إبعاد الزورق الثانى عن الطائرة . وقد حاولت أن أحل المجاديف ، ولكن الحبل كان معقداً ، وبدأت الطائرة تغوص . فجعلت أقضم الحبل بأسنانى حتى انقطع .

« ثم استطعت أن ألتقط ثلاثة رجال وأضعهم فى زورقى . وكان مع فالون ثلاثة فى زورقه ، فربطنا الزورقين معاً وأخذنا نبحث عن الباقين ، حتى رأينا أخيراً رجلين يسبحان على ربع ميل . وحاولنا أن نجدف نحوهم ، ولكن ذلك كان عبثاً فى هذا الخضم المتلاطم .

« دبرنا أمر مبيتنا . وكان معنا خمس صفائح من الماء وعلبتان من السكر النباتى وصندوق يحتوى مواد شتى للطوارىء . وقد ضاع كل شىء آخر فى الانفجار ، ولم يبق إلا القميص .

« وهطل المطر مدراراً مرتين فى الليل . وكان الجميع مرضى لما تجرعوه من الماء المالح ، وكان مدفعى البرج الأيمن يقذف من جوفه دما . ثم ناموا جميعاً ملء جفونهم إلا أنا ، فإنى ظللت جالساً أدعو الله » .

قال ذلك فى بساطة تامة وهو يرنو بعينين هادئتين ثابتتين . ثم قال : « وطلع الصبح علينا وكل شىء ساكن هادىء ، ولكن حرارة الشمس وجهد التجديف عذبانا بالظمأ الطاغى ، على حين أوشك زادنا من الماء أن ينفد . ولما كففنا عن

التجديف لاحظ أحدنا شيئين يظهران ثم يختفيان فى الماء ، فحسبناهما جوزتين ثم تبين لى أنهما السارجنت وايزمان مدفعى البرج الأيسر ، والملازم بيل عامل اللاسلكى . وكان هذا هو الذى دعوت الله من أجله » .

كان وايزمان يسبح ممسكاً رأس بيل ليرفعه فوق الماء ، وقد فعل ذلك ٢٤ ساعة . وكان وزن وايزمان ١٢٠ رطلا ، أما وزن بيل فكان ١٦٠ على الأقل . ويقول بريجز : « أود أن أسجل أن ما صنعه وايزمان من أروع أعمال البطولة التى سمعتها » .

وسكتوا هنيهة ، وإذا وايزمان يقول فى حياء وهو يفتل أصابعه : « إن كل ماصنعته هو أنى سبحت فى الماء حتى عثروا على . هذا كل ما فى الأمر ! »

كانت ساقا بيل وذراعه اليسرى قد كسرت حين صدمت الطائرة الماء فلم يستطع أن يعوم ، وكان يلقى أشد الألم ، وكان قد عثر على زجاجة من الأكسجين عائمة فى الماء وظل متعلقاً بها حين أدركه وايزمان وراح يعاونه على البقاء فوق الماء .

قال وايزمان : « لم أستطع أن أبقيه فوق الماء طويلا فى الفترات ، لأن الأمواج كانت تتكسر علىّ متلاحقة — حتى ما أكاد أن أتنفس ، فكان يصرخ من شدة الألم فأبادر فأرفعه مرة بعد مرة . وبعد أن قضينا فى الماء بضع ساعات بدأ سرطان البحر يعض عنقى وذراعى وساقى الملازم بيل المكسورتين ، فكنت أذودها عنى ، أما هو فلم يكن يستطيع أن يحرك ساقيه ، وأخيراً خيل إلىّ أن عقله قد ذهب ، إذ سحب مديته وأراد أن يقتلنى ويقتل نفسه . فتولانى رعب شديد ، ولكننى استطعت أن أنزع المدية من يده . وكانت قواى قد أوشكت أن تخور ، ولولا أنه تخاذل فى تلك اللحظة نفسها لكانت نهايتنا ، « ولعلى عندئذ كنت قد بلغت حد الإعياء ، فإننى أغمضت عينى ، ولما فتحتهما رأيت الزورقين يدنوان منا » .

كان وايزمان قد أصيب بثلاثة جراح عميقة فى عنقه ، وأصيبت ذراعه اليسرى بجرح بلغ العظم . أما الملازم بيل فقد نفذت عظام ساقه اليسرى المهشمة من عضلتها ، وبرز كعبه المحطم من اللحم ، وراح هو يهذى من شدة الألم .

أخرج فالون القميص ، وذروا مسحوق السلفانيميد فى الجروح الفاغرة وضمدوها بالأربطة التى وضعتها زوجة الملازم جونز فى الجيوب الصغيرة ، وصنعوا من بعض المجاديف جبائر لتقى العظام أن يحتك بعضها ببعض ، وأعطوا بيل قدراً من المورفين .

واستطرد بريجز : « عند منتصف الليل

هبت ريح شمالية غربية فنصبنا شراعا وحاولنا أن نصل إلى البر . وكنت أسمع صوت الأمواج ترتطم بكثبان تعترض بيننا وبين الشاطىء ، فلما اقتربنا وجدنا ارتفاع الكثبان يتراوح بين ثمانى أقدام وعشر . فابتهلنا إلى الله أن تحملنا موجة فنجوز الكثبان دون أن ينقلب زورقنا . فجاءت موجة وحملتنا إلى الشاطىء دون أن نبتل » .

وكان تأثير المورفين قد زال ، وعاد الهذيان إلى بيل ، وجعل يضرع فى طلب الماء . وكان كل منا قد برح به الظمأ . قال بريجز : « وأسعفنا القميص مرة أخرى إذ وجدنا فى كتاب « أساليب النجاة » فقرة عن تقطير الماء الملح. فأخذنا خرطوما من المطاط من طوق النجاة ووصلناه بزجاجة الأوكسجين التى كنا قد ملأناها من ماء البحر ، ثم غلينا الماء ورحنا نجمع البخار فى وعاء ، وأخذنا نصب على ظاهر الوعاء ماءً بارداً ليساعد على تكثيف البخار. فكان عملا شاقا ولكننا استطعنا بعد بضع ساعات أن نظفر بثمن جالون من الماء سقيناه بيل . ثم وضعنا بيل ووايزمان تحت خيمة صنعناها من الشراع ، وبللنا بعض الخرائط التى وجدناها فى القميص ووضعناها على جبينيهما » .

وفى الصباح التالى خرج بريجز وفالون يطلبان النجدة ، وعلى بعد خمسة أميال من الشاطىء لقيا أحد الأهلين ، فقادهما إلى قرية صغيرة ، فحملوا منها ماء إلى المصابين ، وصنعوا من زورق النجاة نقالة وحملوا عليها بيل ١٢ ميلا إلى القرية ، وهناك ضمد جراحه طبيب القرية ، وبعد يومين التقطتهم طائرة قد استدعاها العداءون من أهل القرية فنقلتهم إلى مستشفى إحدى القواعد الحربية ، وقد رفض الطبيب أن يقبل منهم أجراً ، فأهدوه أعز ما يستطيعون أن يهدوا — أهدوه القميص .

وتنتهى القصة فى جرينزبورو بولاية نورث كارولينا ، حيث راحت زوجة الملازم جونز تقرأ رسالتين إحداهما من الملازم جونز يخبرها بأن البريجادير جنرال لاندن سوندرز قد نقله إلى القيادة العامة ليتولى تحسين فكرة القميص ، لكى يعرضها على الحكومة فى وشنطن ، والثانية مكتوبة بخط ردىء وقع عليها عشرة رجال ، وقد جاء فيها : « هذه كلمة يبتغى بها رجال الطائرة أن يشكروك ... »

وبينما كانت زوجة الملازم جونز تقرأ هذه الرسالة ، كانت تذكر كيف كان الملازم جونز يستحثها على إنجاز القميص وهو يقول : إنها قد تنقذ حياة إنسان فى يوم من الأيام . وهى ترى الآن أن فكرة القميص قد تنقذ أرواحا أخرى وتعيد طيارين آخرين إلى أوطانهم سالمين .

في صيفٍ مضى، وقبيل مغادرتي موطني لألقي بعض المحاضرات في جامعة ولاية مين، تلقيت خطابا من سيدة تدعى « مسز بولا آ كلي »، أمينة مكتبة في بلدة « برسك إيل » الصغيرة بالقرب من حدود كندا. لقد قرأتْ بعض كتبي وصحت نيتها على الحضور لتسمع محاضرتي، وإن كان ذلك يقتضيها أن تقطع نصف الولاية سفراً، وإن كان يشغلها أيضاً أيما شغل، عملٌ، وزوج — ثم ماذا — ثم ثمانية عشر طفلا! نعم، ثمانية عشر، وجميعهم أولادها إلا خمسة.

فلما وقفت، بعد أيام، أمام المستمعين ألقي محاضرتي، نفضت عيناي على غير جدوى صفوفَ من أرى من الناس ألتمس وجهاً خليقاً بامرأة لها ثمانية عشر طفلا. فلما فرغت من محاضرتي، ورأيتها أول ما رأيت بدينةً ليس لها ما يميزها من سائر النساء، من قبعتها العجيبة إلى حذائها العريض المفرطح، وددت سَفَهاً مني لو أني لم أدع الأمر بيني وبينها يتعدّى تبادل الرسائل. على أنني بعد أن قضيت معها ست ساعات في حديث بهيج أنظر بعيني في عينين سوداوين تطلان من وجه لم تمسسه الغضون، علمت علم اليقين أنني كنت مخطئة. فلما أن ازددت بها خُبْراً، وعرفت قصتها من حديثها هي، ومن مذكرات كتبتها على فترات طوال سنوات حياتها الحافلة، فعندئذ عرفتها على حقيقتها: امرأةً بلغت من المروءة والشجاعة والدعابة والإيمان بالحياة مبلغاً خليقاً بأن يحسدها عليه الناس جميعاً.

تزوجت « بولا بارتون » في التاسعة عشرة من عمرها جورج آ كلي، وهو فلاح من زراع البطاطس، وأرمل في السادسة والثلاثين من عمره. وكان لجورج أربعة أولاد، ومعه مزارع أجير وامرأة تدبر بيته. وكانوا جميعاً حضوراً حين أقبلت زوجته الثانية ساعة الإفطار — إلا مدبرة البيت، فإنها غادرت البيت من باب المطبخ ساعة قدم العروسان. وكانت بولا لم تهيء مائدة قط في حياتها، فلما جعلت تبذل جهود اليائس وقعت على مفرش أبيض فأخذته وفرشته على مائدة المطبخ.

وجازت الطريق قبل الفطور جارة من أهل الفضول، فجعلت تتشمم، ووقفت على الباب ولم تجشم نفسها حتى إلقاء السلام،

وأخذت تقول : « مفرش أبيض : أحسن ما عنـد مسز آ كلى ولا شك . عسى أن تـكون آخر مرة تعمدين فيها إلى استعمال المفارش » .

فعاهدت بولا آ كلى نفسها منـذ ذلك الحين أن تضع مفرشاً أبيض على كل مائدة تعدها ما عاشت ، وقد برّت بعهدها .

ولم يمض على زواجها إلا قليل حتى هدّها السل طريحة الفراش ، وقدّر الأطباء أن لم يبق من أجلها غير ستة أشهر . لقد مات أبوها به من قبل ، وماتت به مسز أ كلى الأولى فى هـذا البيت نفسه . وقد حان حين بولا .

ستة أشهر تعيشها !! ولكنها عاشت حتى ولدت ثلاثة عشر .

كيف كانت هذه المعجزة ؟ نظرت هادئة بعينيها الضاحكتين فى عينى ثم قالت : « ليس إلا أنى عزمت على أن لا أموت » . إنه لأمر هين . ولقد فحصها الأطباء بعـد اثنتين وثلاثين سنة ، فدلت الأشعة السينية على أن فى الرئة ندوبا شديدة التأمت منـذ عهد طويل ، وقرر الأطباء بأنها فى « صحة تعدّ جيدة لفتاة فى السادسة عشرة » .

ولا شك فى أن انتزاع مثل هذه الشهادة من الزمن العاتى يتطلب نفساً جليدة وقلباً فتيًّا ، وكلاهما كان بين جوانح بولا . ففى السابعـة عشرة من عمرها شرعت تزاول التعليم ، وكان وزنها لا يتجاوز مئة رطل يومئذ ، ولم يكن من التلاميذ من يفوقها وزناً فحسب ، بل كان فيهم من هو أ كبر منها سنا . وفى ذات يوم أخذ تلاميذ الفصل جميعاً يقذفونها بكرات من الورق ، وكانت بولا حتى ذلك اليوم تستنكر العقوبة البدنية ، ولـكنها فى الظهر تركت غـداءها ومضت سائرة تقطع طول الطريق إلى المدينـة واشترت مسطرة وسوطاً من الجلد المتين .

وبعد الظهر بادرت التلاميذ بقولها : « يستطيع كل من لم يشترك فى قذف كرات الورق أن ينصرف ، أما الآخرون فلينتظروا » . فبقى التلاميذ كلهم تقريباً ، فأقبلت على أضخمهم حرما ، وقالت له : « ابسط يدك » ولم تفكر أدنى تفكير فيما تفعله إذا ما أبى ، ولـكن التلميـذ فعل ما أمر به ، ومضت بولا من صف إلى صف تؤدب بالمسطرة أو السوط كل فتى وكل فتاة فى الحجرة . وانقطع العبث .

وكانت بولا تزاول التعليم لأنها تحب الأطفال ، ولأنها كانت شديدة اليقين بأن طلعة وجهها تحرمها ما عاشت أن تتزوج وأن يكون لها أولاد .

وكانت تقول أحياناً : « انظرى إلىّ ! ليت خالقى منّ علىّ فجعلنى أخف فى الأنظار

موقعاً » ، ولكنها كفّت منذ سنين عن الكلام فيما كانت ترى نفسها عليه من قلة الوسامة .

وتقول بولا : « لقد قالت لى أمى قبيل زواجى المستر آكلى : « بولا ، ينبغى أن لايكون لك ولد ، فحسبك أولاده الأربعة » ، فكان جوابى أنى قد عزمت على أن يكون لى اثنا عشر ولداً . وقد فعلت ، وزدت على ذلك ولدين ، توفية للكيل — أحدهما طفل تبنيته » .

ثمانية عشر طفلا ، ثلاثة عشر منهم أولادها ، وآخرهم هو وحده الذى ولد فى المستشفى . وكان ثمة ما لابد منه من النكبات والمآسى وصنوف الأذى والأمراض — ولكن كان كل ولد يشق طريقه على نحو ما حتى يبلغ مبلغ الرجال ، وهم إلى اليوم أحياء بعد ثمان وأربعين سنة .

فهذا رتشرد . وقد هوى من مقعده العالى فوقع فى موقد المطبخ ولا تزال بعض آثار الحريق ظاهرة على جلده إلى يومنا هذا . وقد شرب رتشرد ذات مرة بترولا وظنه ماء . وقد وطئته عربة ثقيلة فى فناء المزرعة ، حتى دخلت فى بشرة وجهه حصباء من الأرض ثم تآكلت على مر السنين . وقد جرّ عليه لعب الكرة وهو بالمدرسة الثانوية أن بقيت ساقه فى قالب الجبس أسابيع . وقد انطلق من رتشرد مقذوف نارى نفذ فى قدمه. أذكر رتشرد فأستطيع أن أمضى فى سرد ما حدث له حتى أخرج بقصة من أعجب القصص عنه ، وهو الآن ملازم أول فى البارجة الأمريكية «أيداهو» .

ثم هذا « جين » وأخوه « بارتون » . وقد عثرا فى المزرعة على بعض الديناميت . وظل جين أياما لا يدرى أحد ما أصاب عينيه : أذهبتا أم بقيتا ؟ أما بارتون فقد طارت ثلاث أصابع من يسراه ، وكان بارتون موسيقار الأسرة . على أن الطبيب استطاع بطريقة ما أن يستنقذ ما تحت المفصل الأوسط من هذه الأصابع ، ويستطيع بارتون الآن أن يعزف على البيانو . ولم تشأ بولا أن تفيض فى خبر « رسل » وكيف مد رجله ليوقع « إمّا » وهى تحمل بين يديها كل الآنية الصينية البيضاء الجديدة ذات الحواشى المذهبة . فقلت لها : « لا شك أنك أوسعت رسل ضرباً » . فأجابت : « لقد ضربته مرة واحدة فيما أذكر . وذلك حين أشعل النار فى ثوب إليزابث » .

وتزعم بولا أن تربية أولادها ، إذا قيسوا بغيرهم ، كانت أسهل وأهون ، وتقول وعيناها السوداوان تومضان : « وربما كان ذلك لأنى لم أطلب إليهم قط أن يفعلوا شيئاً لن يفعلوه مهما قُسِروا عليه » .

ثم إنها كانت تريد قبل كل شيء أن يكون لهم من الشجاعة وصدق العزيمة ما يجعلهم يقدمون على فعل ما يحبون أن يفعلوا، وكانت تقول لأحدهم لا تقل: « لشد ما أتمنى أن أفعل هذا أو ذاك، ولكن افعله ». وهكذا كانوا إذا خطر لهم أن يذهبوا إلى رحلة حفاة الأقدام، أو أن يتركوا عملهم ليتجولوا في كاليفورنيا، فعلوا ذلك على الفور.

ولقد قال بارتون ذات مرة لأمه: « إنك لم تنشئي أسرة، وإنما أنشأت ثمانية عشر فرداً ». فعقبت بولا على هذا بقولها: « ربما كان حقاً ماتقول، ولكن المرء لا يرسل أولاده إلى الجهاد في الدنيا أسرة واحدة، فقد كتب على كل أحد منهم أن يلقى الحياة فرداً وحيداً. وينبغي أن ينطوي كل منهم على شجاعة تجعله يستقل بنفسه ».

وكانت بولا نفسها في بعض الأحيان تنتهز ما يسنح من نوادر الفرص لتفعل ما يجعل بلدة « برسك إيل » تسلكها في عداد المخبولين. وإني لأحب ذلك الضرب من النساء اللواتي تعتزم إحداهن فجأة وهي في الثانية والخمسين أن تذهب مع بعض الأصدقاء في رحلة من « برسك إيل » إلى « هولتون » — وهي مسافة تزيد على أربعين ميلا. وقد كتبت بولا في مذكراتها بذكر ذلك: « مضيت في الطريق العام سيراً على القدم وأنا مبتهجة محبورة ». وبعد أربعة أيام كتبت في مذكراتها: « رجعنا فقيرين من المال إلا ريالا واحداً، غنيين بالذكريات الباقية مع السنين ».

ولكن أيام الإجازة هذه كانت نادرة، فقد كانت بولا مشغولة ببيتها كل الشغل، وأكثر ذلك أن أولادها الثمانية عشر كانوا هدفا لكل مرض إلا الجدري. وقد قضت بولا الليل كله مرات لا عداد لها تمرض أحد أولادها، ثم تقضي النهار كله أيضاً تمرضه وتعمل في البيت.

ولقد أصيبوا بالحصبة — الثمانية عشر جميعاً، وأصيب الثمانية عشر بالتهاب الغدة النكفية وبالجديري. واستؤصلت للثمانية عشر لوزهم وأزيلت لأحد عشر منهم الزائدة الدودية. أما من أصابهم الالتهاب الرئوي فلا يمكن حصرهم على وجه التحديد. وكانت شرهم إصابة « سالي » وهي في الثانية من عمرها. وكانت بولا حين قدم الطبيب، جاثية على ركبتيها تقطر الكونياك في حلق « سالي » بالقطارة ... قطرة ... قطرة ... قطرة. ولم تر بولا قط طفلة بلغ منها المرض هذا المبلغ.

وقال الطبيب: « لا فائدة. لقد سرى البرد حتى بلغ وسطها الآن، وستموت بعد ساعة ». فانتفضت بولا واستدارت وصاحت

به : « اخرج من هذا البيت ! وليخرج منه على الفور كل من يظن أنها ستموت » ودفعت الطبيب ، ودفعت زوجها أيضاً ، خارج البيت . ثم عادت إلى سالى تقطر الكونياك فى حلقها . . قطرة . . قطرة . وفى الساعة الثانيـة صباحاً كانت لا تزال فى موضعها على ركبتيها ، والقطارة فى يدها ، وهى لا تزال تردد : « لن تموت . . . »

وعاشت سـالى . وكذلك كان كل ولد من أولادها يمرض ولا يلبث أن يبرأ .

ولقد ضرب على هـذه الأسرة الحجر الصحى ثلاث مرات من أجل الإصابة بالحمى القرمزية . وفى آخر مرة كان روجر ورتشرد وباربارا وأوليف مصابين بها جميعاً وفى وقت معاً ، وكانت أوليف مصابة أيضاً بالتهاب الرئة . وظلت بولا ثلاثة أشهر كاملة لم تخرج من البيت . وكتبت فى مذكراتها : « وطنت نفسى على أن أستمتع بها ، وقد فعلت . إنهـا ثلاثة أشهر بديعة » .

ولقـد أغفلت المذكرات أن تذكر أن بولا لم يكن عندها مربية ، ولا معين أيًّـا كان ، وأن زوجها كان فى ذلك الحين يكابد حمى روماتزميـة ، وأنه كان على بولا أن تتعهد الفرن ، وأن تأتى بالحطب للموقد . ولقـد انفجر مرجل الماء الساخن ، ولما كان الوقود غير كاف فى مثل هـذا الشتاء القارس فقد انفجرت أيضاً أنابيب المطبخ ذات ليلة، حين تجمد الماء فيها ، وفى الصباح انزلقت بولا على جليد أرضه حتى تبلغ الموقد . فيالها من أشهر عجيبة حقاً !

وقبيل مولد « جين » ألقى فى يقين بولا فآمنت بصدق ما يقال من أن الجنين قابل للتأثر فى زمن الحمل ، فدخلت إلى المكتبة وتأبطت ما استطاعت حمله من روائع كتب الأدب العالمى وجعلت تقرأ فيها كل ليلة . وتدخل اليقين فى قلبها قائلة : « سيكون هذا الطفل علامة حاذقاً » .

فإذا جين هو الولد الوحيد الذى لم يتم فى حيـاته قراءة كتاب . وكل ما فى الأمر أن بولا تعودت منذ ذلك الحين عادة القراءة فى الفراش ، ولم تفارقها هذه العادة قط . ولـكن العجب كيف كان يتأتى لبولا أن تسهر على الـكتب بعـد العمل طوال اليوم فى خدمة هـذه الأسرة الـكبيرة ؟ فتقول هى : « لقد كنت فى معظم الأحيان أجد فى القراءة راحة كراحة النوم » .

وكان قد بدا لبولا ، منذ أوائل حياتها وهى زوجة، أنه لا يجمل بها أن يكبر أولادها وهم لا يرون فيهـا إلا أنها امرأة كدود ، إنها ذكرى لا تليق بأم . فدبرت أمرها بحيث لا تؤدى الأعمال الشـاقة إلا بعـد أن يأوى أولادها إلى الفراش . أما نهاراً

فكانت تلاعبهم وتعمل العمل الهيّن ، كالطبخ مثلا الطبخ لثمانية أفراد أو عشرة عمل هين خفيف ، أليس كذلك !

ولكنها كانت مضطرة إلى أن تنفض يدها من أمر الحديقة التي أحبتها . وقد كتبت في مذكراتها : « ما دامت هنالك أشياء كثيرة لا سبيل لي إليها ، فإني سأجعل العوض مما يعوزني منها ، أن أنصرف بغاية ما تطيق النفس والبدن إلى تنشئة بيت حقيقي ، بيتٍ قائم على التعاون والبهجة والأدب » .

ولقد مرت بها أيام لم تسلم فيها نفسها العظيمة من مساورة الضعف والوهن . وقد رحلوا عن بيتهم مرات — ولم يكن شيء أحب إلى « بابا آكلي » من المتاجرة . ورمت إحدى هذه الرحلات بولا في بيت شنيع لا راحة فيه ولا ماء . وهذا ما أثبتته في دفترها العتيق : « أنا مجهدة — أكدح ثماني عشرة ساعة في اليوم — لقد بلغ مني الجهد مبلغاً يقصر عنه الوصف ، لا طاقة لي بأن أستمر على هذا المنوال » .

ولم يلبث أن حدث في بعض الأيام ، وهي عند حوض الغسيل بالمطبخ شاردة الفكر في تلك الديون الخالدة التي تؤودهم ، أن سمعت بغتة دوياً كدوي الإعصار الشديد آتياً من ناحية البيت الملاصقة للمخزن . ففتحت الباب فإذا هي أمام جحيم مستعر ، وسرعان ما صار البيت نفسه كتلة من اللهب . وجعلت ترقب النيران المقعقعة وهي تلتهم كل شيء مما قضت تدخره سنين طوالا . وأخيراً شعرت فجأة بأن عبء الدنيا الذي كانت تحمله وتحس ثقله قد زلّ عن أكتافها .

وسألتني بولا : « كيف أجعل هذا المعنى يبدو لسامعه معقولا ؟ لقد خيل لي أن كل همومي ومتاعبي تحترق إلى غير رجعة » .

وعاد الصبية الكبار من المدرسة فألفوها شاخصة البصر إلى البقايا المحترقة الداخنة من شيء لم يبق له وجود فوق الأرض . وإذا بالجميع تتشابك أيديهم ، ويدورون حول الشجر وهم ينشدون أغنية مبتهجة مجنونة مطلعها : « سوف نبدأ حياة جديدة ! » . ومضت بولا تغنيها .

ولكن لقد اجتاحت النار كل ما تملكه أسرة آكلي — مخزن المحصولات الزراعية ، العربة الجديدة ، آلات المزرعة كلها ، حتى السماد الذي كان معداً لتسميد الأرض في الربيع . ويومئذ بدأ عهد طويل كل يوم منه مثقل بعبء من الدين تنوء به القلوب .

وكانت بولا منذ سنوات قبل الحريق قد أقدمت على أمر خطير . فقد كانت فوق تل « هاردي » مزرعة كبيرة معروضة للبيع ، فاقترضت من صديق قديم ما يكفي لشرائها

وأرادت أن تجعلها أجمل موضع للسكنى في « برساك إيل » ، حيث يرى الناظر تحت قدمه روائع مقاطعة أروستوك منشورة منبسطة . ولقد استطاعت بولا بعد ثلاث سنوات أن تبيع قطعاً منها ، وأمكنها بذلك أن تبنى بيتاً ، ثم باعته ليكون وجوده مشجعاً للعمران . فلما وقع الحريق رهنت عقارها لتحصل على ما يلزم من المال ليعاود زوجها زراعة البطاطس ، بما يتطلب ذلك من محاريث وآلات وسماد وبذور .

ولكن على الرغم من كد الزوج وتحامله على نفسه في العمل ، كانت بولا تعرف حق المعرفة أنه لا بد لها من مورد مال نقدي مكفول . وكان نصف الأولاد الثمانية عشر لا يزالون صغاراً في البيت . وكانت بولا الرحيمة السليمة القلب قد تطوعت فقامت بعمل أمينة مكتبة البلدية حتى تتسنى للعجوز إجازة ، وهي أحوج ما تكون إليها . فأعقب ذلك أن طلب المشرفون على المكتبة من بولا آ كلى أن تكون الأمينة الدائمة . ومن غير بولا في البلدة له هذه السعة في الاطلاع ، وهذا الحب للكتب ؟

ولقد أحبت بولا عمل المكتبة ، ومرت أسابيع طوال كان فيها المرتب الذي تقبضه من المكتبة هو كل ما تعرفه الأسرة وتعيش به من مال ، ولقد شغلها عملها بالكتب وبالناس ، وبولا تحب الكتب والناس . وقد جعلت المكتبة قبلة من لا أنيس له ، حيث يظفر بصداقتها هي وصداقة الكتب .

وجاء يوم ذكرى زواجهما في إحدى السنين وبولا مريضة في الفراش . ولما كان زوجها يعلم أنه يوم أثير يحتفى بأمره ، حمل إليها باقة من الورد ، وحياها وقال : « أليس هذا يوم ميلادك ؟ » . فقالت في صوت العاتب : « بابا — إنه عيد زواجنا ! » . فأجاب بابا في خجل : « أنا أعرف أنه شيء من قبيل الميلاد . إنه ميلادى ، لأنني لم أبدأ الحياة إلا يوم تزوجتك » .

ولعل أحب فقرة عندى في جميع ما أثبتته بولا في مذكراتها هي هذه : « في يوم الخميس احتفلنا — أنا وبابا — بعيد زواجنا الرابع والثلاثين . وقد أعددنا دجاجاً للعشاء وجاء الأولاد ، فلما انصرفوا حمدنا الله على السنين التي أتيح لنا أن نعيشها معاً ، وأن يحب كل منا رفيقه . وعجب أن جعل حبنا ينمو حتى أصبح حبنا الأول كأنه لا شيء ، إذا ما قيس بالذى بيننا اليوم من ألفة وعطف وتفاهم » .

وفي صباح يوم من أيام الأحد جلست مع أسرة آ كلى في برساك إيل . ولقد خيل لى عندئذ أنه لن يتيسر لى يوماً ما أن أرى أو أجالس إنسانين أكرم منهما عند الله

كيف كافح الفرنسيون المجاعة

إدوين مولر

ملخصة عن مجلة " تريكولور "

دهاء واعتماد على النفس يحبطان سعى الألمان أينما توجهوا .

دبر النازيون أمر هذه الحرب منذ حين ، كان من أهدافهم البعيدة أن يضعفوا الممالك المجاورة ، وذلك بإضعاف أبدانهم وضعضعة نفوسهم ، حتى لا يجد « شعب السادة » من ينازعه في المستقبل حق الحكم في أوربا .

وكان من أمضى أسلحتهم المجاعة المنظمة ، فبها يمكنهم خفض نسبة المواليد ، وزيادة نسبة الوفيات ، ورد من بقي حيا إلى الدرك الأسفل من الضعف والوهن . وأكثر من ذلك أن يضوّوا الأطفال (يعوقوا نموهم) حتى لا يترعرع صغير قط فيصير فتى صحيح البدن .

وقد أدرك النازيون وطرهم في بعض البلاد ، فقد تنقضي أجيال قبل أن تصح اليونان أو بولندة من علتها . أما في فرنسا فلم ينجح النازيون ، فهم وإن كانوا قد جلبوا عليها الضر والبلاء ، إلا أنهم أخفقوا في تجويع الشعب تجويعاً باقي الأثر . وما أخفقوا إلا لأن الفرنسيين أرادوا أن يستنقذوا أنفسهم ، فحازوا النصر في معركة الطعام . إنها إحدى روائع قصص الحرب التي يمكن اليوم أن تروى .

عاشت فرنسا ما عاشت في رغد ، فحتى الزراع والعمال كان طعامهم المرق الثخين والخبز الفاخر اللذيذ ، والجبن الكثير ، والنبيذ الأحمر . لذلك لن ينسى الفرنسي جزعه وخيبة أمله حين فرض الألمان عام ١٩٤٠ نظام الجراية . وهذه الجراية يتراوح مقدارها بين ١٣٠٠ سُعْر (وحدة حرارة) و ١٦٠٠ سعر في اليوم . والذي يقدره خبراء التغذية يتراوح بين ٢٢٠٠ سعر و ٢٦٠٠ سعر ، حدا أدنى لسلامة البدن .

لقد صار عماد جراية الرجل البالغ رغيفاً من الخبز الأسود كل أسبوع ، ونحو رطل من اللحم كل شهر ، وما يقل عن نصف رطل من الزبد والشحم والجبن ، ونحو رطل من السكر ، ومقداراً يقل أو يكثر ، وإن كان دائماً لا يكفي ، من البطاطس . وهذا جل طعامه ، سوى ما يمكن الحصول عليه من الخضروات والفواكه مما لا يشمله نظام الجراية .

وكان شتاء عام ١٩٤٠ بلاء عليهم ،

وأخذ الجوع يودى بالشعب الفرنسى إلى الهلاك . وفى سنة ١٩٤١ زاد معدل الوفيات ١١ فى المئة على معدلها فى سنة ١٩٣٨ ، وتراوح النقص فى وزن البالغين بين ٣٠ رطلا و٤٠ رطلا ، وكثرت أمراض سوء التغذية كالسل وفقر الدم والكساح .

أما الأطفال فصاروا إلى شرّ حال ، فقد وقف نموهم ، واستدقّت سيقان الرضّع منهم وانتفخت بطونهم ، وبلغ عدد الوفيات من الأطفال مبلغاً مفزعاً .

ولكن رغبة الشعب فى الحياة لم تهمد ، فاتجهى إلى سبيل يكفل له ولأولاده الطعام .

لم تمهد لهم هذا السبيل هيئة مسيطرة — بل لعلها كانت وليدة الجهود التى بذلها أفراد اعتمدوا على أنفسهم فى العمل .

وقد نبتت ونمت على مر الشهور طريقة خفية كل الخفاء للإنتاج والتوزيع :

وطبقاً للنظام النازى ، كان على كل عمدة فى كل بلدة أن يقدم بياناً عن جميع المزارع ، يبين فيه المساحة ومقدار محصولها المعتاد ، وكان المفتشون الألمان يزورون كل مزرعة للتثبت من صحة البيان . وكان أكثر العمد وطنيين لا يرضون عن معاونة الألمان ، فوضعوا نظاماً محكماً بدخل الاضطراب على السجلات ، وقدموا بياناً ناقصاً عن المساحة المزروعة . وكانت الحقول تحرث حرثاً غير منظم حتى يصعب تقدير مساحتها ، وإذا وقع حقل بين مزرعتين حرث بحيث لا يهتدى إلى موقعه بينهما ، ويقدر ما اختفى بهذه الطريقة بما يبلغ ٢٥٠,٠٠٠ فدان .

فإذا ما عثر الألمان على خطأ فاستنكروه ، وجد العمدة عذراً مقبولا كأن يقول : « إن الموظف المسئول كان من أسرى الحرب أو العمال المبعدين » ، أما هو فقد بذل غاية جهده . ثم ترى ألمانياً يتميز من الغيظ يستقبل وجه عمدة عليه آيات البلاهة ، وكثيراً ما ينتهى الأمر بالصفعات ثم السجن. ولكن العنف لم يستطع أن يستبدل بالفوضى نظاماً ، ويخلف العمدة آخر فإذا هو مثله بلادة وبلاهة . وفى وقت ما أعاد الألمان إلى فرنسا ٢٨٠ من أسرى الحرب كانوا من الخبراء فى الزراعة ، فجعلوا العمل أحكم تخليطاً وفساداً .

وكانت هناك طرق شتى يمكن بها إسقاط حقل برمته من السجل . فقد حدث مثلا فى إحدى السنوات أن أمر الألمان بإنتاج مقدار كبير من حبوب الزيت ، فزرعت الحبوب كما ينبغى بمراقبة الألمان ، فلما رحل المفتش أتلف الزراع أكثرها ، ولما عاد مرة أخرى ولم ير إلا بضع أعواد سقيمة ، جعل الزارع منهم يشكو له قلة السماد والعمال وقلة خبرته بهذا النوع من الزرع . فيسقط

المفتش ذلك الحقل من حسابه . وعندئذ يزرع الفلاح زرعاً يؤتى أكله قبل أوان الصقيع .

أما الماشية والخنازير فكان إخفاؤها أيسر أمراً . وكان لكل مزارع زريبتان للخنازير ، إحداهما فى الجرن والأخرى مخفاة فى الغابات . فإذا أخذ المفتش ينتقل من حقل إلى حقل متخذاً الطريق العام ، ساقوا الماشية فى دروب نائية حتى لا يعثر عليها البتة .

كان ما يربى من الأرانب فى فرنسا وافر العدد ، غير أن إنتاجها زاد زيادة كبيرة إبان الاحتلال ، والأرنب حيوان نَشُور (كثير النسل) ولا يتطلب إلا بعض العناية ، ويكاد يأكل أى نبت أخضر ، وفوق ذلك أنه مما يسهل إخفاؤه . فعلى الفرنسيين أن يقيموا بعد الحرب تمثالا عظيما تكريماً للأرنب .

وهكذا أنتج الفلاح الفرنسى ، بالمكر والجرأة والعمل الدائب ، ما يعوض الجزء الأكبر من النقص فى غذاء الأمة . ولكن هذا لم يكن إلا شطر المعركة ، أما أشق الجهدين فهو وضع طريقة صالحة للتوزيع فى الخفاء .

كان تاجر الجملة وتاجر التجزئة كلاهما يدير أمر تجارتين ، إحداهما مشروعة وتنفذ جهْرة ، والأخرى غير مشروعة وتنفذ خلسة ، وكانوا ينقلون الطعام المهرب من المزارع بأن يزيدوا فى حمولة عربات السكة الحديدية فى مقاديرها المقررة ، وبأن يلحقوا بالقطارات عربات شحن أخرى ، وآزرهم عمال السكك الحديدية المخلصون لوطنهم ولقد استخدموا أيضاً سيارات كثيرة فى النقل ليلا .

وكان التوزيع المحرم يتم غالباً كالتهريب من بيت إلى بيت ، فيدور صبى الجزار أو البدال فى ساعات النهار يقيد المطلوب من الطعام الذى لا تبيحه الجراية ، ثم يتم التسلم بعد الغسق ، أو يذهب المشترى فيأخذ ما طلب . وكل هـذا ، بلا ريب ، هو سوق سوداء ، ولكنها كانت للرجل الفرنسى ضرورة لازمة ، وإخلاصاً للوطن ، وعملا لا لوم فيه ولا تثريب .

ولكن هذه الطريقة لا يمكن أن تجدى إلا فى جزء يسير من التوزيع فى الخفاء ، والأكثر أن يتولى المستهلك بنفسه أمر الحصول على الطعام الخارج عن جرايته ، فيخرج إلى الريف على دراجة أو بالقطار ، فترى أصحاب الدراجات يتسللون إلى المدينة بعد الغسق وسلالهم محملة بالمؤن . أما الرحلة بالقطار فهى أشد خطراً ، ولكن آلافاً من الباريسيين كانوا يرتحلون كل أسبوع إلى نورمندى ليشتروا الطعام . وقد قبض

على كثيرين ، ولكن عدد الألمان لم يكن يكفي إلا لفحص جزء قليل من أمتعة المسافرين . وعلى مر الأيام أصبح الفحص عملا سهلا بيناً ، فصار بعض المفتشين لا يبذل إلا شطراً من جهده في أداء عمله . وقد أخبرني أحد الباريسيين أنه وصل مرة إلى محطة سان لازار ومعه حقيبتان كبيرتان تجاه المفتش الفرنسي يصحبه ألماني وسألاه عما في الحقيبتين ، فأجاب المسافر : « خنزير سمين ولا ريب ! » ثم ضحك الثلاثة ، وسار هو في طريقه . ولقد كان خنزيراً مقطعاً . وكانت طرود كثيرة ترسل بالبريد وكثير من الموظفين النازيين كانوا يزاولون تجارة خفية تحتويها طرود البريد ، فهم لا يحبون أن يفتش البريد تفتيشاً دقيقاً .

فإذا كان لأسرة من سكان المدينة صلة بالريف جعلوا لأصحابهم وجيرانهم نصيباً من خيرها . وقد أخبرتني سيدة باريسية أن صلتها بالريف هي صلتها بعمة لها عجوز كانت تقيم بالقرب من أفرانش ، فكانت العجوز تقطع بدراجتها ما بين ١٥ ميلا و ٢٠ ميلا في اليوم ، تجمع الزاد من عدد من المزارع وتصدرها بالبريد إلى ست أسر .

وقد حاول الألمان أن يفسدوا عليهم عملهم ، فأخذوا من المزارع خير رجالها ، وخفضوا مقادير الجراية مرة أخرى ، وزادوا مقادير ما يرسل من الطعام إلى ألمانيا . وبذلك ظل الناس جياعاً ضعافاً ، إلا أن ذلك النظام الخفي وقى الأمة شر الهلاك .

وقد نقصت نسبة الوفيات حتى أنها لم تزد ، عند ما تم تحرير البلاد ، غير اثنين في المئة عما كانت قبل الحرب ، إلا أن نسبة الأمراض التي يورثها سوء التغذية ظلت عالية ، وكان شرّها السل ، فقد بلغت نسبة زيادته ١٥ في المئة . ولم يزل وزن الشبان البالغين دون ما ينبغي ، وكثير منهم لا يستطيعون أن يؤدوا عمل يوم كامل .

أما الأطفال فقد بدأت أبدانهم تنمو مرة أخرى ، وإن كان من المحتمل أن وزن ٧٠ في المئة منهم لم يزل دون ما ينبغي . ولكن الأطفال ليّنو الأبدان كل اللين ، فالغذاء الطبيعي ، إذا ما ردّ عليهم ، يضمن لهم أن يصيروا إلى الصحة والعافية .

وجاء أغسطس عام ١٩٤٤ ، وتسابق الحلفاء في أرض فرنسا ، ثم دخلوا باريس ، ويومئذ قال الرجل منهم لنفسه : سوف آكل كما يجب مرة أخرى . نعم ، سوف أنعم مرة أخرى بالمرق الدسم والدجاج المسلوق في النبيذ الأحمر والبصل ، وسوف أنعم باللوبياء الطرية مطبوخة بالزبد ، وبقطع الجبن الكبيرة المستديرة الذهبية اللون .

ولكن لشد ما خاب أمله ، ففي خريف سنة ١٩٤٤ وشتائها ، كان الطعام المتيسر فى فرنسا أقل مما كان فى عهد الاحتلال الألمانى.

هذا أمر لم يكن منه مفر ، فإن الألمان المتقهقرين حملوا معهم ما استطاعوا حمله من الزاد ثم أتلفوا الباقى ، وأخذوا القاطرات ومركبات السكك الحديدية والسيارات أو حطموها . وقد خربت قذائف طائرات الحلفاء والألمان ونيران مدافعهم : القضبان والجسور ، وبذلك عاقوا نقل الطعام . وكان البنزين قليلا لا يكفى آلات الزراعة ، وكذلك كان الفحم المطلوب لمعامل السكر . وقد منع صيد السمك من أجل الأعمال البحرية الحربية فى المانش . فلاتقاء كارثة ككارثة عام ١٩٤٠ ، وضعت الحكومة الفرنسية الجديدة نظاما جديداً للجراية ، ولكن الشعب ظل يخالف القانون ، وإن كان يومئذ قانون حكومتهم . وجعل كل امرئ يشكو شر السوق السوداء ولكنه يشارك فى رواجها . ولا يزال صبي البدال يقوم بتسليم بضاعته من الطعام الخارج عن الجراية وتزدهر مطاعم السوق السوداء ، حيث يقدم العشاء الفاخر ، وهى تتقاضى عشرين ريالا عن الفرد الواحد . ولا تزال تأتى إلى باريس حمولة عربات من الزبد المهرب ، وكذلك السفر إلى الريف فى طلب الطعام لم يزل مستمراً .

من العسير على شعب دُفع إلى الحرية دفعاً بعد أربع سنوات قضاها مستعبداً ، أن يقلع من فوره عن عادات ألفها فى تلك السنوات . ولكنهم إذا أصلحوا فاسد عملهم فى أمر الجراية وتوزيعها ، وإذا حول الحلفاء بعض مجهودهم للمساعدة فى إصلاح وسائل النقل ، فعسى أن يظفر الفرنسيون فى النهاية بالعافية المستردة ، لا بل بما هو خير من ذلك أثراً فى حياتهم . لقد كانت فرنسا قبل الحرب أمة متخاذلة ، وكل طبقة من الناس تحارب أختها ، ولكن هناك ما يدل على أن روح المشاركة التى نمت فى عهد الاحتلال سوف تتجلى فى حياة الأمة السياسية والاقتصادية بعد الحرب .



تزوج ملازم فى الجيش ، فاحتفل بهما أصدقاؤهما قبل سفر الزوج إلى ميدان القتال ، فرفع الملازم كأسه ليشرب تحيةَ عروسه الجميلة وابتسم وقال : « هذه هى المرة الوحيدة التى أخلف فيها مستقبلى وراء ظهرى » .

[بسدْ أشر فى مجلة « كارانان »]

تصنع من اد السليكونية العجيبة أشياء لا يمكن أن تصنع من غيرها ، حتى لقد أصبحت صناعة كبيرة جديدة .

شيء جديد صنعناه وغريب في المعامل الكيميائية

هارلند مانشستر

ملخصة عن مجلة « ذى روتريان »

منذ سنة تقريباً عمد أحد رجال قسم الإعلان عن شركة « جنرال إلكتريك » إلى علبة سجائر ففتحها ، ثم قذف السجائر فى وعاء من الماء .

ثم قال للصحفيين المجتمعين : « تفضلوا فدخنوا » فلما رفعوا السجائر من الماء ، تحدّر الماء عنها قطرات ، ولم يصبها حتى بلل .

وبعد بضعة أشهر أخذ مهندسو « وستنجهوس » محركا كهربائياً قوته ثلاثة حُصن وفككوا أجزاءه ثم أعادوا تركيبها بعد أن لفوا عليها نوعاً جديداً سرّيا من السلك العازل ، فإذا المحرك يولد قوة عشرة حصن .

وعلى إثر ذلك حلقت القلاع الطائرة المتفوقة فوق طوكيو مجهزة بمادة تشبه المطاط لتغطية المفاصل والأسطوانات وغيرها ، فاحتملت الحرارة احتمالا لا تطيقه أية مادة أخرى .

ثم ظهرت منذ أسابيع مادة جديدة ساحرة تشبه الجلد الناعم ، وتبدو كأنها الصلصال ، ولكن إذا لففتها وجعلتها كتلة ، ثم ألقيتها على الأرض ، فإنها ترتد كأنها كرة .

هذه الأعمال العجيبة ، وكثير مما هو على غرارها ، إنما هى نتيجة لخواص « السليكونات » وهى طائفة جديدة من المواد الراتنجية الصناعية ، وأروع تطور فى العجائن الكيميائية خلال السنوات الثلاثين الأخيرة . والفضل فى استحداث هذه المادة الجديدة المتعددة المنافع وتحسينها ، يرجع إلى رجال البحث العلمى فى شركتى « داو الكيميائية » ومصانع « كورننج » للزجاج .

تصنع السليكونات جميعاً من مواد أساسية واحدة — البترول والماء الملح والرمل . والمادة الجديدة متفاوتة الأشكال من غاز يتلاشى فى الهواء الرقيق ، إلى مادة صلبة كالصخر . وقد تكون سائلة كالماء ، أو كالزيت الكثيف ، أو كالمطاط اللين . ومهما كان القالب الذى تفرغ فيه ، فهى ذات مزايا غير متوقعة لا تقوّم بمال . وقد عولجت السجاير ، ورقاً وطباقاً ،

ببخار السليكونات ، فغدت ممتنعة على نفاذ الماء . وقد عرض الدكتور أ . ل . مارشال أحد الرواد فى استحداث السليكونات عرضاً ليبين إحدى مزاياها . أمسك بيده فوطة مصنوعة من الورق ، فوق إناء يحتوى على سائل سليكونى شفاف ، ثم رش الماء على الورق . فظلت كل قطرة من الماء قطرة فَرْدَةً . فلما أمال الورقة تدحرجت القطرات عنها قطرة قطرة ، وبقيت الورقة لا أثر للبلل فيها . فقال الدكتور مارشال : إن التعرض لبخار السائل السليكونى يضفى على ألياف الورق غشاء يبلغ من الرقة مبلغاً يعجز المجهر عن تبينه ، ولكنه مقيم على الزمن بحيث تتدحرج قطرات الماء عن ورق عولج به منذ ثلاث سنوات .

هـذه المزية المفردة فى المادة الراتنجية الجديدة ، تفتح أبواباً كثيرة من الرجاء ، مثل أكياس من الورق لا ينفذ منها الماء للدكاكين الخضر ، وأغطية للرأس ترد الماء وتباع لمشاهدى مباريات الكرة بثمن إحدى شطائر الطعام ، وفى الوسع معالجة ملابس الصيف الخفيفة والأحذية بهذا البخار . وقد يستطيع الناس يوماً ما ، أن ينطلقوا آمنين فى المطر المنهمر ، على حين ترتد قطرات المطر عن ثيابهم فتتركها جافة ، وإذا غسلت هذه الملابس أو نظفت بالبخار لم تفقد هـذه الطبقة الواقية الخفية .

وقد استعمل هذا العلاج بالبخار السليكونى فى الطائرات المقاتلة ، فحال دون انقطاع أسباب التخاطب بالراديو . فحين تغيب طائرة فى سحابة ممطرة ، تمتص الأجزاء العازلة المصنوعة من الخزف فى أجهزة الراديو قدراً من الماء ، فتتصل الدورة الكهربائية بين الأطراف ، ويعجز جهاز الراديو عن العمل . فإذا عولجت الأجزاء العازلة بالبخار السليكونى ، تحدَّر عنها الماء كما يتحدر عن ظهر بطة .

إن قوة محرك كهربائى ومدة نفعه يرتبطان ارتباطاً كبيراً بمقدار الحرارة التى تستطيع أجزاؤه العازلة أن تتحملها دون أن تحترق . وقد تعاون مهندسو شركة « داو كورننج » — وهى شركة أنشئت فى مشيجن سنة ١٩٤٣ للتخصص فى صنع هذه المادة الراتنجية الجديدة — مع مهندسى وستنجهوس فى تجربة الأجزاء العازلة المصنوعة من هذا الراتينج . فالمحرك الكهربائى فى الترام لا يحتمل عادة حرارة أعلى من ١٣٠ درجة سنتجراد ، فلفت عليه أسلاك عازلة معالجة بالمادة السليكونية ، وجعل يدور دوراناً سريعاً حتى سجل مقياس الحرارة درجة ٢٥٠ سنتجراد . وكان المحرك لم يزل كأحسن ما يكون بعد

ثلاثة آلاف ساعة من الدوران — وهذا يعدل دوران المحرك ٤٠٠ سنة قديماً ، واستعمال هذه الوسيلة فى العزل يعنى أن المحركات يمكن أن تكون أصغر وأخف ، وأخلق بالاعتماد عليها فى كل ما يطلب منها .

هذه المادة الرائعة الجديدة المصنوعة كيميائياً ، يمكن أن تحول شحماً شبيهاً بالفازلين ، فلا يتجمد إذا هبطت الحرارة عن درجة ٤٠ تحت الصفر ، ولا يسيل إذا ارتفعت إلى درجة ٢٠٤ ٤/٩ فوق الصفر . فزيوت التزييت المصنوعة منه تنساب حين تكون درجة الحرارة ٧٣ ١/٣ تحت الصفر ، وإذن ففائدة استعمالها واضحة فى طائرات كثيراً ما تحلق فى دقائق ، من سطح مطار فى منطقة استوائية حارة إلى أطباق الجوّ العالية الباردة .

هذه الصفة النافعة من صفات السليكونات — وهى قلة التأثر بالحرارة أو البرد — تخفى وراءها قصة ما تمّ فى بناء جزىء . إن عنصر الكربون هو اللبنة الأصيلة فى بناء الجزيئات المتشابكة فى سلسلة طويلة ، والتى تصنع منها العجائن الكيميائية وكذلك أصناف المطاط الطبيعى والمصنوع . فالكربون لا غنى عنه فى العجائن ، ولكن الكربون يتأثر بالحرارة . وقد قضى العلماء سنين يحاولون أن يدخلوا فى تركيب هذه الجزيئات مادة تقاوم الحرارة . وعنصر السليكون الذى يكون فى الرمل والبلور الصخرى (الكوارتز) ، والذى هو من أكثر العناصر فى أديم الأرض ، هو أقل من الكربون تأثراً بالحرارة ، فيجعل للعجائن مزية فى مقاومة الحرارة . وقد ظفر العلماء أخيراً بما يريدون ، فاعتمدوا على أسلوب من المزاوجة الكيميائية : وضعوا جزيئاً جديداً كل الجدة وقوامه ذرات السليكون والأكسيجين بدلا من الكربون . وفى هذه المزاوجة الكيميائية بين طائفتين من العناصر لم تتحدا قط من قبل ، يتخذ الجزىء من السليكون مزية مقاومة الحرارة العالية والبرد الشديد ، ويتخذ من الكربون صفة تعدد المنافع التى تتيح للعلماء ورجال الصناعة أن يصنعوا من السليكونات مواد متعددة سائلة أو جامدة .

وقد ظل الأستاذ ف . س . كيبنج ، فى جامعة نوتنجهام بإنجلترا ، يدرس هذا الموضوع هو وطلبته أربعين سنة ، فوضع القواعد العلمية لهذه المادة العجيبة الجديدة . وقد صنع مركبات سليكونية تشبه الغراء ، ولكنه خلص إلى أنه لا يرجى منها نفع تجارى . ولكن الدكتور إ . س . سليفان أحد باحثى مصانع كورننج ، قرر منذ

عشر سنوات ، أن يجوب ببحثه الميدان الكيميائى ، الواقع بين الزجاج والعجائن . فبنى على الأساس الذى وضعه كيتنج وصنع عجينة سليكونية صالحة . وكانت شركته تعلم كل مايعرف عن الزجاج ، فعمدت طبعاً إلى الاشتراك مع شركة داو الكيميائية ، وكانت فى طليعة الشركات التى تنتج العجائن ، وإذا للمادة الجديدة فوائد حربية سرية ، فبنت الشركتان مصنعاً جديداً كامل العدة لتلبية الطلب المتزايد .

وفى خلال ذلك كان الدكتور مارشال وغيره من علماء جنرال إلكتريك ، يوجهون تجاربهم إلى صنع مطاط سليكونى. ومن الأصناف العجيبة التى صنعوها ، تلك المادة التى ترتد كالكرة ، وقد سبقت الإشارة إليها ، هذه المادة الغريبة تمط كاللبان ولكنها لا تلصق . فإذا طبعت عليها طابعاً (كليشيه) حفرت عليها صورة واضحة، وإذا صنعت منها كرة وقذفتها على الأرض ارتدت تتنزى ، وإذا وضعت على الأرض استرخت وأصبحت كتلة مستديرة من الغراء اللين . وقد كانت طائفة من النماذج التى رأيتها قصفة كالزجاج (سهلة الانكسار) وكانت أخرى مما يمطل أليافاً دقيقة طولها أقدام كثيرة . وهذه المادة السليكونية تصطبغ بأى لون تريد ، ولكن لم يكشف حتى الآن لهذه المادة المسلية منفعة عملية .

أما المطاط السليكونى الذى صنع بعد سنوات من التجارب التى أجراها الدكتور مارشال ، فليس لعبة من اللعب . وقد كشفت طريقة لتنقيته ، فيحتفظ احتفاظاً دائماً بالشكل الذى يفرغ فيه ولكنه مع ذلك يبقى مرناً . ففى القلاع الطائرة المتفوقة الضخمة تتولد حرارة عالية جداً فى الأجهزة التى تغذى المحركات ورجال الطائرة بنسمة الحياة فى الهواء اللطيف على ارتفاعات عالية. فلم يكن بدّ من مادة مرنة لتغطية صناديق الأجهزة تغطية محكمة . وقد أثبتت التجربة أن أنواع المطاط الطبيعى والصناعى ، لا تلبث أن تصبح قصفة ولا نفع فيها . أما المطاط السليكونى ، وهو لم يكد يخرج من المختبر ، فخير مادة لهذا الغرض .

وحين احتاج الأسطول الأمريكى إلى مادة مرنة لتكون بمنزلة الوسادة لعدسات المصابيح الكشافة تقيها رجّة إطلاق القنابل، جرب رجاله هذا المطاط السليكونى. وهذه المصابيح تتعرض لبرد يبلغ ٤٠ تحت الصفر ولحرارة تبلغ ١٧١ درجة ، فلم يحترق هذا المطاط المصنوع من الرمل ولم يجفّ ولم يتشقق .

وقد حال ضعف مط هذا النوع من المطاط دون استهلاكه فى كثير من الوجوه

كإطارات السيارات مثلا . على أن المهندسين واثقون بقدرتهم على التغلب على هذه العقبة التي تحدّ من استعماله ، وعندئذ يصبح عمر الإطارات المصنوعة من المطاط السليكوني المقاوم للحرارة — وهي تعد أحد أسباب هلاك الإطار — كعمر السيارة نفسها.

وينتظر أن يكون للمواد الراتنجية السليكونية السائلة ، مستقبل عظيم في أنواع الدهان والمينا التي تقاوم تأثير الحرارة وضوء الشمس والمواد الكيميائية الأكّالة . وقد رأيت في مختبر جنرال إلكتريك لوحةً من الفلز طليت بمينا سليكوني ، ووضعت مئة ساعة في فرن بلغت حرارته ٢٥٠ درجة سنتجراد ، وكان الطلاء لم يزل أبيض كما كان حين وضع في الفرن . فطلاء من هذا النوع يجب أن يشتد الإقبال عليه في طلاء أفران الطبخ والمدفئات ، وجميع المعدات التي تطلى عادة بالمينا . وقد دلت الأبحاث على أن الطلاء السليكوني لا يتأثر بالتعرض لضوء الشمس سنين كثيرة ، وهذا يجعله خير ما تطلى به الأشياء المكشوفة للضوء والحرارة كالسيارات .

كان ارتقاء صناعة المواد السليكونية ارتقاءً سريعاً ، فلذلك لا تزال منافعه المرجوة في المستقبل ضرباً من الظنون ، ولكن رجال البحث العلمي شديدو الحماسة ، وجميع الدلائل تدل على أن هذا الأمر ليس ظهورَ عجينة كيميائية جديدة وحسب — بل هو مولد صناعة جديدة .

هـذه قصة جندي عن خادم عربة الأكل الذي دأب على جواب واحد كلما سئل عن خير إفطار يستطيع أن يقدمه للركاب ، وقد كان الجواب : « لا تتعب نفسك . كل الطعام سواء — في رداءته » .

فطلب الجندي عجة مصنوعة على الطريقة الإسبانية وما يتبعها ، وحين فرغ من أكلها استدعى الخادم وقال : « كانت لذيذة — فلماذا قلت ما قلت ؟ » .

فقال الخادم : « أقول دائماً لكل من يسأل ، إن الطعام ليس جيداً ، فحين يأكله يفاجأ مفاجأة تسرّ » ثم انحنى على أذن الجندي وهمس قائلا : « إنني ، كما ترى ، سيكولوجي ! » .

[صحيفة « ب . م »]

أتحسبنى أخادعك ؟

ج . س . فرناس

ملخصة عن مجلة " إسكواير "

من أبعث الوسائل على الرضى ، لتزويده البشر بما يشتاقون إليه من أن يشعروا كأنهم بله .

وللتمثيل وعلى سبيل البيان أذكر قصة العربى القديم ، وكان رجلا حاد الطبع ، شغف ابناه إلى حد الجنون بسباق الخيل وكان لكل منهما حصان سريع . وأضجر الشيخ جدالهم الذى لا ينتهى فى أى الجوادين أسرع ، وبلغ من ضيقه بذلك أنه لما مات ترك وصية يوصى فيها بما يملك لابنه الذى يخسر جواده فى السباق من مكة إلى المدينة .

فاشتدت الحيرة بالفتيين حيال هذا المشكل : كيف تخسر فى السباق إذا كان مسابقك أيضاً يريد أن يخسر ؟ ولكنه كان عليهما أن يحاولا ، فانطلقا يكبحان الجوادين ، ويستديران راجعين ، ويرهقان حصانيهما ولا يبلغان مكاناً ما بسرعة . فلما جن الليل كانا عند منتصف الطريق إلى المدينة ، فاتفقا على المبيت فى خان مريح ، واستئناف السير فى الصباح .

ووجدا فى الخان أعرابيا حكيما بثاه متاعبهما ، فقال إن مسألتهما فى غاية السهولة ، وهمس فى أذن أحدهما شيئاً ، وفى أذن أخيه نفس الشىء ، وانصرف . فضرب الأخوان ركبتيهما فرحين ، وفى صباح اليوم التالى أسرجا جواديهما وركبا إلى المدينة ، وحثاهما على إخراج كل ما عندهما من الجرى . وكان سباقاً رائعاً فربح جواد ، وخسر جواد ، وحصل ما تتطلبه الوصية . ولكن ماذا قال ذلك الشيخ الأعرابى حتى حملهما على هذا التصرف ؟

وهذه قصة قديمة تتفاوت رواياتها ، ولكنها مما كانت تحفظه عمتك أو جدتك ، وأخلق بها أن تنبئك بها إذا سألتها . ومهما يكن مبلغ قدمها فإنك تكون ذكيا إذا أدركت سرها وحللت لغزها . وما يقدر على الحل أكثر من واحد من ثلاثة أو أربعة — يبتسم ويخبرك أن الشيخ الأعرابى الحكيم أشار على الفتيين أن يركب كل منهما جواد الآخر .

وإذا اهتديت إلى حل الأعرابى ، وظننت أن هذا أمر سهل ، فإليك أصعب الألغاز ومن مزاياه أنه أبسطها . يخرج رجل اسمه سميث — أو جونز إذا شئت — ليتمشى

فيلقى صديقاً قديماً لم يره ولم يسمع عنه خبراً منذ عشرين سنة ، فيقول الصديق القديم: «لقد تزوجت مذ قابلتك آخر مرة ، ولنا بنت صغيرة ، ها هى ذى » فيلقى المستر سميث على البنت الصغيرة هذا السؤال: « ما اسمك يا صغيرتى ؟ » وتنزع الصغيرة إلى المشاكسة فتقول : « إن اسمى كاسم أمى » فيقول المستر سميث : « آه ! إذن اسمك مرغريت ؟ » فتقول الفتاة الصغيرة: « نعم » . والآن كيف عرف المستر سميث أن الاسم هو مرغريت ؟

والجواب تدركه بالبداهة كما تدرك الموسيقية فى قصيدة من الغزل . وقد رأيت محامياً ملحوظ المنزلة له عقل كأنه فخ من الصلب ، يعكف على نسخة مطبوعة من هذا اللغز أسبوعاً ثم ينفض يده يائساً . وتستطيع أن تعابث فريستك بالتلميحات فتقول له إنه افترض فرضاً غير صحيح ، وتدعه يحاول الاهتداء إليه ، وقل له إنه لا يستطيع أن يقص هذه القصة بأية لغة أوربية معروفة جيداً ، غير الإنجليزية ، بدون أن يكشف عن موضع السر فيها ، والجواب المحنق الذى يمحو الإلغاز هو أن « صديق » المستر سميث ، القديم ، امرأة وكان المستر سميث يعرف اسمها الأول بالطبع ، ولكنك تفترض دائماً أن الصديق القديم رجل — فتضل ولا تهتدى . فخذ حذرك حين تقص هذه القصة لئلا يزل لسانك « بهو » أو « هى » فيبطل اللغز . فإذا سألك بعضهم سؤالا ، وأساءوا فى أثناء ذلك الرواية ، فأعدها مظهراً الحلم واتلها عليهم مرة أخرى.

وهذه هى زبدة الجميع لأنه ليس فيها إلا ألزم ما يلزم لفخ دقيق يقع فيه الرجل. وهى — بالمقابلة — مثال فظيع لما يجب أن لا يكون عليه اللغز . وهى مشهورة ، وقد صنعوا منها حديثاً شريطاً سينمائيا .. إى نعم ، فإنها هى قصة الفتاة فى فندق بباريس .

عادت فتاة انجليزية وأمها من الهند ، ونزلتا فى أثناء رحلة الإياب بفندق فخم بباريس أثناء إقامة معرض سنة ١٩٠١ . وأحست ماما بتعب فى السفر ، فاستلقت فى غرفتها وخرجت الفتاة تستبضع . وبعد بضع ساعات تعود الفتاة وتصعد إلى الغرفة — ولكن ماما ليست فيها ، ولا الحقائب أيضاً . وأغرب من ذلك أن الغرفة يختلف شكلها — سريران آخران ، وكراسى ، وستائر ، وسجاجيد أخرى . (وفى الروايات المسرفة فى التنميق ترى الفتاة جنرالا فرنسياً كهلا فى الغرفة يغضبه جدا هذا الإزعاج) وتستوثق الفتاة من رقم الغرفة ، وتنزل وتلقى أسئلة عصبية . فينكر كاتب الفندق

أنه رآها من قبل أو أنه أجر لها غرفة ، فتطلب مراجعة السجل — ولا بد أنه كان من النوع المفكاك الورقات — فلا تجد فيه توقيعها ، وإن كانت واثقة أنها كتبت اسمها فيه . وليس فى أى مكان أى دليل على أنها لم تحلم بالأمر كله . ولكن ماما اختفت — وليس هذا حلماً . فماذا حدث؟

وقد حل بولدوج دراموند اللغز فى الشريط السينمائى . والجواب هو أن ماما العائدة من الهند مصابة بالطاعون الدملى ، ولما كان انتشار خبر إصابة بالطاعون خليقاً أن يصد الناس عن المعرض فقد تعاون رجال الفندق مع السلطات على نقل السيدة إلى مكان آخر تموت فيه ، حتى ولو طار عقل ابنتها .

ولا يصلح تفسير كهذا يحتاج إلى إطالة وإسهاب واللغز الجيد هو الذى يمكن حله بجملة واحدة موجزة .

ولكن للغز الخادم وصندوق البريد مزاياه . قالوا إن إنجليزيا غنيا قصد إلى « كان » ، مثلا ، وترك لخادمه أمراً بأن يحول إليه أوراقاً مهمة ستصل فى صباح اليوم التالى لسفره ، وأعطاه تعليمات يستعين بها على معرفة الظرف . وانتظر فى كان أسبوعاً ، فلم تصل إليه أوراق . فأبرق إلى الخادم يسأله عن السبب ، فرد الخادم ببرقية بأن الأوراق وصلت ، وأنه استطاع أن يرى الظرف من فتحة الصندوق ، ولكن سيده سافر ومعه المفتاح ، فهو لا يستطيع أن يفتحه (وعليك أن تفترض أن الخادم غبى فقد كان يستطيع أن ينتظر ساعى البريد أو يجىء بمن يفتح له القفل) . فأبرق السيد بأنه سيرسل المفتاح وأن على الخادم أن يعجل بإرسال الأوراق ، ولكن الأوراق لم تصل قط إلى كان . فلماذا ؟

وستسمع أسئلة كهذه : نعم ، السيد كان لايزال ينتظر فى كان . كلا ، لم يمت الخادم . نعم ، وصل المفتاح إلخ إلخ . وأخيراً يهتدى بعض الأذكياء من سامعيك إلى الجواب الصحيح ، ذلك أن السيد أرسل المفتاح إلى الخادم بالبريد ، فصار هذا أيضاً داخل الصندوق محبوساً فيه !

ومن الألغاز الحسنة على الجملة ، لغز الأسكتلندى الذى استصحب زوجته إلى التيرول ، فذهبا أول يوم يصعدان فى الجبل ، وبعد ساعات عاد الرجل فى حالة نفسية فظيعة يقول إن زوجته سقطت من فوق صخرة ، وأخرجوها ميتة . وكان الموضع الذى هوت فيه مشهوراً بأنه خطر ، وبرئت ساحة الزوج تماماً . ونشرت الصحف الإنجليزية صورته — فقد كان عضواً فى مجلس العموم — مع نبذة وجيزة روت فيها أن

زوجته لقيت حتفها وهى تتسلق الجبل ، ولكن رجلا واحداً فى لندن ، لم ير الزوج إلا مرة واحدة فى حياته ولم يكن يعرف اسمه ، استند إلى هذه الصورة وتلك النبذة فأدرك أنها جريمة قتل ، واتهم الزوج بذلك . فكيف أمكن أن يعرف ذلك ؟

وستتلقى سيلا من الأسئلة هنا . وليس للباعث أى صلة بالحل ، وعليك أن تؤكد الحقيقة التى لا يعتورها اختلاف وهى أن الرجل الذى وجه التهمة ما كان يعرف الزوج أو الزوجة . وكل ماعرفه هو وجه الزوج — وحقيقة أخرى تدينه . ومتى تعبت وكللت ، فقل لهم إن موجه التهمة هو موظف وكالة السفر الذى باع للزوج تذاكر الرحلة — تذكرة ذهاب لاثنين ، وتذكرة إياب لواحد .

وإليك لغزاً بسيطاً يشجع المكدودين — وهو قصة الرئيس القاسى ، وكان رئيساً لشركة صناعية ، فقرر أن يقوم برحلة فى سبيل عمله ، وفى اليوم السابق لسفره جاءه رجل هرم يعمل عنده كحارس ليلى ، وقال له إنه مضطر أن يتكلم لأنه فى الليلة السابقة رأى فى الحلم أن الرئيس أعيد إلى بيته فى نعش ، وهو واثق أن الرئيس سيصيبه مكروه إذا قام بالرحلة . فقال الرئيس لما سمع منه ذلك : « اسمع يا هذا . إنك مطرود » والآن لماذا طرد الرئيس هذا الرجل المسكين وجازاه بذلك على محاولته أن ينقذ حياته ؟ .

كلا ، لم يكن خسيساً بطبيعته ، ولم يكن ممن تثيرهم الخرافات ، بل الواقع أن الرئيس كان يسخطه أشد السخط أن يرى حارس الليل يحلم فى الليل .

وأخيراً إليك لغز الأمريكى الثرى الذى أصيب بفقر دم حاد حتى احتاج أن ينقل إليه الدم كل شهر إبقاء على حياته ، وكان يقضى فترة الراحة فى إسكتلندة ، فذهب إلى أدنبره لنقل الدم إليه . وبلغ من رضاه أول مرة عن واهب دمه وعن الخدمة أنه لم يسأل عن التكاليف ، بل أعطى كلا من واهب الدم ومن الدكتور مئة جنيه . وفى المرة الثانية كان الحال باعثاً على رضاه كذلك ولكنه لم يعط كلا منهما سوى ٥٠ جنيهاً ، وفى المرة الثالثة كان كل شىء يدعو إلى الارتياح أيضاً ، ولكنه طلب الحساب ولم يدفع أكثر منه . والمسألة هى : لماذا نقص مايدفعه وإن كان لاشىء يدعو إلى الشكوى ؟ والجواب — وأسرع فى الهرب قبل أن تقذف به — هو أن شرايينه امتلأت بالدم الإسكتلندى ؟

❦ ❦ ❦ ❦

ذهب أحد المراسلين الصحفيين إلى الأرجنتين لكي يدرس كل ما لها وما عليها فكتب هذا، وهو . . .

تقرير عن الأرجنتين

چون لسير • ملخصة عن مجلة "ستردای إيفننج پوست"

يعتقد الأرجنتيني الصميم أنه يستطيع أن يبذ أي إنسان لأنه أرجنتيني وكفى، وأن حقوقه الخاصة ينبغي أن تكون المقدّمة، وليس ذلك إذا نازع الأرجنتيني خصما من أي الناس كان فحسب، بل أيضاً حين ينازع الأرجنتيني أرجنتينياً مثله. وترى المارة في شوارع بوينس إيرس يؤثرون أن يصدم بعضهم بعضاً على أن يفسح أحدهم طريقاً لأخيه، وكثيراً ما ترى سائق سيارة صدم حاجزها يظل يطارد السيارة الأخرى حتى يصدمها صدمة أشد.

وهذا الذي يُرى سخافة، يرجع إلى خوف متأصل في الشعب كافة من أن يظن بأحدهم أنه مغفل. وأن يكون الرجل مغفلا حقا ليس أمراً ذا بال، أما أن تجعله في أعين الناس مغفلا فهو عليه أشد غضاضة من الموت.

ونحن، سكانَ الولايات المتحدة، كمثل أهل الأرجنتين غيرة على حقوقنا الخاصة، وسرّ الخلاف الذي بيننا وبين أهل الأرجنتين هو أنهم يعتقدون أننا نحاول أن نجعلهم مغفلين في أعين الناس، على حين أننا نعتقد أنهم يحاولون أن يجعلونا في أعين الناس كذلك.

وهذه الخصومة هي التي أشاعت بين الناس أن ثورة الأرجنتين في ٤ يونيو سنة ١٩٤٣، تلك الثورة التي طاحت بالرئيس رامون كاستيلو، كانت موجهة بطريقة ما إلى الولايات المتحدة، ولا شيء أنأى عن الحق من ذلك، فقد كانت ثورة أرجنتينية خالصة.

عندما شبت الثورة كان الشعب كله يناصرها، وكان يرجو فيها أن تغير النظام الاقتصادي الإقطاعي الذي جعل الكثرة من سكان الأرجنتين رقيقاً في مزارع القلة المختارة، وهي حفنة من الأغنياء — نحو ٢٠٠٠ أسرة أو ٣٠٠٠ — قد سيطرت منذ زمان على ١٣٫٥٠٠٫٠٠٠ من أهل الأرجنتين، بما ملكوا من سهوب المراعي الرائعة الخصب.

وقد مضى على الثورة أكثر من عام، والناس لا يزالون يؤملون أن سيحدث التغيير، ولكنهم لم يعودوا يؤمنون برجال

الحكم. وليست الحكومة الحاضرة أكثر ولا أقل من عصابة متنابذة من الجنود يختلفون فيما بينهم على ما ينبغي أن يُفعل، وعلى أيهم يحوز فخره، وليس لهم اهتمام بما يجرى فى الدنيا إلا بمقدار ما يؤثر فى مستقبلهم هم أنفسهم فى الجيش.

وتسير الأمور فى هذه الحكومة العجيبة على نهج معكوس، فالرئيس أدلميرو فاريل جنرال فى الجيش، وجوان بيرون نائبه ويعرف بالكولونيل لأنه كولونيل فى الجيش، هو الذى يأمر الجنرال بما ينبغى أن يصنع. وهو عظيم المطامع، ونشاطه الذى لا يحد جعله قادراً على أن يتولى أعمال وزير الحرب ووزير العمل والخدمة الاجتماعية، علاوة على أعمال نائب الرئيس، ومع ذلك فليس هو صاحب الحل والعقد، فإنه يتلقى الأمر من عصبة من الضباط فى رتبة صاغ ويوزباشى وملازم، وهم الذين تولوا الثورة.

وقوة هذه الجماعة من الجند أمر لا إبهام فيه، فهى القوة القاهرة وحدها. وهم من رجال « الكامبوده مايو »، وهو حرس مؤلف من وحدات من كل فرع من فروع الجيش، مزود بأحسن الأسلحة والعدد، وليس ثمة حرس آخر يبلغ من قوته وتماسكه أن يصد جيوش الكامبوده مايو إذا ما تحركت قاصدة « الكازا روسادا »، وهو البناء الأشقر الإسبانى القديم الذى يضاهى البيت الأبيض. وهى قوة ساكنة ولكنها خطر دائم. ومنذ كانت الثورة تداول الحكم ثلاثة رؤساء، وثلاثة نواب رؤساء، ونحو ستة وثلاثين من الوزراء. وخلال هذه التقلبات كلها كان قائد الكامبوده مايو الكولونيل إدواردو أفالوس يجلس فى مجلس الوزراء، ساكن الوجه، وهو لا يشغل منصباً فى الوزارة ولا يحمل تبعة — ولكنه يستطيع أن ينقض أى قرار.

ويعتقد الناس كافة فى غير الأرجنتين أن كاستيلو إنما سقط لأن أهل الأرجنتين سخطوا منه سياسة الحياد، ولكن قليل من أهل الأرجنتين من يودّ لها بعض الود أن تغير شيئاً من موقفها الذى يجلب لها الربح، وهو موقف الدولة المحايدة. أما منشأ هذا الرأى الفاسد، فهو أن كاستيلو قد كمم أفواه معارضيه — وهى حركة وصفتها المعارضة بأنها ميل إلى هتلر. والواقع أن سياسة تكميم الأفواه هذه، ليست إلا جزءاً من جهود كاستيلو حتى يستمرّ حكم « القلة المختارة » على يد الحزب المحافظ.

ولجمهرة الشعب الأرجنتينى عقيدة سياسية تخالف عقيدة القلة المختارة، وهى وإن كانت تعدّ مبدأ معتدلا من مبادىء الأحرار

فى كل مكان آخر على وجه التقريب ، إلا أنها تسمى مبدأها مبدأ المتطرفين . وقد حارب هؤلاء المتطرفون المحافظين ربع قرن ، حتى إذا كانت سنة ١٩١٦ انتخب الرئيس منهم ، وتلتها أربعة عشر عاماً . فكانت الفترة الوحيدة فى تاريخ الأرجنتين التى كان للبلاد فيها حكومة ديمقراطية صحيحة . وقد طبق المتطرفون برنامجاً يشمل قانون تحديد أدنى الأجور ، وقانون جعل مدة العمل ثمانى ساعات، وقانون تخفيض أجور السكن، وإبطال القصاصات التى استعملها البارونات مكان النقود لكى يظل عمالهم فى رق مطلق، ولكن المتطرفين انزلقوا إلى سياسة تثير الريب ، فاتخذها قائد سياسى طموح تهمة لهم ، وأغرى الجيش بالاشتراك فى السياسة والاستيلاء على الحكومة بالقوة ، وذلك فى سنة ١٩٣٠ . وعاد الحزب المحافظ المريب إلى الحكم ، وظل قابضاً على زمامه ثلاث عشرة سنة بتزييف الانتخاب ، وبما كان فى صفوف المتطرفين من تصدع . ولم تكن قدمهم قط أثبت مما كانت فى زمن رياسة كاستيلو فى سنة ١٩٤٣ ، إذ استباح كل ضروب التزييف وكم الصحافة وألجم المعارضة .

ولما اختار كاستيلو محافظاً آخر خليفة يخلفه ، كان الشعب الأرجنتينى قد طفح كيله . ولكن المتطرفين ، برغم ظفرهم بما بين ٦٠ و ٨٠ فى المئة من الأصوات ، كان ينقصهم الزعيم القوى ، وكانت هذه هى الفرصة التى يترقبها أصحاب المطامح من ضباط الجيش ، فسارت جيوشهم تختال مرحاً إلى « كازا روسادا » يتغنون ويمزحون ، وبوليس المدينة يفسح لهم طريق المرور .

وكان برنامج الجنود فى الحكم هو القضاء على الغش ، ورفع المظالم عن الفقراء ، وتحويل الموارد الطبيعية إلى صناعات بأموال أرجنتينية وتحت إدارة أرجنتينية ، ومصادرة ما يملكه الأجانب من المنافع العامة ، وإنشاء أهراء الغلال ومطاحن الدقيق ، وذلك لتقليل نفقات المعيشة . وهذا برنامج يحبه الناس ، ولكن ليس فى الجيش سوى قليل ممن مارس عقبات العمل التى تعرض للحكومة كل يوم ، ولم يكن الجيش يريد أن يولى أحداً من غير الجيش ثقته ، فنجم عن ذلك أن أصبح البرنامج نمطاً مرقعاً تعبث به أيد لا تلقى بالاً إلى الأساليب القانونية المعتادة ، ويُرى فى عملها من عدم المبالاة ما يصعق حتى من ينظر نظرة عابرة .

وأظهر شىء فى هذه الفوضى هو أن رجال الجيش مصممون على توطيد مكانة الأرجنتين من حيث هى أمة . وفى خلال الحرب فاقت قيمة الإنتاج الصناعى قيمة الإنتاج الزراعى لأول مرة ، وقد أتاحت

الحرب للأرجنتين أن يكون لها أسطول تجاري باستيلائها على سفن المحور . والأرجنتين في هذه الآونة متأهبة للسير في طريق استقلالها، أي التحرر من قبضة إنجلترا.

ولقد ظلت تلك البلاد تابعة للإمبراطورية البريطانية في الشؤون الاقتصادية نصف قرن، ولم يحدث تقدم عظيم في سهوبها إلا بعد أن قام البريطانيون فأنشأوا السكك الحديدية ، وبيوتا لشحن اللحوم ، ومنشآت في الموانئ لجمع غلال الأرجنتين ولحومها وأصوافها وجلودها وتخزينها وإرسالها في السفن إلى ما وراء البحار .

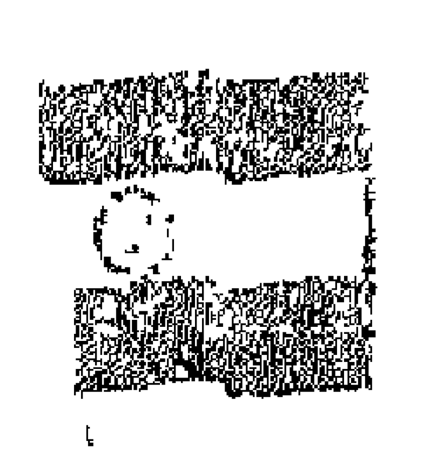
وكانت المصانع الإنجليزية تحول هذه المواد الخام إلى منتجات ، لكي تباع في سائر أنحاء العالم . وتبلغ الأموال الإنجليزية المستثمرة في الأرجنتين اليوم ٥٫٢٣٩٫٠٨٤٫٠٠٠ بيزو، وهي ثلاثة أرباع مجموع المبالغ الأجنبية التي تستثمر في الأرجنتين .

ولقد كان لهذا عواقبه السياسية ، فكثير من التجار البريطانيين أخذ يشجع الأرجنتين على التوجس من نيات الولايات المتحدة ، وذلك لكي يستأثروا وحدهم بهذه السوق الواسعة . ولقد فعلوا في هذا السبيل أكثر مما فعله الألمان في بث العداوة بينها وبين الولايات المتحدة . والتجارة البريطانية أيضاً هي التي تمكن البارونات ملاك الأرض من الاحتفاظ بسلطانهم . وما دامت المواد الأرجنتينية الخام تصنع في إنجلترا ، فإنه مما يزيد في رخاء ملاك الأرض أن لا يصنعوا شيئاً سوى تربية الماشية والزراعة وتسميد الأرض والحصاد ، وبذلك تظل نفقات الإنتاج قليلة .

والسياسة القومية البراقة التي أخذت بها الحكومة العسكرية قد أخفت عن الأنظار معركة الأرجنتين في سبيل بلوغ استقلالها بأن تصير أمة صناعية . وقد قتل الجنود حرية الرأي وهم يهزون أعلام الوطنية ، فمئات من المدرسين قد طردوا بلا تردد — بعضهم لأنهم يهود وبعضهم لأنهم ليسوا بكاثوليك، وبعضهم لأنهم كاثوليك يؤمنون بحرية العقل . وقد طرد ١٥٠ من طليعة مفكري الأرجنتين من وظائفهم لأنهم وقعوا منشوراً يطلبون فيه عودة الحقوق الديمقراطية .

وترى الزعماء السياسيين الشجعان القلائل إما في السجون وإما تحت الرقابة . وقد حلت اتحادات العمال ، وفرضت على الصحافة والإذاعة رقابة مسرفة في قسوتها العجيبة .

وأول ما تفكر فيه الحكومة اليوم هو المحافظة على مكانة رجال الجيش . وقد زادت ميزانية الحرب في سنة ١٩٤٤ على ميزانية سنة ١٩٤٢ مرة ونصف مرة تقريباً ،



وأعلنوا إنشاء فرقتين جديدتين على الأقل في الجيش ، وأخذوا في إنشاء ستين ثكنة جديدة في نواحي البلاد المختلفة . ومصانع الآلات ومعامل سبك المعادن غارقة في الأعمال الحربية ، ومناجم الحديد والنحاس تعان بالمال ، وألفت شركات لإنتاج الكروم والألمنيوم والزنك وكربور التنجستن والمطاط الصناعي والمركبات الكيميائية .

والشعب الأرجنتيني يؤيد هذه النواحي من البرنامج التي تبشر برفع مكانة الأرجنتين في العالم . وهم يؤيدون الحكومة ، حتى وإن كانوا يعتقدون أنها مخطئة ، اذا ما هاجمها أي الدول الأجنبية كان ، ولاسيما الولايات المتحدة .

وعلى أن الأرجنتين قد ساعدت الولايات المتحدة في هذه الحرب بأساليب كثيرة ، إلا أن الولايات المتحدة جعلت ترغي وتزبد لأنهم لم يفعلوا كل ما تريد . وفي خلال ذلك لم يقل البريطانيون شيئاً ، وظلوا يعاملون الأرجنتينيين كأن من حقها أن تفعل ما تريد ، فأفضى ذلك إلى أن أنفذت الأرجنتين خلال الحرب كل ما تريده الإنجليز ، حتى لقد فتحوا ثغورهم لسفن الحلفاء الحربية وطائراتهم .

وترى الأرجنتينيين ، على ما يشقون به من شدة وطأة الحكومة العسكرية ، قد بلغ بهم رخاء العيش أن لا يبالوا فلم تزعجهم قط رغبة إلى الاشتراك في الحرب مع أي الفريقين المتحاربين . فهم يهنأون باللحم والزبد والخضر والنبيذ غير مقيدين بنظام الجراية . وهم يعتقدون أن مشكلاتهم الاقتصادية بعد الحرب ستعجز عقول رجال الجيش الذين لا دربة لهم على علاجها ، فيومئذ يستدعى الخبراء في الشؤون المالية والأعمال من غير رجال الجيش .

وإذا لم يكن في نيتنا ، نحن الأمريكيين ، أن نخوض الحرب لإرغام أهل الأرجنتين على إنفاذ إرادتنا المضادة لرغباتهم ، فإن السلاح الوحيد الذي نستطيع أن نستعمله هو العقوبات الاقتصادية ، والعقوبات الاقتصادية لا تجدي بدون مساعدة إنجلترا ، وإنجلترا لا تريد العقوبات خشية أن تبور سوقها الهائلة في الأرجنتين بعد الحرب .

فلو استطعنا بمساعدة إنجلترا ، أو بغير مساعدتها ، أن نفرض على الأرجنتين حكومة جديدة ، فلن تكون هذه الحكومة في الوقت الحاضر إلا عصبة من رجال الجيش ، ولعلها تكون عصبة مقنعة ، أما أي عمل آخر فيحتاج إلي وقت حتى ينمو .

ولنفرض سوى ذلك أننا أخذنا بالرأي العملي فتركنا الحكومة الأرجنتينية للأرجنتينيين ، فسيكون عند الأرجنتين في نهاية الحرب مبلغ ٧٥٠,٠٠٠,٠٠٠ ريال

تنفقها ، وقد جمعت كل هذا المبلغ مما لها فى الخارج من بيع مؤونة الحرب للحلفاء . والأرجنتين تريد أن تنفق مقداراً كبيراً من هذا المبلغ فى شراء آلات لتقيم بها مصانعها ، والولايات المتحدة تريد أن تبيع آلات بعد الحرب حتى تستمر المصانع فى عملها ، وحتى يجد الناس ما يعملون . فإذا استطعنا أن نتفق نحن والأرجنتينيين ، فهم سيقبلون على الولايات المتحدة ليشتروا هذه الآلات . وتدل التجارب على أن الارجنتينى يدخل الولايات المتحدة ، وفى نفسه حفيظة على الأمريكيين ، ثم يفارقها وفى نفسه أننا خير الناس . فإذا فعلنا فعسى ، أن يكون ذلك أدنى إلى أن نظفر بودهم .

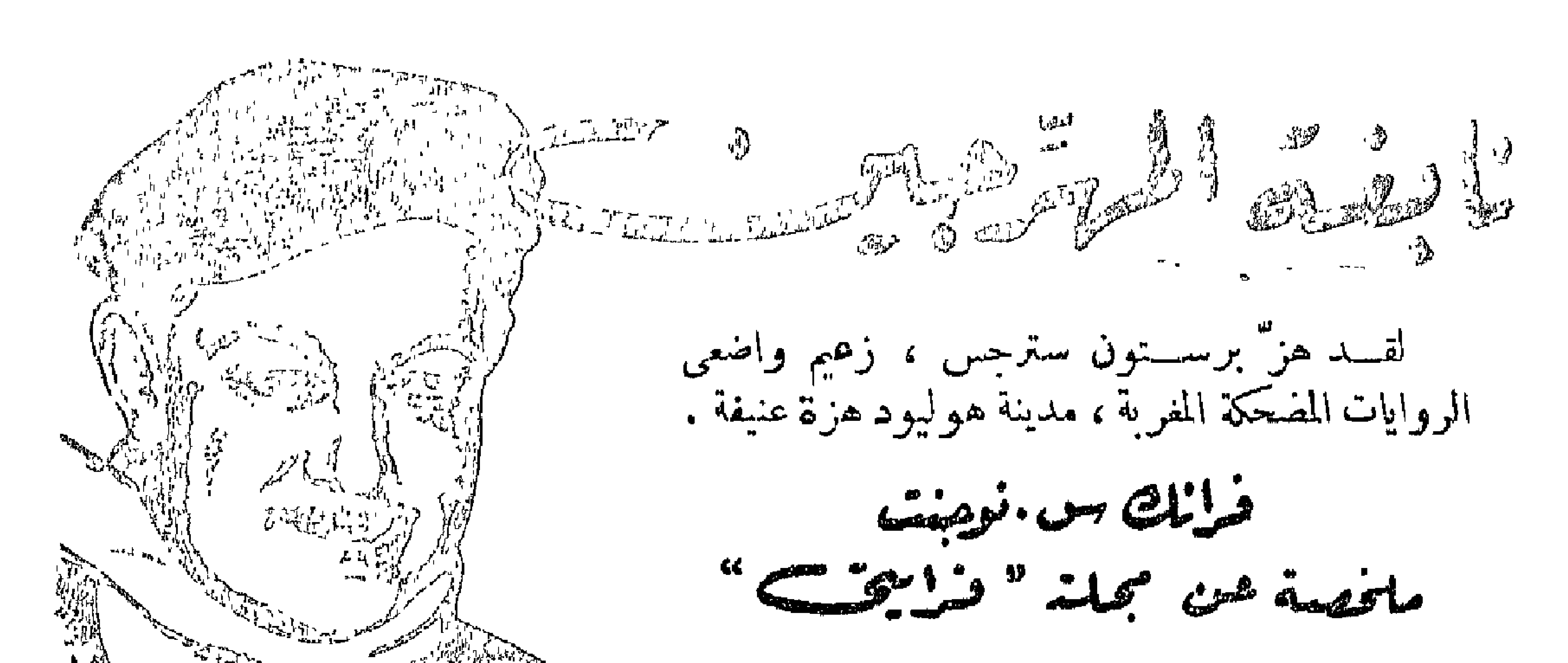
إلى الأصدقاء الذين لهم على دين الرد على رسائلهم :

حين أضع طابع بريد على رسالة أشعر بنشوة ، فها أنا أرسل قطعة من نفسى إلى آخر ، وآمر حكومتى أن تعيننى على ذلك . فإذا ما ألقيت الرسالة فى صندوق البريد كانت النشوة أعظم ، لأننى أعلم أن الرسالة سوف تتجاهل حد المكان ، وتطوى المسافات . قد تكون سفيراً له حق العقد والإبرام ، أو حكماً يبدد سوء التفاهم ، أو رسولا أفضيت إليه بسرى ليسره إلى سواى . إن فى هذه القصاصة المطوية من القوة ما يجعل أصابعى تتمهل فى إطلاق سراحها حتى أنعم بما فى هذا العمل من لذة .

إن إرسال رسالة بالبريد ، يبعث فى من النشوة ما يجعلنى أتمنى أن أجد وقتاً يتسع حتى أكتب رسالة واحدة .

[برجس جنصن فى « ستردي رفيو الأدبية »]





نابغة التهريج

لقد هزّ برستون سترجس، زعيم واضعي الروايات المضحكة المغربة، مدينة هوليود هزة عنيفة.

فرانك س. نوجنت
ملخصة من مجلة "نايت"

زعيم مؤلفي الروايات المضحكة اليوم في هوليود هو برستون سترجس (اسمه الأول — إدمون برستون بيدن) الذي وضع مهازل خارجة عن المألوف، فهز بها صناعة السينما هزة لم تر مثلها منذ كانت الأفلام الناطقة. وقد رزقه الله خيالا مُغْرِباً يضاهي خيال « والت دزني »، ويتنكب الطريق المطروق ولا يكاد يقربه حتى يتخطاه. وعسى أن يكون بين هذه الحقيقة وبلوغ أجره السنوي ربع مليون ريال، صلة وثيقة.

وسترجس هو الرجل الذي عمد إلى أساليب هوليود العتيقة في روايات التهريج فنفض عنها الغبار وصقلها وأدخل عليها محسنات من لدنه؛ وأخرج في خمس سنوات ثماني روايات هازلة مبتدئاً برواية « ماك جنتي الكبير » وأتبعها بروايتي « السيدة حواء » و « معجزة خليج مورجان » ثم بأحدث رواياته وهي « حيّوا البطل ».

هذا الرجل الذي يكتب ويدير ويخرج وحده هذه المهازل التي تعدّ سخرية بالعقل هو رجل وثيق التركيب طوله ست أقدام، يركب سيارة صغيرة أصغر من مركبة ابن له في الثالثة من عمره. وإذا أراد أن يستدعي سكرتيرته ضغط بيده بوق سيارة قديمة، متجاهلا جهاز التخاطب بين حجر المكتب. وعلى منضدة وراءه تمثال صغير ناله جائزة من أكاديمية الصور المتحركة. أما منزلة الشرف على منضدته فيحتلها تمثال ارتفاعه قدم واحدة، ويمثل كفل جواد.

ولعل ما عاناه مكتب هيز للرقابة الأدبية بمدينة هوليود، من برستون سترجس هو أضعاف ما عاناه من أي إنسان آخر. ولكن سترجس حاز النصر في معركة بعد معركة بحيلة بسيطة هي أن يطيع نص القانون ويخالف روح كل مادة فيه. ومن مبادىء مكتب هيز أن الرذيلة ينبغي أن لا تزيّن للناس، وأن مرتكب الشر

ينبغي أن يعاقب ، وأن الخير ينبغى أن يكون الأعلى .

ففى رواية « ماك جنتى الكبير » بدأ أثم شخص فيها سيرته السياسية بأن أعطى صوته فى انتخاب واحد سبعاً وثلاثين مرة ، وأصبح أخيراً حاكم إحدى الولايات ، وحاول بسلطان الحب والوظيفة ، أن يعمل أول عمل نزيه فى حياته ، فأهين من أجل ذلك واضطهد وتحطم . والعبرة الأخلاقية – أوغير الأخلاقية – المستخرجة من هذه الرواية غاية فى الوضوح ، ولكن لما احتج مكتب الرقابة على الرواية قرأ عليهم سترجس نص القانون ، مذكراً لهم : إن مرتكب الشر ينبغى أن يعاقب ، فمجرم مثل « ماك جنتى » لا يمكن أن يظل فى منصبه ، أليس كذلك ؟

أما ترودى كوكنلوكر فى رواية « معجزة خليج مورجان » فكانت فتاة شقراء تستهويها بزة الجند شهدت حفلة راقصة ، وفى أثناء الرقص صك رأسها الثريا ، فاستيقظت فى غدها تذكر ذكرى غامضة أنها تزوجت فى الليلة الماضية جنديا اسمه راتزكى . . . ولما كان راتزكى هذا قد سافر مع الجيش ، إذا « ترودى » تجد نفسها فى ورطة كما يتبين من الفلم ، فهى لا تملك خاتم زواج ولا شهادة زواج بل تجدها لا تعلم كيف تكتب اسم زوجها .

وقد أنقذها سترجس من ورطتها بأن جعلها فى الرواية تلد ستة توائم ، وهى عجيبة رائعة لا تدعه يخطر ببال أحد أن يسأل عن عقد زواجها صح أو فسد .

وساورت الريبة مكتب الرقابة ولكن لا حيلة له ، فهذه ترودى قد تزوجت . وقد قال سترجس : « أليست الرواية عبرة للواتى يتسرعن فى الزواج دون تدبر فى زمن الحرب؟» فعارض الرقباء : « ولكن كيف بتلك الخاتمة الهنيئة؟» فصاح سترجس : « هنيئة ! أو تظنون أن الفتاة الأمريكية تشتهى أن تلد ستة توائم ؟ » فامتعض الرقباء ثم وافقوا على الرواية .

ولعل سترجس هو الرجل الوحيد فى هوليود الذى نشىء ليصير عبقريا . كانت والدته مارى دستى صديقة حميمة لإيزيدورا دنكان الراقصة العالمية المشهورة التى كانت ترقص حافية القدمين ، هازئة بآداب الناس وسننهم – ومنها الزواج – ومع ذلك سحرت قلوب القارتين أوربا وأمريكا . وقد رحلت به أمه إلى أوربا وهو لا يكاد يحسن أن يدب أو يدرج ، فأتيحت له ثقافة لا تنبغى لطفل . ففى الخامسة من عمره شرع يتعلم العزف على البيانو والكمان ، ويتلقى دروساً فى النحت والتصوير . وفى

زمن موسم الأوبرا ، كان ينام بعد الظهر حتى يظل يقظان فى حفلات الليل . وأريد له أن يلبس رداء ، من الطراز الإغريقى وسراويل قصيرة من القطيفة الحمراء ويضع على رأسه طاقيــة مستديرة وينتعل خفين .

وقد ركب دراجة ، وهو فى ثيابه هذه ، ومضى فى شــوارع شيكاغو إلى مدرســة الدكتور كولتر ، بعد أن تزوجت أمه مرة ثانية رجلا يدعى سولومون سترجس ، من سماسرة مدينة شيكاغو . وما انتهى الفصل من السنة الدراسـية حتى حذق قتــال الشوارع ، فكان ذلك فرحَ ربيبه وفزعَ أمه . وحين أصرت على أن يعودوا إلى فرنسا أبى زوجها ، فكان الطلاق .

عادت الأم وابنها إلى أوربا ، أماهى فافتتحت معهــداً للتجميل باسم « معهــد دستى » وجعلت تجول فى بلاد القارة مع إيزيدورا دنكان . وأما ابنهـا فذهب يتلقى العلم فى فرنسا وسويسرا وعلى مربِّين فى ألمانيـا . فلما بلغ الخامسة عشرة كان لسانه بالفرنسية أطلق منه بلغته الإنجليزية ، واشـتد بغضه للفنون على اختلاف أنواعها ، وصار مطمحه أن يصبح كربيبه من رجال الأعمال .

ولما نشبت الحرب العالمية الاولى اضطرته أن يعود إلى الولايات المتحدة حيث جعل يسرع التنقلة من عمــل إلى عمل ، فصــار ساعيــاً فى حى المـال فى نيــويورك ، ثم عاملا فى أحد فروع معهد دستى ، ثم تلميذاً طياراً فى فيلق الطيران ، ثم مخترعاً لصنف من الدهان الأحمر للشفاة لا يزول بالتقبيل ، ثم ناظما للأغانى ، ثم ناشراً للأغانى ، ثم زوجاً مطلقاً . ثم فى سنة ١٩٢٧ — وعمره يومئذ ٢٩ سنة — أصبح معدماً .

وجاءت جراحة الزائدة الدودية فأطلقت خياله ، وذلك أنه رأى فى ليلة عيد الميلاد ، فى دهاليز المستشفى ، رهطاً من الممرضات يسرن وبأيديهن شموع مضاءة وهن ينشدن الأناشيد ، ولم يكن سترجس ساعتئذ قد أفاق من غشية المُرْقِـد (البنج) . فخيل له أنه لم ير فى حياته أجمل منظراً من أولئك الممرضات سائرات فى صفين . وإذن ، أفلا يكون منظراً عجباً لو هن شرعن جميعاً يضربن بأرجلهن راقصات ، كما يكون ذلك فى الكوميــديا الموسيقية ؟

وقضى بعدئذ مدة نقهه وهو يضع أساس رواية كوميدية حافلة بضروب المغالاة ، يكثر فيها رقص الممرضات وغناء أطباء المستشفى . ثم قضى أشهراً وهو يحاول إقناع أصحاب الملاهى بمدينة نيويورك بقبولها . لم يفلح . ولكنه جعل يرى نفسه من كبار مؤلفى الروايات المسرحية . وأنشأ بعد ذلك بنحو سنتين رواية عنوانهــا « محجل جداً ! »

مثلت أربعة وستين أسبوعاً متوالياً فى نيويورك . فأيدت ما كان يراه فى نفسه .

ووضع بعد ذلك ثلاث روايات أخرى ، ولكنها لم تصب شيئاً من النجاح . وفى سنة ١٩٣٢ هجر نيويورك ونزح إلى هوليود . تعاقدت معه شركة يونيفرسال بأجر ألف ريال فى الأسبوع . وكانت الرواية الأولى التى وضعها اقتباساً من رواية « ولز » وعنوانها « الرجل الخفى » . وكان تسعة مؤلفين قبله قد حاولوا اقتباسها فأخفقوا وأخفق هو بعدهم ، فاستغنت عنه الشركة بعد ثلاثة أشهر .

على أنه لم يقنط ، بل ألف رواية للسنما هى « المجد والقوة » . فاشترتها شركة « جسى لاسكى » بمبلغ ١٧٫٥٠٠ ريال ، وشرعت فى تصوير مناظرها بلا تنقيح يذكر ، فهزّه الفرح فكتب رواية أخرى هى « وشاح الوقار » وهى قصة رجل أعطى صوته سبعاً وثلاثين مرة فى انتخاب واحد، وأصبح حاكما لإحدى الولايات.. الخ. ولكنه لم يجد شركة واحدة تقبلها .

على أن رواية « المجد والقوة » كانت قد أعلت مكانته وصيته بين مؤلفي روايات السنما . فانتقل من شركة « جولدوين » إلى شركة « ر . ك . و » ومن شركة « فوكس » إلى شركة « بارامونت » إلى أن بلغ أجره فى الأسبوع ٢٥٠٠ ريال . على أنه لم يكن راضياً ، فهو إذا رأى رواياته فى السنما ساءه أن يرى الممثلين لا يحسنون إلقاء كلماته كما أرادها هو أن تلقى، وأن المناظر لا تمثّل كما أرادها هو أن تمثل . فغلب عليه الهوس ، وظل يضايق مديرى شركات هوليود سبع سنين حتى يتيحوا له أن يخرج صور رواياته بنفسه .

وفى سنة ١٩٣٩ استسلمت له شركة « بارامونت » وقبلت أن يتولى الإشراف على إدارة إخراج روايته التالية . فأخذ على الفور روايته القديمة « وشاح الوقار » ونفض عنها غبار القدم ، وصاغ منها رواية جديدة بعنوان « ماك جنتى الكبير » ، وحاز بها جائزة أكاديمية هوليود التى يشتهيها كل مؤلف ، والتى تمنح لصاحب أحسن رواية سنما مبتكرة فى عامها . فساقت إليه مالا وفيراً ، وكذلك التى تلتها وعنوانها : « عيد الميلاد فى شهر يوليو » ، فعندئذ ألحت الشركة عليه أن يتعاقدا .

كانت مدة العقد ثلاث سنوات بأجر قدره ٣٢٥٠ ريالا فى الأسبوع ، ومكافأة قدرها ثلاثون ألف ريال عن كل رواية يخرجها ، وعشرة آلاف ريال عن كل رواية يكتبها . ولما انقضت مدة العقد منذ شهر ، وأبى هو تجديده ، صارت جميع

الشركات تبذل له ودها ، إلا أنه لم يأبه بهم جميعاً وأصبح شريكا « لهوارد هيوز » الغنى الكبير الذى أثرى من البترول، والمخرج السينمائى الهاوى .

وحين كان سترجس فى سنة ١٩٣٤ يتعلم اصول كتابة روايات السينما ، أقبل على مشاهدة كل فلم ناجح ليكشف سرّ إقبال الجمهور عليه ، ودوّن ملاحظاته على القواعد التى لها السلطان على دخل كل فلم ، فإذا هى كما يلى :

١ فتاة حسناء خير من دميمة . ٢ ساق خير من ذراع . ٣ غرفة نوم خير من غرفة جلوس . ٤ قدوم خير من رحيل . ٥ ولادة خير من موت . ٦ مطاردة خير من ثرثرة . ٧ كلب خير من منظر طبيعى . ٨ قطة خير من كلب . ٩ طفل خير من قطة . ١٠ قبلة خير من طفل . ١١ سقوط المرء على عجزه خيرها جميعاً .

ويرجع كل نجاح سترجس أو معظمه فى رواياته إلى مراعاة المادة الحادية عشرة .

وبيّن أن سترجس وقد بلغ السادسة والأربعين ليس مخبولا كما يتظاهر أحياناً ، وجانب كبير مما أثر من خبله إنما فرّخ فى مخيلة مديرى الإعلان الذين يروجون له . وبعض ذلك كركوب السيارة الصغيرة والنفخ بالنفير ، له منفعة عملية . فقد اشترى السيارة الصغيرة لزوجه منذ ثلاث سنوات لأنها كانت تخشى أن تسوق سيارة كبيرة . فاستعملتها قليلا ثم سئمتها ، فالآن والبنزين يوزع بالبطاقات . . . وكفى . . وأما النفير فإنه يستعمله لأن سكرتيرته (التى تعامله معاملة خالية من كل توقير) قالت له مرة : إن صوته فى المكبّر صوت رجل يتكلم وملء فمه حبوب .

أما شهرته بالشذوذ فناشئة من أساليب عمله التى تعد شاذة حتى فى هوليود . فهو يحضر إلى الإستوديو عادة فى الظهر ، ويتجه رأساً إلى الإدارة العامة ، فتحفّ به حاشية وهو يسير . وقلما يجلس إلى مائدة ومعه أقل من اثنى عشر مدعوا ، ويندر أن يقضى أقل من ثلاث ساعات على المائدة ودائماً يدفع هو الحساب . وحين يعود إلى مكتبه يملى على سكرتيرته طائفة من الرسائل وكثيراً ما يمزّق نصفها بعد أن يقرأها . وفى الساعة السادسة يتناول الشاى — أى القهوة ، وقطعاً من البسكويت والجبن . وقد يبدأ عمله الساعة الثامنة أو التاسعة أو العاشرة مساء ويستمر إلى ما بعد الفجر . (وهو يقول إن عقله ينشط ببطء ، وأنه يستغرق نهاراً كاملا فى إعداده لعمل الليل) .

وهو يملى قصصه ولكن يندر أن يكون مدارها واضحا فى ذهنه حين يبدأ الإملاء ،

وهذه الطريقة فى التأليف ، تفضى به حتما إلى مواقف لا يعرف كيف يخرج منها ، وقد يستعصى عليه الخروج منها بضعة أيام. وهو يعدّ هذا مزية ، فإن جمهور النظارة سوف يحار كما حار ، ولا يتيسر له أن يسبقه إلى المخرج من هذه الحيرة .

وعلى الرغم من هذا الأسلوب — أو ربما كان هو السبب — يكتب سترجس رواياته بسرعة مدهشة . فقد ألف رواية « معجزة خليج مورجان » فى ثلاثة أسابيع ونصف أسبوع ، ورواية « حيّوا البطل الفاتح ! » فى ستة أسابيع ، معيداً كتابة كل منها ثلاث مرات !

والحقيقة أن سترجس رجل مجاهد ، فهو يحاول أن يتغلب على الرأى القديم السائد فى هوليود ، وهو أن وضع رواية سنما هو عمل بضعة أشخاص ، وأن عقول اثنى عشر رجلا يصدم بعضها بعضا خير من عقل رجل واحد يعمل منفرداً .

ومن المحتمل أن لا يحرز سترجس ظفراً باقيا ، ولكنه خليق أن يظلّ يعمل حتى يحفز رجال السنما إلى بعض التفكير .

هذه طبيعة البشر

يسافر بالقطار كل يوم من بلدته إلى مدينة نيويورك رجل فنان ويحمل فى جيبه تذكرة الاشتراك (الأبونيه) تامة فيها صورتها . وهو يعرض هذه التذكرة على المفتش مرتين كل يوم . فيلقى المفتش نظرة عليها ويحنى رأسه . ومع ذلك فقد مضت سنتان والتذكرة التى يحملها هذا الفنان ، تحتوى على صورة أصلية لصينى من حكام الولايات فى عهد أسرة منج القديمة .

[مجلة « ادفرتيزنج آند سيلنج »]

فى إحدى قواعد القاذفات الأمريكية فى جزائر ماريانا ، أمر ضابط أمريكى بنقل حمل من الخشب وتكديسه أمام خيام الجند . ونصب على الكومة لوحة كتب عليها « ملك الحكومة » فما أقبل الليل حتى اختفت كومة الخشب واللوحة أيضاً . فلم يقل الضابط شيئا للجنود الذين أخذوا الخشب واتخذوه أرضاً لخيامهم . فذلك ما كان يبغيه .

[ميد باسيفيكان]

أصدق صديق للإنسان

ألن ديفو

وفاء

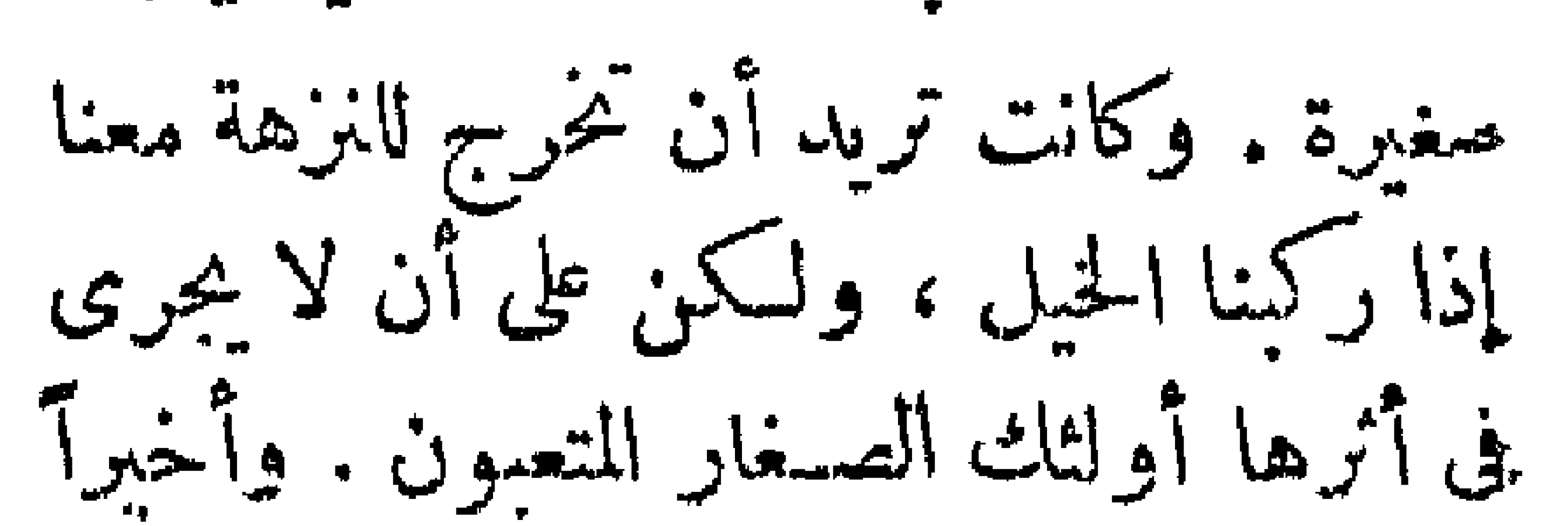


كانت بوتش، كلبة ناقلة الجنود التي أقلتنا إلى جوام، من أصل غير معروف. ولكننا كنا جميعاً نحبها، وكان صديقها الأثير عندها ساعى الفرقة الذى أعد لها فراشاً وثيراً بالقرب من فراشه. وأخذ بعد بدء الهجوم على جوام يصحبها معه فى رحلاته إلى جبهة القتال.

وذات ليلة لم يعد الساعى ولم نعلم طبعاً ما حدث له حتى خرجنا للبحث عنه، فوجدناه جريحاً على بعد ميلين من الشاطىء من جراء انفجار لغم أرضى. وكانت بوتش هى التى دلتنا على مكانه، فقد عادت تتعثر فى الظلام، وفمها مقرّح دام، وهى تحمل بين نواجذها قبعة الساعى الفولاذية.

[كلايد ا. ويكس]

حيلة



ضاقت كلبتنا الصغيرة لودو بجرائها (جمع جَرْو) وقد كبرت وصارت شياطين صغيرة. وكانت تريد أن تخرج للنزهة معنا إذا ركبنا الخيل، ولكن على أن لا يجرى فى أثرها أولئك الصغار المتعبون. وأخيراً خطرت لها فكرة. كانت إذا شرعنا فى إسراج الخيل تجرى إلى الحقل وتجعل تحفر فى الأرض الرخوة بهمة، ولا تكف عن ذلك إلا لتقحم أنفها فى الحفرة، ثم تنفخ ثائرة كأنما وجدت حيواناً عجيباً على قيد أنامل منها فى قعر الحفرة. واستهوى الأمر الجراء فجعلت تحفر هى الأخرى كأن بها مسّاً من الجنون. فإذا شغلها ذلك انسلت لودو تجرى فى أثر الخيل.

وكانت لودو تفعل ذلك كلما خرجنا لركوب الخيل، فعلمنا أنها خطة محكمة التدبير. كانت تستعمل طريقة التربية التى يستعملها الآدميون — إذ تصرف انتباه أولادها عما لا تريد وتشغلهم بشىء محبب إليهم.

[جودى فان درفير]

موزع صحف



كان كلبي تاد يعرف الطريق التى أسلكها فى توزيع الصحف معرفتى بها. فإذا أغفلت منزل أحد المشتركين، جعل يعوى يذكرنى به، فإن كان المشترك قد انتقل من منزله أكتفى بكلمة: «لم يعد مقيما به يا تاد»،

وفى اليوم التالى يمر على المنزل دون أن يلقى إليه نظرة .

وذات صباح حين أشرفنا على نهاية الطريق الطويلة قلت ضجراً : « لقد فُتْنا أحد المشتركين ياتاد وإنى لأكره أن أعود كل هذا الطريق . ولست أدرى من الذى تركناه » ، فهمهم تاد لحظة ثم نصب أذنيه وجعل ينبح وهو يجرى جيئة وذهوباً كما تفعل الكلاب حين تقول : « اتبعنى » .

وسرت فى أثره ، وبالقرب من بداية الطريق اندفع تاد إلى فناء دار ، وكانت دار مشترك جديد ، هو الذى تخطيته .

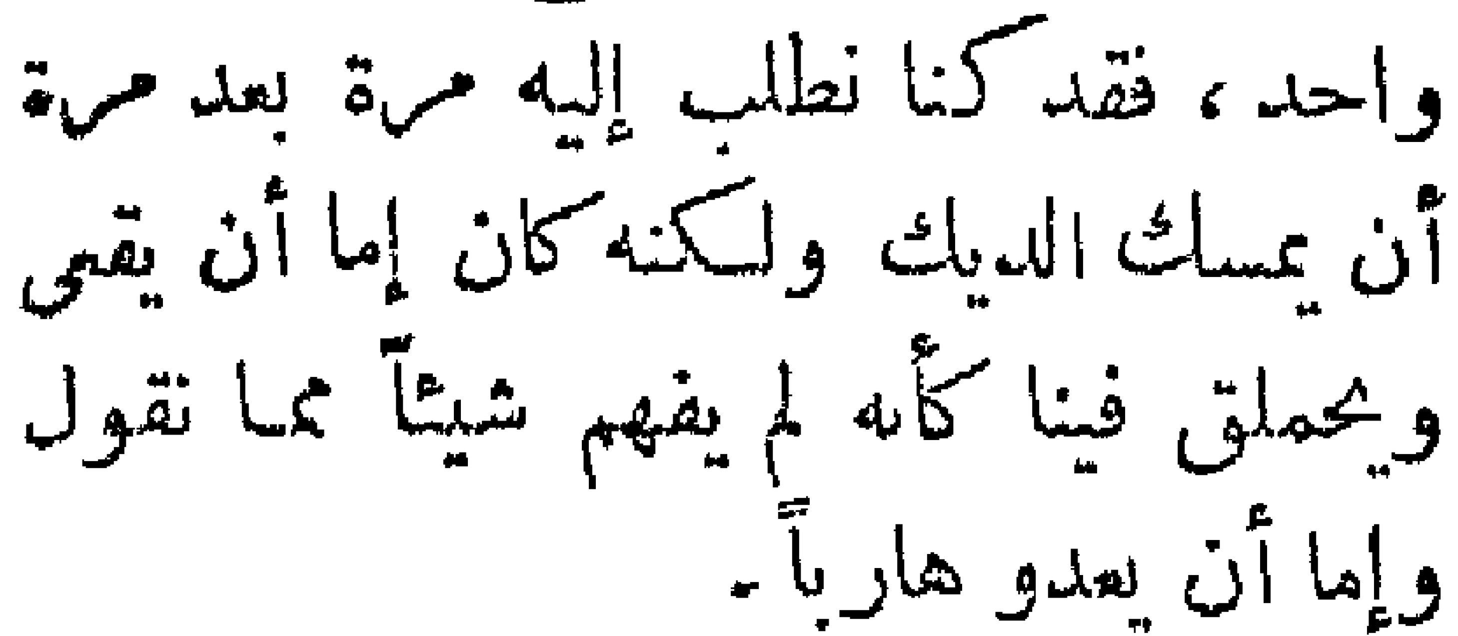
[فرانك ج . ولز]

من شابه أباه فما ظلم

كان « تم » كلبنا الراعى الكبير يأخذ بالشدة تلك الكلاب الضالة التى تجترىء على دخول المزرعة ، وكان عليها إما أن تنازله وإما أن تفرّ منه . ولشد ما كانت دهشتنا حين رأينا « تم » قادماً وفى أعقابه كلبة خِلاسيّة لم نرها قبل ذلك ، وقد قادها إلى صحفة طعامه ووقف ينظر صامتاً إلى ضيفه وهى تزدرد الطعام الذى لم يجرؤ كلب آخر قط أن يمسه . ثم قادها بعد ذلك إلى مخزن الحبوب حيث وجدناها راقدة على فراشه . وبعد أسبوع من هذه الضيافة ، أنجبت الكلبة سبعة جراء كان كل منها صورة ناطقة من كلبنا « تم » .

[جورج ج . جوبسون]

صديق قديم



كان درايف كلب مزرعتنا لا يخطىء فى إمساك أية دجاجة نريدها للذبح سوى ديك واحد ، فقد كنا نطلب إليه مرة بعد مرة أن يمسك الديك ولكنه كان إما أن يقعى ويحملق فينا كأنه لم يفهم شيئاً مما نقول وإما أن يعدو هارباً .

وسر ذلك أن الديك ، ولم يكن قد تمّ نموه ، أصابه عرج حيناً ما ، وحدث أن شارك جرواً صغيراً — هو الذى صار فيما بعد كلبنا درايف — صندوقاً خشبياً خلف موقد المطبخ مدة أسبوع واحد ، فاتصلت الألفة بينهما منذ ذلك الحين .

[مسز هـ . ا . دانكر]

قالت فتاة حسناء لبائع الكتب فى المحطة ، قبل أن تتخذ مقعدها فى القطار : « أريد كتاباً جيداً يستوقف إلىّ نظر جندى » .

[ا . جون كاونوس فى « نيويورك تايمز »]

أصبح الصاروخ اليوم سلاحاً أساسيا

وليد الحرب المهول الصاخ

منذ ٢٩ شهراً وحسب قُذفت جيوش روميل فى تونس بأول صواريخ القتال الأمريكية — البازوكا ، محطمة الدبابات ، وفى هذا الزمن القصير أصبح هذا الوليد الصاخب الذى تمخضت عنه الحرب ذا شأن يضارع شأن الأسلحة التى تستعمل فى جميع الميادين الحربية — برا وبحراً وجوا — من مثل الأسلحة الصغيرة ، ومدافع الجيش أو مدافع الأسطول . ولم يظفر أى سلاح من قبل بمثل هذا الرضى الشامل ، فى مثل هذا الزمن القصير .

ويدل على ما لحرب الصواريخ من خطر الشأن ، أن بحرية الولايات المتحدة قد ضاعفت ميزانيتها لإنتاج الصواريخ اللازمة للأسطول وللجيش جميعاً ثلاثة أضعاف ، وأما الجيش فقد ضاعف المبلغ اليسير الذى أرصده للصواريخ فى العام الماضى ١٣ ضعفاً ، فبلغ الآن ١٣ مليون ريال كل شهر . وقد قاربت نفقات برنامج الجيش والأسطول لإنتاج الصواريخ فى أمريكا ، أن تكون كنفقات ذخيرة المدافع الضخمة .

وقد جرى منذ عهد قريب حديث بينى وبين ضباط الجيش والأسطول الأمريكيين الذين عهد إليهم ببحث الصواريخ والسهر على تحسينها ، وليس فى وسعهم أن يسهبوا فى وصف حجم الأسلحة التى لم يأت حينها بعد ، أو يذكروا مداها أو قوتها المدمرة ، ولكنهم يخبرونك أن عدداً من الأنواع التى لم تزل فى دور التجربة ، ودون حدّ الكمال ، قد أرسلت إلى المصانع لتصنع وترسل وراء البحار على جناح السرعة ، وأنه لا يكاد أحدها يرسل إلى المصانع حتى يكون التحسين قد تم فى نموذج منها ، جعل يرتقب دور إنجازه فى خطوط التجميع .

بين الصاروخ المستعمل الآن الذى يبلغ قطره ٤٫٥ بوصة ، وبين صاروخ البازوكا الأول الذى قطره ٢٫٣٦ بوصة ، بون بعيد . كان طول الأول ١٨ بوصة ، وأما الجديد فطوله ٣٦ بوصة تقريباً ، ووزنه ٣٨ رطلا بدلا من ٣ ½ رطل وحسب . وقذيفته فى شدة قذيفة مدفع الهاون الذى قطره ١٠٥ مليمترات .

ولقد استخدم الجنود فى حرب الغابات مدفعاً ذا ماسورة واحدة ، يبلغ قطرها

٥ر٤ بوصة ، وهو مركب على حامل له ثلاث قوائم قابلة للطى ، ولا يزيد وزن الماسورة القاذفة والحامل والصاروخ على ٥٠ رطلا . وفى وسع الرجل الفرد أن يزحف بها جميعاً وأن ينصبها ثم يطلقها . ويلجأ الجندى إلى إطلاق المدفع بالضغط على زر فى طرف سلك كهربائى من مسافة تقيه زوبعة الغبار والحصباء التى يسفها عاصف الغازات الساخنة التى تعمى الأبصار ، وهى تندفع من فوهة الماسورة الخلفية فوق الحامل ، وكثيراً ما تثنيه أو تحطمه . ولذا تعد ماسورة القذف قد انقضى أجلها إذا أطلقت قذيفة واحدة . ويمكن وصل عشرات منها فتنطلق فى وقت معاً .

أما البازوكا المجهزة بماسورة للقذف تحمل على الكتف فتحتمل الإطلاق مراراً ، ويسع الفرد الواحد أن يحمل قدراً وافراً من صواريخها الخفيفة ، فلذلك صار نوعها المحسن سلاحاً يعين عند الحاجة ، إذ يمكنها أن تخترق درعاً فولاذية سمكها ست بوصات من مسافة ٢٠٠ ياردة . ويرجع الفضل فى ذلك إلى « الحشو الأجوف » المشهور ، وهو اختراع أمريكى يجعل عصفة الانفجار مركزة فى نقطة واحدة ، فيمتلئ جوف الدبابة المصابة بالغازات المتقدة ، وبشظايا متطايرة من الفولاذ المصهور

ولقد أظهرت فتوحات الأسطول الأمريكى فى جزر المحيط الهادى ما لصواريخ القتال المرصوصة من قدرة فتاكة مخيفة ، إذ كان على الجنود أن يهبطوا على سواحل محصنة تحصيناً شديداً ، ثم يوغلوا فى الأرض والمدافعون الكامنون فى الأدغال يقاومونهم . وأدرك رجال الأسطول أنهم فى حاجة إلى سلاح قوى قصير المدى يلجأ إليه فى تلك الفترة الحرجة الواقعة بين لحظتين : بين كف المدافع البحرية عن الضرب ، وحين وصول مراكب النزول إلى الساحل . ولكن هذه المراكب كانت من خفة الوزن بحيث تعجز عن أن تحمل عدداً كافياً من المدافع الكبيرة وعروشها الثقيلة . فما كان هناك من شك فى أن يصبح الصاروخ ، بمواسيره الخفيفة وطلقته المهلكة القصيرة المدى ، هو الحل المطلوب .

فحوّلت زوارق الهبوط إلى حاملات للصواريخ ، وغسدت طلائع القوات التى تقتحم جزائر المحيط الهادى تضارع البارجة فى قوة نيرانها . فإذا دنت من الشاطئ أرسلت مواسيرها المرصوصة تياراً متصلا من صواريخ شديدة الانفجار تسقط على الساحل فتدك المصاطب المحصنة ، وتحطم خطوط الأسلاك الشائكة ، وأوكار الرشاشات والحصون ، كأنما هى زوبعة مدمرة . فإذا

هبط الجنود ساحل الجزيرة حمت زوارق الصواريخ إنزالَ المعدات ونصبَ المدافع وحفر الخنادق ، وحينئذ تشرع سفن الصواريخ فى إطلاق نارها ممهدة طريق القوات الزاحفة .

ولقد أصابت سفن الصواريخ نجاحاً حمل رجال الأسطول على الشروع فى تركيب هذا السلاح الجديد فى سفن أكبر ثم أكبر.

وما الصاروخ إلا غلاف أسطوانى من المعدن ، مدبب الرأس ، فى مؤخره منفس أو أكثر، وفى الرأس شحنة شديدة الانفجار كما فى قنابل المدافع ، أما الجزء الخلفى محشوّ بالبارود ، فإذا مسته النار استعر ، واندفعت الغازات الناشئة من المنفس . وليس سبب اندفاع الصاروخ قدماً هو اصطدام الغازات المنفوثة بالهواء ، بل هو الضغط الناشئ من تمدد الغاز فى جوف الأسطوانة على مقدمة الصاروخ . وهذا فرق له خطره ، فهو يفسر ازدياد سرعة الصاروخ فى طبقات الجو العليا حيث تقل مقاومة الهواء الرقيق لمسير القذيفة . ولو كان اندفاع الصاروخ ناشئاً عن ضغط الغازات عند انفلاتها واصطدامها بالهواء ، لخفت سرعته فى الهواء الرقيق ، حيث يكون ما يصطدم به أرق وأوهى .

إن خفة وزن الصواريخ تجعلها سلاحاً ذا شأن خاص فى الطائرات ، فهى لا ترتد عند انطلاقها ، أو ترتد ارتداداً يسيراً فلا تحرف الطائرة عن مسيرها ، كما يفعل انطلاق مدفع وسط . فبعض طائرات الأسطول تحمل صواريخ قطرها خمس بوصات ، وهى تضارع فى قوتها المتفجرة قذائف المدافع البالغ قطرها ١٥٥ مليمتراً.

وبعض المقاتلات تحمل بطارية من ست مواسير صاروخية تحت كل جناح . ودقة الصواريخ إذا أطلقت من الطائرات أثناء طيرانها ، تفوق دقتها إذا أطلقت من قواعد ثابتة ، لأن سرعة الطائرة تضاف إلى سرعتها ، والسرعة من العوامل التى تبقى على الجسم المتحرك اتجاهه . فلذلك كانت صواريخ الطائرات أحكم رماية مما يوازيها ثقلا من قنابل تلقى من طائرة على هدف ما ، وإذا كانت المسافة لا تزيد على ٤٠٠ ياردة ، فإنها تضارع فى إحكامها نيران مدافع الطائرات الرشاشة .

وليست الصواريخ بدلا من أسلحة أخرى بل هى سلاح جديد يضاف إلى ما سبقه ، فمدافع الطائرة الرشاشة يمكنها إطلاق مئات الرصاصات ، مقابل اثنى عشر صاروخاً تطلقها الطائرة ولا تتعداها ، وهى إذا ثبتت تحت الأجنحة زادت مقاومة الهواء لجسم الطائرة ، فعندئذ تقل سرعتها فتؤثر فى قدرة الطائرة

على خفة الحركة ، ولذلك توضع بحيث يستطيع الطيار أن يطرحها إذا أراد .

إن السلاح الألمانى « ف ٢ » صاروخ ، لأنه يستمد قوته الدافعة جميعها من الوقود الذى يحمله ، ولا يعتمد فى ذلك على احتراق أكسجين دخله من الخارج كما هو شأن السلاح الألمانى «ف ١» (القنبلة الطائرة) فهذه تعد آلة لا صاروخاً . وترى وزارة استعلامات البريطانية أن السلاح الألمانى « ف ٢ » يرتفع ٦٠ ميلا فى الجو ، وأن سرعته تصل إلى ٣٠٠٠ ميل فى الساعة (أى أنه أسرع من الصوت مراراً) ، وأن أقصى مداه ٢٠٠ ميل .

ويتوقف ما قد تبلغه الصواريخ من شأن فى المستقبل توقفاً كبيراً على مقدار التقدم فى إحكام رمايته ، وقد زادت دقته بإتقان صناعة أجزائه . وقد كانت البازوكا فى أول أمرها مجهزة بزعانف ثابتة تحفظ اتزانها ، وأما الصواريخ الجديدة فمجهزة بزعانف مطوية تنفتح حين انطلاقها من الماسورة وقد تفنن المهندسون فى إعداد منافس فى ذيل الصاروخ ، فصار لأول مرة ينطلق وهو يدور على نفسه أثناء انطلاقه . وهذه محاولة بكر يقصد بها أن يتيسر للصاروخ من الإحكام فى الرماية ، ما تيسره للقنبلة ماسورة ذات جوف حلزونى .

خلال ذلك استنبط الجيش الأمريكى نوعاً من البارود الدافع يمتاز بأنه يحترق احتراقاً مطرداً ، فيتفوق على أنواع الوقود التى استخدمت من قبل فى الصواريخ ، من حيث سرعته التى يولدها وقلة تأثره بالأحوال الجوية .

إن الرجال الذين يبحثون فى مسائل الصواريخ لا يعرفون طعم الراحة . فى صحراء موجاف فى الجنوب الغربى من الولايات المتحدة وفوق فضاء واسع من الأرض يتخذونها للتجربة ، تسمع اليوم قصف الصواريخ التى يوالى رجال البحث من الأمريكيين امتحان نماذجها الجديدة ، وإن الجيش والأسطول الأمريكيين لعلى ثقة بقدرتهما على بذّ الألمان ، وهم يسيرون قدماً فى تحسين هذا السلاح الجديد المفزع .

قالت فتاة عاملة لزميلتها : « لقد دبرت أمر العالم الذى يلى الحرب تدبيراً دقيقاً — فحين يعود الشاب الذى يحلّ محلى أتزوجه » .

[فرانك بيفن فى مجلة « إسكواير »]

فأر المسك ومستنقعاته العجيبة في لويزيانا

كارولين رامسزى

في كل شتاء ، ينصرف عشرون ألفاً من الناس عن كل عمـــل ، ليخرجوا إلى المستنقعات الواسعة فيصيدوا فئران المسـك .

« ألسيه بروسـار » رجل ينال أجراً حسـناً في « ثيبودو » بولاية لويزيانا ، ويعيش وادعاً آمناً في بيته الأنيق الصـغير . ولكن إذا جاء الخريف قلق « ألسيه » ، فإن المستنقعات تناديه . ذلك بأن حبه لحياة الخلاء غالب عليه ، وكذلك حمى المقامرة . ففي أواخر نوفمـبر يدخل على رئيسه ويخبره بأنه ذاهب ورئيسه أخبر به من أن يحاول صدّه عما نوى .

ويخرج ألسيه في عشرين ألفاً من ألفاف النـاس الذين يسكنون لويزيانا ، ليصطاد فئران المسك . وهؤلاء الصيادون يقضون تسعة أشهر من السنة يقطعون الشجر ويجمعون الطحلب ، ويصطادون السمك والمحـار ، وهم اليوم يزاولون العمل في أحواض بنـاء السفن . فإذا جاء الشتاء خرجوا فضربوا خيامهم في المسـتنقعات مهـاجرين هم وأسرهم جميعاً ، في كل عام هذه الهجرة العظيمة .

وما يتجهز به ألسـيه طراز وحده . زورق لسكناه ، وآخر لابنـه المتزوج ، وستة زوارق صغيرة ، ورَمَشان أو ثلاثة أرماث ، وهي قوارب لطيفة جميـلة الشكل تصنع من قطعـة واحـدة من الخشب . وتحمل هذه القوارب حتى تغص بكثير من المواقد والطنافس ، والطسوت والقـدور والأطباق ، وكل ما إلى ذلك من أداة المنزل . وربما كان فيهـا قفص به دجاج يصيح ، وخنزير في حظيرة ، وربما وسع القارب أيضاً بقية الأسرة . أما الأطفال — ومعهم دائماً أطفال — فيلوحون لكل من يمرون به ، فرحين بأنهم سيمضون ثلاثة أشهر في مخيم ، بعيدين عن حجرة المدرسـة . أما الإقليم الذي ينتهي إليه أولئك الصيادون ، فلا مثيل له في أمريكا كلها . فهو مستنقع بين المنطقة المعتدلة وخط الاستواء ، طوله ٤٠٠ ميل وعرضه من ١٥ ميـلا إلى ٣٠ ميلا ، يمتد على سـاحل الخليج من مصب نهر المسيسبي إلى خط تكساس . وفي هذه الأرض النزّازة التي لا شجر بها ينبت عشب أثيث ملتفّ يبلغ ارتفاعه كتف الإنسان ،

ينقلب فى الشتاء ذهباً ناضراً . ولست تجد هناك أرضاً صلبة ، إلا أنه فى وسع المرء أن يمشى متنقلا من جذر إلى جذر من جذور الأعشاب ، ولكن عليه أن لا يغفل وإلا ساخ إلى خصره فى الحمأة المنتنة .

هذه هى جنة فأر المسك ، حيث يصير هذا الحيوان على طعام واحد ، هو جذور الأعشاب الحلوة ، وحيث يتكاثر تكاثراً لا يصدقه العقل . ومن هذه المنطقة يخرج الصيادون كل عام بأكثر من ٦٠٠٠٠٠٠ جلد من جلود فئران المسك — أى مثل ما يجمع منها فى الولايات المتحدة كلها ، بل أكثر مما تخرجه كندا وألاسكا مجتمعتين . وهذه الشقة الضيقة من المستنقع الرجراج يزوّد صناعة الفراء الأمريكية العظيمة بزادها الأعظم ، لأن فأر المسك فى مختلف صوره هو عماد تجارة الفراء .

ومن الممكن أن تعتمد هذه الصناعة على مورد من الجلود لا يتفاوت إلا تفاوتاً يسيراً من سنة إلى سنة . أما الرجل من الصيادين فيختلف أمره اختلافاً شديداً . فقد لا يحصل فى بعض السنين إلا على ٣٥٠ ريالا ، ينفقها فى طعامه وشرابه وحاجاته ، وفى سنين أخر يصيب ربحاً عظيما . وقد بلغ دخل كثير منهم فى الموسم الماضى ٣٠٠٠ ريال ، وربح بعضهم ٥٠٠٠ ريال وهو عند أحدهم مبلغ عظيم ، وهذا الضرب من المقامرة حبيب إليهم .

إنه لعمل مضن . يبدأ ألسيه بأن يشعل النار فى العشب النابت فى البقعة التى استأجرها ، فتأكل النار منه حتى لا يبقى من سوقه غير عشر بوصات فوق سطح الماء ، فذلك يجعل السير فيها أسهل ، والعثور على الفخاخ أهون . ثم ينشئ له مصيدة ، وذلك بأن يجر رَمَثه مرات على مدرجة الطريق فيحطم ما بقى قائماً من أصول العشب ، فيمهد تلك الحمأة اللينة ، ليشق مجرى من الماء يسبح فيه الرَّمَث ويعفيه من مشقة السير . ولقد علمه هذه الحيلة فأر المسك نفسه ، فهو يتخذ فى الماء مسالك ضيقة متقاطعة فى أرجاء المستنقع ، ولا يزيد عرض أحدها على ثلاث بوصات .

والموسم المعهود ٧٠ يوماً يبدأ من ١٠ ديسمبر . وفى البقاع التى تؤجر للصيادين ، آلاف من الدروب الضيقة تدل على مسارح الفأر ومراعيه . ويعمد الصياد إلى مجازة لا يزيد عمق الماء فيها على ست بوصات ، وينشئ ربوة من الطين يضع الفخ عليها ، ثم يغطى أعلاها بقليل من الطين أيضاً لينكّرها ، ويغرس فيه قصبة طويلة يجعلها علامة على المكان . ولا حاجة به إلى الطعم ، فالفخ يكون تحت الماء بقدر

بوصتين ، فإذا مر به الفأر الكبير فلا مناص له من الوقوع فيه ، أما الفأر الصغير فيمر من فوق الفخ سابحاً لم يمسسه سوء .

ويبدأ العمل المعهود كل يوم بتفقد الفخاخ قبل تنفس الصبح ، بعد أن يستيقظ الأب وأولاده فيشربوا قهوتهم المألوفة فى لويزيانا ، ويلبسوا أحذيتهم الطويلة ، ويلقوا غرائر الفئران على كتوفهم ، ويأخذوا عصيهم الطويلة التى يستعينون بها على دفع الرمث ، والعكاكيز التى تهون عليهم مشقة السير فى المستنقع ، ثم ينطلقون .

وإذا وفق الصياد ظفر بنحو ٣٠٠ جلد كبير و ٥٠٠ جلد صغير فى أسبوع واحد . فإذا ساء حظه صاد نحو ٧٥ جلداً جيداً و ١٥٠ أقل جودة . والجو هو سبب هذا الاختلاف الشديد ، فإن فئران المسك تنشط فى ليالى القر ، فلا تزال دائبة تعرق فى مساربها ، جاهدة فى البحث عن طعامها ، أو فى طلب المغازلة ، أو عاملة فى ترميم بيوتها .

ويشتغل نساء أسرة ألسيه بسلخ الفئران ، وينشرن جلودها على شبكة من السلك حتى تجف . ويفد تجار الجلود مرة كل أسبوع ، فيقسمون الجلود على خمس درجات ويدفعون فيها ثمناً على جملتها كلها . وكان أعلى ثمن قدرته الحكومة فى السنة الماضية للجلد الواحد من أجود صنف هو ريال ونصف ، وفى خلال الحرب الماضية كان ثمنه ربع ريال ، وفى سنة ١٩٢٧ ريالان ونصف .

والمشترى يعمل لحساب النقابة التى يستأجر منها الصيادون الأرض . وهناك خمس نقابات كبيرة مستولية على أكثر المستنقعات ، فتستأجرها من كبار الملاك الذين اشتروا بقاعاً واسعة منذ سنين مضت ثمن الفدان منها يتراوح بين قرشين وأربعة قروش . وتملك الحكومة أيضاً مناطق واسعة تؤجرها ، ويوهب جزء من دخلها للمدارس .

ويقوم مندوبو النقابات كل سنة بمسح الأرض المؤجرة وتوزيعها بالتساوى ، حتى يتسنى لكل صياد أن يصيد ألفى فأر تقريباً . وينص العقد الذى بين النقابة والصياد ، على أن الأجر هو ٣٥ ٪ من الصيد ، ويدفع نقداً لا عيناً ، بعد أن يدفع مندوب الشركة ثمن الفراء . وهذه طريقة بغيضة مكروهة ، ولكنها لا تزال متبعة ، هذا على أن بعض الصيادين قد اشتروا الأرض التى يصيدون فيها ، وبعضهم قد جمع من المال ما يكفى لدفع الأجر نقداً ، ثم يبيع جلوده فى السوق الحرة .

ولكن ما خبر ذلك الحيوان الصغير الذى تقوم على جلده هذه الصناعة العظيمة ؟

أول ما يقال عنه إن نصف اسمه كذب — فإن فأر المسك ليس فأراً البتة ، ولكنه ينضح بمسك أذفر (قوى الرائحة) يضارع، كما دلت البحوث الحديثة ، الأصناف الغالية التى تستوردها صناعة العطور . وهو حيوان قوى وثيق التركيب ، يبلغ طوله ١٢ بوصة ، وطوله ذنبه ١٠ بوصات ، يتخذه مجدافاً وسكاناً حين يسبح : وهو يطلب طعامه فى الليل . وفى وسعه أن يقرض بأسنانه الحادة جذور الأعشاب وهى على ست بوصات تحت الماء ، ثم يطفو إلى سطحه ، ممسكا طعامه بيديه الصغيرتين ، ويغسله ثم يقضم منه متطعما مستطيباً له .

وبيت فأر المسك، المبنى فى الأعشاب والطين مسكن عبقري التصميم ، فى وسطه سلم يؤدى إلى حجرات مختلفة ، أكبرها غرفة أولاده . ويعلو على سطح الماء ما بين قدمين إلى أربع أقدام ، وقطره عند القاعدة يتراوح بين أربع أقدام وعشر ، تتفرع منه الأنفاق مؤدية إلى مداخل تحت الماء .

وفأر المسك فى لويزيانا يلد فى أى شهر من السنة ، إلا شهرى أغسطس وسبتمبر ، وتطرد الأم أبا أولادها ثلاث مرات فى السنة فيظل بعيداً عن البيت أسبوعين ، تضع فى خلالها بطناً يختلف عدد صغاره من ثلاثة إلى سبعة . وقد يتضاعف تعداد فأر المسك ستة أضعاف فى سنة واحدة على رغم مايلقاه من المناك الجائع (نوع من ابن عرس) والتمساح الأمريكي والبوم. والصقور والحيات وسمك أبى منقار والراكون . ولولا الصيادون لنما فأر المسك وانتشر حتى تصير مراعيه لا تكفيه .

أما الإنسان والوحش المفترس فليسا بألد أعداء فأر المسك ، إنما هى سنوات القحط ، إذ تجف المستنقعات فلا عشب إلا القليل ، فتموت الفئران جوعاً ويكاد نسلها ينقطع وعندئذ تقل الفراء فى السنة التالية.

والفيضان مؤذ كالقحط ، فهو يغرق بيوت الفئران ويغطى سوق العشب وقصبه حتى لا يجد الفأر مأوى يستريح فيه . ففى الفيضان الطاغى الذى حدث سنة ١٩٢٧، حين غمر الماء وطمّ على المستنقعات مئة يوم وثمانية أيام ، لم يلبث موظفو وقاية الحيوان والصيادون وأصحاب الأرض أن صنعوا أطوافاً عائمة من الخشب وكسوها بالعشب وتركوها طافية على الماء ، فتسلقتها ملايين من الفئران ، وكذلك نجت من الفيضان .

لقد مضى زمن كان لا يعبأ فيه أحد شيئاً بما يصيب فأر المسك الضعيف ، ولكنه هو الذى جعل لويزيانا أولى الولايات التى تنتج الفراء فى الولايات المتحدة ، فهذه لويزيانا تشكر له ما أولاها من جميل الصنع .

مدرسة تحت قذائف النّار



فردريك پايستون و هولمان هارى

ملخصة عن "ذى أميريكان ليچيون مجازين"

كنا تحت وابل من النار فى نقطة ارتكازنا فى ساحل أنزيو بإيطاليا، حين لقينا « رتشرد م. تونيس » من خيرة الجند. والمراسلون عادة يدّعون الكتابة وهم تحت النار، إذا وسعهم ذلك، ولكن تونيس كان يكتب درساً فى حساب المثلثات! وكان يقول: «أريد أن أتهيأ لصناعة من الصناعات قبل مغادرة الجيش».

وكان تونيس فى الرابعة والعشرين. وقد غادر المدرسة فى الرابعة عشرة، وصار يتنقل من عمل إلى آخر. ولم يكد يتزوج حتى أبحر مع فرقته. وكان يأخذ أمره مأخذ الجد، وقد أفاد من تجاربه فى الجيش أن الذين يعرفون شيئاً من الصناعات المفيدة هم الذين يتقدمون ويرتقون. فلذلك أجمع عزمه على أن يصير كهربائياً.

سمع تونيس أن فى جيش الولايات المتحدة نظاماً موضوعاً لتيسير الدراسة لمن يريدها. وقد نصحه الناصحون أن يبدأ بتحصيل الهندسة وحساب المثلثات ليكونا الأساس لدراسته الكهرباء، فبادر بإرسال ريالين رسم التسجيل، ولم يلبث أن جاءه منهج الدروس.

وكان يقول وهو فى أنزيو: « إنه لعسير جداً وجود فسحة من الوقت للدرس. فإذا خيم الليل، انحدرت إلى مكمنى وغطيته بملاءة، واستعنت بنور شمعة صغيرة على بعض الدرس، حتى إذا طلع علينا الألمان بقنابلهم وقذائفهم، عجزت عن أن أفكر فى درسى».

وحين يتم تونيس دروسه، ترسل أوراق الامتحان إلى ضابط فى فرقته ليمتحنه. فإذا جاز الامتحان أرسلت إليه دروس المنهج التالى — وهى دروس فى أصول الكهرباء. والريالان اللذان يدفعهما رسماً يشملان جميع المناهج التى يريد تحصيلها، مادام يُتم كل درس فى شهر واحد، دلالة على صدق عزمه.

ومثل آخر، هو الجندى «دويت ب. شير»، فإنه حين جند كان قد أتم سنتين فى الدراسة لنيل الدرجة فى جامعة وشنطن. ولقد ألفيناه، فى فترة من فترات الهجوم على مدينة فالمونتونى فى جنوب روما، يستذكر تاريخ الأدب الإنجليزى. وكانت

المدافع الأمريكية تقصف رعودها والقنابل الألمانية تدوى فوق رؤوسنا ، ولكن شيركان يقول إنه ألفها حتى ليستطيع أن يذاكر على أحسن وجه .

ثم يستطرد فيقول: « ولقد اتفق الجيش مع الجامعة على اعتماد نتيجة امتحانى إذا أنا أديته أمام الضابط ، فجامعتنا من الجامعات التى رضيت هذا وعملت به . فأنا ولا ريب أواصل الدراسة المنتظمة فى جامعتى نفسها » .

والولايات المتحدة تدير اليوم مدرسة بالمراسلة لجنودها ، وهذا بغير شك أعظم تدبير فى التاريخ لتعليم الجماعات . فهناك ألوف فى ميدان القتال ، ممن قطعتهم الحرب عن دراستهم ، يواصلون دراساتهم بالمراسلة . وهناك أيضاً مئات الألوف غيرهم وراء الخطوط يضعون أسس عملهم فى الحياة . فما من رجل أو امرأة فى الخدمة الحربية يستعين بمدرسة المراسلة الممتدة إلى أطراف المعمورة إلا ويعود إلى حياته المدنية بمعرفة جديدة نافعة .

ويتولى إدارة معهد قوات الولايات المتحدة المسلحة الكولونيل « فرنسيس ت . سبولدنج » عميد التربية فى جامعة هارفرد ، ومقره فى مدينة ماديسون فى ولاية وسكونسن ، وله فروع تامة الأهبة فى تسعة ميادين من ميادين الحرب الكبرى .

ويقدم المعهد أكثر من ٢٠٠ منهج فى ١٧ فناً من فنون الدراسة الواسعة ، وتشمل دروس المراسلة التى تقدمها ثمانون كلية وجامعة أمريكية .

ولما أنشئ « معهد القوات المسلحة للولايات المتحدة » فى إبريل سنة ١٩٤٢ ، ساور الشك فى مستقبله أصحاب الرأى ، وقرر الجيش أن السماح للدراسات الخارجية بالافتيات على الواجبات الحربية من الأمور التى لا يمكن النظر فيها ، ثم إن إكراه الجند على الدراسة فى أوقات فراغهم قد يحرمهم ما يحتاجون إليه من راحة أو رياضه . فالمسألة إذن هى : هل يوجد بين القوات المسلحة عدد لا بأس به يحبون « مختارين » أن يصرفوا أوقات فراغهم فى هذا الجهد المضاف ؟

وبدأت الشكوك تزول حين بلغ نبأ هذه المؤسسة الجديدة إلى خطوط القتال فى أقصى الميادين . لقد سرت الفكرة كالنار فى الهشيم من أيسلندة إلى المحيط الهادى ، ومن لندن إلى القاهرة وروما ، على البوارج الحربية وفى ميادين القتال البرية . وفى أواخر شهر ديسمبر الماضى بلغ إحصاء من يعكفون على الدراسة فى أرجاء المعمورة ٨٦٠٫٠٠٠ من الرجال والنساء . ويتقدم كل يوم ما يبلغ ١١٠٠ طلب ، وينتظر أن يبلغ عدد

المسجلين فى المعهد ثلاثة أضعافه هذا الشتاء . ويوجد الآن ١٥ مليون كتاب لتوزيعها فى أقرب وقت . وقد انهالت الطلبات على المطابع لطبع كتب الدراسة والبيانات .

وتدل الاحصاءات حتى الآن على أن ١٧٠٠ من طلبة المدارس الثانوية الذين قطعت الحرب عليهم دروسهم قد حصلوا بالمراسلة على شهاداتهم ، وأن نحو مئتين قد أتموا دراستهم فى الجامعة .

ولقد سئل خمسون من هؤلاء الطلبة فى الجيش الخامس ، فإذا كل واحد منهم راض كل الرضى عن منهج دراسته الخاصة ، مرتاح لسرعة رجع البريد بالإجابات على الأسئلة . وقد اتضح للجيش أن المعهد بمراسلاته يعدّ أفضل عامل بين العوامل التى تقوى الروح المعنوية .

وقد يجتمع أحياناً بعض الطلبة فيكونون كالفصول ليتدارسوا موضوعاً معاً . وسواقو سيارات القيادة وسيارات جيب مثلا كثيراً ما يطول بهم الانتظار من غير عمل . ولما كان كل اهتمامهم بالآلات ، فإنهم يظلون كالمسحورين تحت غطاء دبابة من الدبابات الألمانية التى تسير بمحرك ديزل أو يفككون سيارة صغيرة وجدوها بين الغنائم التى وقعت للجيش ، فلذلك أنشأ « بدى بل » من برونزفيل فى ولاية تكساس فصلا تابعاً للمعهد لدراسة هندسة الديزل ، فرى السواقين يؤهلون ليصبحوا جميعاً خبراء فى الديزل بعد سبعة عشر درساً مع المران على الآلات المغنومة من العدو .

ولم يجد المعهد طريقة لنشر تعلم اللغات الأجنبية إلا بمثل هذه الفصول ، لأن الأمر يتعلق بتعليم لغة الكلام وحدها . فكان يوزع على كل عشرة أو أكثر أسطوانات مسجلة الوجهين قياسها ١٢ بوصة ، ومعها إرشادات مطبوعة ، فيتاح لهم بذلك تحصيل كلمات مستعملة تبلغ ثلثمئة كلمة ، وجمل مفيدة تبلغ مئة وخمسين جملة ، فى عشر ساعات أو اثنتى عشرة ساعة من هذه الدروس المشتركة . ومناهج التوسع فى تعليم لغة من اللغات تتألف من ٢٤ أسطوانة مسجلة الوجهين . وتستطيع الجماعة فى ٢٠٠ ساعة من ساعات الدراسة أن يجيدوا عدداً لا يقل عن ١٥٠٠ كلمة ، مع التزود بحسن النطق وطلاوة اللسان . والمناهج ميسورة لتعلم الفرنسية والألمانية والصينية ، وسوف تكون ميسورة عن قريب لتعلم ثمانى عشرة لغة أخرى .

ولقد أراد جاويش شاب يتولى صرف المرتبات فى إحدى سفن البحرية الأمريكية أن يعرف منهج تعلم الصينية أو الروسية وقال : « سيكون أمامنا توريد الكثير من البضائع إلى هذه الأقطار ، ولا شك فى أن

معرفة اللغة تكفل لى عملا لا بأس به فى حركة البيع أو الترويج فى هذه الأسواق المنتظرة » .

وقد أظهر ضباط الأسطول والبحارة وخفر السواحل اهتماما شديداً بمعهد القوات المسلحة، وأذاعوا خبره بين رجالهم وأهابت البحرية بالمعهد أن يساعد على تزويد المجندين بدراسة ترفع من درجتهم فى الخدمة ، كما أنها عينت فى كل محطة بحرية ضباطاً من هيئة التعليم لتنظيم فصول للدراسة .

وهناك عشرات الألوف من طلاب المعهد منتشرون فى مناطق المحيط الهادى النائية . ومن هؤلاء مدفعى عاقته عوائق شديدة عن التقدم فى دراسته . وقد كتب يقول : «هذه هى المرة الثانية التى أكتب فيها طالباً نسخة الدروس من جديد ، ويرجع ذلك إلى شىء من سوء الحظ . ففى المرة الأولى فقدت أوراق الدرس حين غرقت السفينة . وفى هذه المرة طاحت بها قنبلتان . ولقد انتظرت بعد ذلك بعض الوقت لأتبين ما سيكون قبل الشروع مرة أخرى » .

وفى الرسائل الواردة على مقر المعهد فى ماديسون أخبار طريفة . من ذلك رسالة وردت من سيدة برتبة ضابط فى البحرية ، وهى مشرفة على بعض ثكنات الجند ، وقد ضايقها كثرة الشكوى من المواسير ، حتى طلبت من المعهد أن تتلقى دروساً فى السباكة. وكتب جاويش فى جزائر البحر الكاريبى بلهجة الحزين الواجد يبسط السبب فى تأخره فى إرسال دروسه قائلا : « إنها حشرات المنطقة الحارة، لقد أكلت أوراقى» .

وأما الجند القائمون بالمراقبة منفردين فى مراكز نائية لا يكثر ورود البريد إليها ، فإنهم يطلبون منهجاً يدرسه المرء وحده بغير معين . ولقد بذل المعهد كل جهد فى إخراج هذه الكتب، حتى يستطيع الطالب تصحيح إجاباته وتقدير درجتها دون الرجوع إلى معلم أو انتظار تصحيح يجىء بالبريد . ويتلقى الأسرى الأمريكيون فى معسكرات الأسر الألمانية هذه الكتب عن طريق جمعية الشبان المسيحية الدولية ، وعن طريق لجنة الصليب الأحمر الدولية بجنيف .

ويستعد المعهد للفترات التى تلى الحرب فى أوربا وآسيا ، تلك الفترات الفارغة المملة التى يجد الجندى الأمريكى فيها متسعاً من الوقت . فلسوف يزود بمناهج أخرى كثيرة فى نظام الحكومة والتربية المدنية . وتوضع الخطط منذ الآن لتنظيم جماعات المناظرة والمساجلة فى أهم المسائل التى تشغل الأذهان وقتئذ . إن فرص الدراسة سوف تتاح للجند فى أوسع نطاق ، حين تخمد نار الحرب ويبرد حديدها .

القاذفة المخيفة ب — ٢٩

لا غرابة فى أن مقاتلات اليابانيين تؤثر أن لا تنازل القلاع الطائرة المتفوقة .

بروس بليفن • ملخصة عن مجلة " ذى نيو ريببلك "

منذ حين أذنت القوات الجوية الأمريكية فى نشر بعض الحقائق عن القاذفة « ب — ٢٩ » فذهبت لأراها بعينى . هى أقوى قاذفة فى العالم ، فهى تفوق كل قاذفة معروفة تحليقاً وسرعة ومدى ، بل إن ما بين طرفى جناحيها أطول من المسافة التى قطعها أول من طار ، وهما الأخوان رايت حين طارا فى كيتى هوك .

كل شىء فى هذه الطائرة يواتيك على المبالغة فى تفضيلها . وليس فى تاريخ الحرب سلاح بذل فى سبيله من المال وجهود الرجال مثل الذى يبذل من أجل الطائرة المتفوقة ب — ٢٩ . وقد أرصدلها الجنرال « هاب » أرنولد ، قائد السلاح الجوى الأمريكى ، ومعاونوه ثلاثة بلايين ريال من قبل أن تنطلق واحدة منها فى الجو . وأكب ٧٥٠ مهندسا سنتين على وضع تصميمها . ولا يزال ألف مهندس يعملون على إدخال تعديلات فيها ، على ما بدا من نجاحها الباهر . وقد شرعت المصانع تدخل نحو ألف تعديل فى بنائها . وفى كل طائرة منها أجزاء مختلفة تبلغ عدتها ٥٥,٠٠٠ جزء مرقوم ، فيبلغ وزنها وهى على أهبة العمل ٦٣,٠٠٠ رطل ، وقد يكون وزن القنابل وحده ٣٠ ألف رطل منها .

والقاذفة الكبيرة التى تقطع ٣٠٠٠ ميل أو أكثر فى مهمة واحدة ، تمتحن رجالها امتحاناً قاسياً وهم فى الجو . فليس فى وسع امرىء أن يقطع تلك المسافة مرتديا رداء ثقيلا مدفأ تدفئة كهربائية ، مستنشقاً الأكسجين ، دون أن يبلغ منه الإعياء كل مبلغ . فلو أنه كان لزاما على المدفعيين أن يدسوا أنفسهم فى كرة مصنوعة من العجائن ، وكان عليهم أن يطلقوا مدفعا رشاشاً بأيديهم ، لأخذهم من الإعياء ما يعجزهم عن إصابة شىء ما ، فناهيك بطائرة يابانية من طراز « زيرو » تنقض عليهم بسرعة ٤٠٠ ميل فى الساعة .

فانكب المهندسون على العمل ، ويسر لهم الالتجاء إلى عدد من الأجهزة أن يهيئوا للركاب أسباب الجلوس مستريحين وعليهم ملابس خفيفة ، فى مقصورة قدّر ضغطها الجوى ، فيدور فيها هواء نقى مدفأ ، ضغطه كضغط الهواء عند سطح البحر ، فيقومون بأعمالهم فى أحوال تقصى عنهم أسباب الإجهاد قدر الطاقة .

وكان أول هــذه الأجهزة جهاز يدير المدافع من بعيد . ففى القاذفة خمسة أبراج للمدافع متفرقة يحتوى كل منها على رشاشين يمكن تسديدها فى جميع الاتجاهات الواقعة على محيط أكبر قليلا من نصف كرة . ثم هناك أيضاً خمس قباب من زجاج غير قابل للكسر — وهى مواقع للمراقبة والتسديد يستخدمها المدفعيون . وقد أعدت الأبراج ومواقع المراقبــة والتسديد بحيث تتيح للمدفعيين خير مجال للرؤية وتسديد النيران فى كل مكان وفى أى وقت . والواقع أنه يمكن تسديد النار من أبراج عدة إلى أية مقاتلة معادية من حيثما أقبلت ، ومهما يكن ميل زاويتها . ثم هنــاك جهاز إلــكترونى يسمح لكل مدفعى بأن يسيطر فى لمح البصر على المدافع التى فى برج أو أكثر غير برجه ، مع أنه لا يطلب منه فى العادة إلا أن يدير برجا واحداً . ففى الوسع تسديد كل المدافع أو بعضها على ٣٠ وجهاً مختلفاً ، تسديداً فى إثر آخر .

وهــذا حسبك من العجب ، ولــكنه ليس إلا بدء العجب ، فإحكام رماية هذه المدافع لا يضارع . وقد أنجزت هذه القاذفات أربع عشرة مهمة فى المحيــط الهادى قبل أن تستطيع مقاتلة يابانية أن تسقط واحدة منها . بل حدث مرة أن تمكنت قلعة طائرة متفوقة من أن تصد وحــدها هجمات ٧٩ مقاتلة فى معركة استمرت أربع ساعات ، فأسقطت سبع مقاتلات وعادت ســالمة إلى قاعدتها . وقد بلغ إحكام رماية هذه المدافع حتى شــوهد بعض الطيارين اليابانيين فى إحدى الغارات الأخيرة وهم يقفزون بالمظلات من مقاتلاتهم قبيل دنوها من مرماها .

ويعود الفضل فى ذلك النجاح إلى جهاز جديد هو الآلة الحاسبة الإلــكترونية . فإطلاق النار من مدفع رشاش مثبت فى طائرة منطلقة مسرعة ، على طائرة أخرى ، يثير مشكلات معقدة . فلا شك فى أن الرصاصة المسددة مباشرة من إحداهما إلى الأخرى تميل عن هدفها عدة ياردات ، لأنهما تطيران فى اتجاهين متضادين . والقاذفة ب — ٢٩ تحدث تيــاراً من الهواء يكفى لأن يحرف الرصاصة ، ثم إن قوة جذب الأرض تخفضها عدة أقــدام ، ثم إن سير الرصاص يختلف باختلاف درجات الحرارة وكثافة الهــواء بين طبقات الجو السفلى والعليا .

والآلة الحاسبة الإلــكترونية تحل جميع هذه المشــكلات حلا بالغ الدقة وبسرعة الضوء . وربما أمكننى تصوير الأمر بوضع حوار يدور بين المدفعى والآلة :

المدفعى : نحن نطير الآن على ارتفاع ٣١٫٠٠٠ قدم فى درجة من الحرارة تبلغ

أربعين تحت الصفر ، فأرجو أن تقدرى شأن هذين العاملين فى جميع ما تفعلينه .

الآلة : (لا تنطق) .

المدفعى : تبلغ سرعتنا ٣٠٠ ميـل فى الساعة ، ويطير العـدو فى اتجاه مخالف بسرعة ٤٠٠ ميل ، فأدخلى هذين العاملين أيضاً فى تقديرك .

الآلة : (لا تنبس بحرف) .

المدفعى : وقدرى شأن قوة الجاذبيـة ومقاومة الهواء للرصاص ، ثم شأن المسـافة التى تفصل بين عينى وبرج المدافع الذى يبعد عنى بضع ياردات .

الآلة : (تشهق،أو هذا ما كنت أفعله أنا لو كنت فى مثل مأزقها هذا) .

المدفعى : قدرى كل هذا جملة واحدة ومن فورك ، واستمرى كذلك على حسب ما ينبغى ، حتى إذا أطلقت تلك المدافع كنت على ثقة من إصابة الهدف ٩٩ ٪

الآلة : (لا تجيب إلا بهدير خافت) .

ولقد رأيت شاهداً على قدرة هذا الجهاز فى فندق ولدورف — أستوريا بنيويورك حيث أقيم برجان ، وجهاز تسديد ، وآلة حاسبة إلـكترونيـة ، وهى صندوق مربع أســود فى حجم الحقيبة الـكبيرة تغطيه العدادات ، وتمتد منه أسلاك ضخمة مغطاة كأنها أذرع أخطبوط .

وجلس الرجل الذى يعرض الآلة ، وكان موفداً من شركة جنرال إلـكتريك ، خلف جهاز التسديد ، وهو مجموعة من آلات معقدة ذات منافذ كثيرة ترتفع عن الأرض نحو خمس أقدام . وكان رأسه مختفياً بين أسنان التروس . وكان قبالته لوحة من الزجاج المصقول ظهرت عليهـا دائرة من نقط مضيئة حمراء . وكان قد قدّر حجم طائرة يابانية تدنو منه ، فضبط المقاييس على حسب حجمها . فلما أثبت جميع المعلومات الأخرى فى الجهاز ، لم يكن عليـه إلا أن يبقى صورة الطائرة اليابانية ماثلة فى الدائرة المضيئة الحمراء ، بحيث يطابق الخط الممتد بين طرفيها القطر الأفقى للدائرة،ثم يضغط على الزناد . فيتولى الجهاز إتمام العمل .

وجهاز التسديد هذا — المدفعى وجميع الأجزاء — مطلق الحركة فى كل اتجاه ، فإذا تحرك تبعه البرج على الفور وفى دقة متناهية ، مع أنه يبعد عنـه عشر أقدام ، ولا يصله به إلا بضعة أسلاك . فإذا كانت الوصلة تشمل برجين أو ثلاثة رأيتها تدور برشاشـاتها الثقيلة السود فى توافق تام مع جهـاز التسديد ، خاضعة لإرادة المدفعى الذى يبـدو كأنه لفافة بشرية واهية بين تلك الآلات الضخمة الفتاكة .

ولعـل أعجب ذلك أن تشاهد المدفعى

وهو يبــذل غاية طاقة البشر وهو يسدّد مدافعه إلى الهدف، وقد وقفت الآلة الحاسبة عن عملها . ثم يعيــدها لتعمل ، فتنطلق نبهقة ، وتحدث رجة خفيفة ، إذ تصحح الأبراج كلها معاً خطأ ذلك الشخص الفانى فى تسديدها ، وجهد ما يستطيعه يبــدو قاصرا بالقيــاس إلى ما تفعله الأجهزة الإلكترونية .

ولما كان نطاق النــار لكل زوج من المدافع أكثر من نصف كرة ، فربما سدّد بعضها إلى جزء من الطائرة نفسها ، فترى مثلا أن قسما من ذيل القلعة المتفوقة يقع فى مرمى البرج الأوســط فى أعلى القاذفة ، ولكن الآلة قمينة بأن تدبّر هذا الأمر . ولنفرض أن المدفعين يطلقان الرصاص (٨٠٠ طلقة فى الدقيقة) على طائرة عند مؤخرتها ، وأنهما يتحركان من الشمال إلى اليمين مارين بالذيل ، فما يكادان يصبحان على بعد جزء من البوصة ، من المكان الذى يصيبان من عنده نسيج الذيل برصاصهما ، حتى يتوقفا عن الإطلاق من تلقاء نفسهما ، ويسبق المدفع الأيمن المدفع الأيسر بجزء من الثانية . ثم ما يكادان يصــلان إلى حيث يسعهما الضرب دون أن يصاب الذيل ، حتى ينطلقا مرة أخرى — فيسبق المدفع الأيمن صاحبه بجزء من الثانية . فإذا علمت أن تحريك المدافع فى دورة قدرها ١٨٠ درجة يستغرق ثانيتين لاغير ، استطعت أن تتخيل مقدار السرعة التى يتم بها هــذا الأمر . وحتى الهواة العسكريون يستطيعون أن يدركوا ما لهذه القاذفة ، ثم ما يتبعها من طائرات أضخم منها وأعظم ، من خطر الشأن . وإنى لأحب لكل أمريكى أن يكون على علم بجميع الحقائق عن القاذفة ب — ٢٩ يوم يأتى زمن المناقشة فى خطط السلام ، فإنه إذا كان فى وسع الولايات المتحدة أن تصنعها الآن، فإن أعداءها سوف يستطيعون ذلك عاجلا أو آجلا .

حدث هذا فى « فيفث أفنيو » بنيويورك . كانت الفتاة تحمل بين ذراعيها رزماً كثيرة ، فأقبلت على جندى المرور وأسرت إليــه بضع كلمات ، فأخذ الرزم منها على الفور ، وأما هى فانحنت وقوّمت خــط جوربها ، ثم استردت رزمها وشكرت الجندى ومضت فى سبيلها . فلمــا أصبحت على بعــد خطوات منه نظر إلى مؤخر ساقيها وقال : « نعم . هذا أحسن » ثم صفر بصفارته ، وانطلق تيار المرور مرة أخرى .

رجـــل ومحـــراث

ابتدع ماك جودر طريقة فى حرث مزرعته الجبلية ، فظل ثلاثين سنة يجنى منها ربحاً فى كل سـنة ، وصان أرضه فى منطقة تـكتنفه قد نهكها تآكل التربة .

هـارولد مـارتن + + + ملخصـة عن صحـيفة " اتلانتا كونـستيتيوشن "

ماك جودر رجل يُرى من عامة الناس ويبلغ من العمر إحـدى وستين سنة ، قوّس العمل ظهرهُ قليلاً ، وتراه يرتدى قبعة عتيقة وسترة قديمة سمراء وثوبا أزرق نصل لونهُ ، من تلك الثياب التى يرتديها كثير من الزراع فى ولاية جورجيا . وهو يقطن منزلا عاديا مسقوفاً بالصفيح لا طلاء عليـه ، وليس فى بيته ما يميزه عن غيره إلا أن ما فيـه من طعام وفير هو من محصول مزرعتـه . ومخزنه مبنى بالحطب أما سائر المبانى فى المزرعة فتبنى مائلة ضد اتجاه الريح ، شأنها فى ذلك شأن غيرها . وليس فى هذه المبانى ما يميزها عن غيرها ، إلا أن ترى لدى جودر علفا يبيعه يوم يكون لابد لكل مزارع آخر تقريبـاً من أن يشترى علفاً .

وأول ما يستوقفك من أمر ماك جودر هو مزرعتـه ، التى لا تضارعها مزرعة أخرى فى جورجيا . فهى خضراء يانعـة كالجنة ، قائمـة بين التلال التى تآكلت تربتها فى « هول كونتى » . فتربة هذه المزرعة عميقة خصبة كأنها أرض بكر لم يشقها محراث من قبل ، تضارع فى خصبها أرض الوادى ، مع أن كل بوصة مربعة منها مائلة منحدرة ، يبلغ انحـدارها من ١٥ قدما إلى ٢٠ فى كل مئة قدم — فهى شبيهة فى انحـدارها بما يحيط بها من أرض تـكثر فيها الأخاديد العميقة كأنها جراح فاغرة وحروق واسعة ، حيث ذهب تآكل السطح بالتربة وجرفها بعيداً .

ويخيل إليك إذا رأيت هـذه المزرعة فى موسم الزراعة ، أنك لم تر ما يضارعها كآبة وإهمالا . فحقولهـا ليست منبسطة عارية مكشوفة للريح والشمس والمطر ، كسائر الحقول فى سائر المزارع ، بل تـكسوها نفاية النبات حطب الذرة والقطن وسيقان البسلة والحشائش . ويظل منظرها كذلك ، حتى تنبت محاصيل الربيع فتغطى هـذه الفضلات ، ويجنى ماك جودر من محاصيـل القطن والذرة والحبوب ثلاثة أضعاف معدل ما يجنى فى هـذه المنطقة أو أربعة أضعافه . ولم يزل جودر يجنى ربحاً

من مزرعته منذ ثلاثين سنة ، فى فصول الجفاف والمطر على السواء .

ويعلم ماك جودر سر ذلك ، ويسره أن يفضى به إلى كل سائل . فهو يقول : « انبذ محراثك القلاب ، واترك على الأرض كل ما لا حاجة بك إلى أكله أو بيعه ، ودع الطين حيث أراد ربك القدير أن يكون — فى باطن الأرض » .

بدأ ماك جودر يدرس أسباب تلف الأرض وتأكل التربة منذ أربعين سنة حين كان فلاحاً أجيراً ، فخلص إلى أن السبب هو المحراث القلاب ، الذى يدفن فى باطن الأرض بقايا المحاصيل التى تتركها على سطحها بعد الحصاد . فلكى تظل التربة قادرة على الإنتاج ، لا بد من أن تترك طبقة كثيفة من المواد العضوية المتناثرة على الأرض ، لتحفظ الماء على التربة ، ولا بد فى الوقت نفسه من أن تشق الأرض لكى يتسرب الماء إليها حين سقوطه ، ثم لا بد لك من أن تبقى غذاء النبات قريباً من سطح الأرض حيث تتمكن جذور النبات من أن تتغذى به .

وقد خلص جودر إلى هذه الآراء ، قبل أن يكتب إدوارد فوكنر كتابه(*) « جريرة الحارث » ، بثلاثين سنة ، ولكنه ظل عاجزاً عن تنفيذها وهو فلاح أجير . ولذلك وفر ما استطاع من أجره حتى جمع مالا مكنه من شراء مئة فدان من أرض شجراء وقد قال : « لما كنت قد بدأت عملى فى أرض بكر كهذه ، قدرت أنى أستطيع أن أتبين أمصيب أنا أم مخطىء » .

وأخذ يقطع الشجر ، وعندئذ عمل أول ما خالف به سنة الزراع ، فهو لم يلق فى النار إلا الجذوع والأغصان الكبيرة ، وأما ما بقى من الأغصان الصغيرة والورق وسائر النفايات بعد الحطب ، فقد تركه ملقى على الأرض حتى يتحلل .

ولم يكن ثمة محراث يستطيع أن يحرث به الأرض كما يريد ، فصنع محراثه بنفسه . أخذ حديدة جاروف قديم كان يستعمل فى تمهيد الطرق ، وطرق قطعة منه طولها ١٤ بوصة وعرضها أربع بوصات ونصف ، حتى صارت قليلة التقعير ، ثم ثبت فيها طرفاً مدبباً ، ثم وصله بالنِّير (العريش) وفيه زوج من الخيل . فلما جرب محراثه غاص إلى عمق يختلف من ١٢ بوصة إلى ١٤ بوصة ، أى بلغ عمق غوصه مبلغاً يكفى لوصول رأس المحراث إلى سطح طبقة الصلصال . فشق الأرض كالمحراث العادى (البلدى) ولكنه ترك نفايات النبات منثورة على سطح الأرض ، فأطلق على محراثه هذا

(*) « أبطلوا المحراث » ، المختار ، مارس ١٩٤٤ ص ٧٠

الذى صنعه بيده اسم (لسان الثور الفجاج). ثم سير على الأرض مِسْلفة أسطوانية، ففتتت المدر وخلطته بطبقة عمقها بوصة أو بوصتان من التراب .

وكان جودر قد قطع الشجر من مساحة تبلغ ثلاثين فداناً ، فحرثها كلها هذا الحرث ثم زرعها . ولم ينشىء فى السنوات الأولى مصاطب على منحدر الأكمة ، فقد كان يريد أن يعلم أتستطيع هذه الطبقة من سطح التربة التى اختلطت ببقايا الأشجار أن تظل متماسكة . وقد ظلت ، إلا حيث كان سيل المطر جارفاً ، مع أنها كانت تغطى أرضاً منحدرة يبلغ انحدارها عشرين درجة . وقد جرفت الأمطار الغزيرة التربة فى بعض المواقع ، فبدأ يقيم المصاطب .

وهو يقول : « إذا انهارت المصاطب ، حين يتدفق المطر الجارف ، فخير للزارع أن لا ينشىء مصاطب قط ، فسطح هذه الأرض يجب أن يكون قادراً على أن يتشرب المطر إلا أغزره » .

وقد أقنعه ما جناه من المحاصيل ، وثبات التربة على المنحدرات ، أنه قد وفق إلى جادة الصواب . وهو يعتقد أن أرضه لم تزل خصبة عميقة كما كانت يوم أزال عنها الغابة .

ومنذ عشر سنوات خطر له خاطر آخر ، فقد حسب أنه إذا كان قد وفق بطريقته إلى إنقاذ الأرض الجيدة ومنعها من التآكل بما يجرفه منها المطر ، ففى الوسع أن يعتمد على الطريقة نفسها فى إصلاح الأرض التى بلغ منها التآكل والتلف مبلغاً شديداً . فاشترى ثمانية أفدنة أو تسعة كانت تجاور أرضه ، وهى أرض قد نهكها الحراث القلاب فجرفت تربتها تماماً أو كادت ، على حين كان يحرث أرضه بحراث « لسان الثور » .

وقد قال لى وهو يشير بيده : « كان فى هذا الموضع بقعة جرفت فلا يستطيع بغل أن يعبرها ، كانت أخدوداً عمقه ست أقدام إلى ثمان ، وكان هناك أخدود آخر » . ومع ذلك فإن جودر استطاع أن يصلح الأرض حتى ليعجزك أن ترى أين كانت هذه الأخاديد العميقة .

ثم قال : « لا بد أن ينقضى زمن طويل ، قبل أن يكفى ما يتجمع من الفضلات وبقايا النبات لإصلاح هذه الأرض حتى تضارع أرضى الأولى ، ولكنها تغل الآن ثلاثة أضعاف ما كانت تغله حين اشتريتها أو أربعة أضعافه ، وليس فيها أثر لتآكل التربة .

وعلى قمة تل نال منه التآكل فردَّه جودر إلى الإنتاج المثمر ، خلع هناك قبعته وجعل يتحدث عن الأرض حديثاً حافلا بالشعور العميق حتى كأنه شعور دينى .

قال : « إن حبي الأرض يفوق فيما أظن حب أي امرىء آخر لها ، أو يعادله وعندى أن كل من يسيء استعمالها يقترف إثماً لا يغتفر » .

وطريقة جودر فى فلاحة الأرض أشق من طريقة المحراث القلاب ، وأسهل منها معاً ، فهي تستغرق زمناً أطول قليلا فى إعداد التربة ، لأن محراث لسان الثور لا يجارى المحراث القلاب فى مقدار ما يشقه من الأرض ، ولكنها أيسر بعد إعداد التربة ، إذ تستطيع المحاصيل نفسها فى مستهل نباتها أن تبيد كثيراً من الحشائش ، فلين التربة ييسر تفتيتها على جذور الحشائش ، فلا تتجمع حول الجذور .

ويجنى جودر ٩ أرادب (٥٠ بوشلا) من فدان الشوفان ، على حين لا يزيد متوسط محصول المنطقة على ٤٫٥ أردب (٢٥ بوشلا) ، ويجنى ٤٫٥ أردب إلى ٤٫٧ أردب من القمح ، مع أن متوسط غلته فى المنطقة يبلغ ١٫٨ أردب ، ويجنى ٩ أرادب إلى ١٣٫٥ أردب من الذرة فى الفدان الواحد ، وقد بلغ محصوله أحياناً ١٦٫٥ أردب وهو محصول الأرض فى الوادى ، مع أن أرضه قائمة على منحدر . قال : « عندى دائماً ما يكفينى ، ويتبقى شيء أبيعه » .

ويخالف جودر ما جاء فى كتاب « جريرة الحارث » فى أمر واحد ، فهو يرى أنه يجب أن تشق الأرض شقاً عميقاً لتستطيع المياه أن تتسرب فيها . أما كتاب « جريرة الحارث » فيقول : إن طبقة السطح المختلطة هى كل ما يحتفظ بالماء اللازم . ولكنه لا يجادل فى ذلك ويكتفى بأن تجاربه دلته على عكس ما يقوله ذلك الكتاب .

وقد استطاع جودر فى الفصول السمان والفصول العجاف أن يجنى ربحاً من مزرعته كل عام . وهو يرى مخزنه غاصاً بعلف لماشيته ، وخزانة طعامه ممتلئة بكل ما يلزم لأسرته . وهو يتسلق مصاطب حقله إلى أعلى المنحدر ، حيث قد تظن التراب رقيقاً والأرض مواتاً ، ويأخذ بيده حفنة من تربة سوداء طرية عمقها ثمانى بوصات ، فيطفح وجهه بشراً ويقول : « كل ما أطلبه هو أن أترك التربة هنا فى مثل جودتها حين جئت ، قادرة على أن تغذى جيلا آخر من بعدى » .

أهدى بول لوكاس الممثل خاتما إلى زوجته فى يوم احتفالهما بعيد زواجهما السادس عشر ، وإذا العبارة التالية منقوشة على الخاتم : « جزاء ما أسديتِ من خدمة فوق حدّ الواجب » . [ولتر ونشل]

سر الأبراج الحجرية

من كان هذا الشعب الغريب؟
ومن الذين استأصلوا شأفته؟
قصة عالم أثرى تخالها بوليسية . .

✲ ✲ ✲

فرانك س. هيبن • ملخصة عن مجلة "ستردای إيفننج بوست"

عثر « جو أريانو » على الأبراج سنة ١٩٣٣ وهو يبحث عن الذهب فى أرض موحشة مجهولة فى الوسط الشمالى من ولاية « نيو مكسيكو » . وهكذا أتيح لمزارع مكسيكى خرج يبحث عن الذهب ، أن يكشف لنا الغطاء عن سر قديم مضت عليه ٧٠٠ سنة ، هى قصة مثيرة من قصص العنف ، وإهراق دماء لا أول له ولا آخر .

أحضر جو إلى مدينة « سانتافيه » ثمانى برام من الفخار قديمة منقوشة ، قال إنه عثر عليها بين أنقاض الأبراج الحجرية والأقاليم الجنوبية الغربية حافلة اليوم بأنقاض القرى القديمة ، ولكن ليس فى شىء منها أبراج حجرية ، فهذا إذن شىء لا مثيل له ، فلذلك هيأنا بعثاً انطلق للفحص عن أبراج « جو أريانو » .

قادنا جو فى طريق ترب صغير يؤدى إلى وادٍ عميق وعر يحاذى نهر « غالينا » ، ورأينا البرج الأول عند ما أشرفنا على وادٍ عميق جوانبه من صخر رملى خشن ، وكان قائماً على إحدى تلك القنن الصخرية المشمخرة . ومن خلال المناظير ، استطعنا أن نرى سائر الأبراج ، مفردة ومجتمعة ، تلوح فوق الصخور كأنها صروح القرون الوسطى .

من بنى هذه الأبراج ؟ وماذا حمل هؤلاء القوم على أن يرتدوا إلى ذلك المكان الوعر الشنيع الوعورة ، ويشيدوا قلاعهم المنيعة فى مثل تلك المهالك المخوفة ؟ لم نستطع أن ننسب هذه الآثار إلى قبائل « النافاهو » أو « الأباش » أو غيرهما من الهنود الحمر الذين يسمون « الهنود المغيرين » .

ضربنا خيامنا وقضينا أسابيع فى بحث شامل ، فتسلقنا الصخور الشامخة على حفافى الوادى العميق ، وضربنا أميالا فى كل اتجاه . فاستبان لنا أن ما لاح لنا أول الأمر كأنه مجموعة ضئيلة من الأبراج الصخرية فى وادٍ منعزل ، إنما هو سلسلة متصلة من قرى ذات أبراج . وقد أحصينا فى قسم واحد أكثر من ٥٠٠ برج منتشرة فى مساحة

تراوح بين ٣٥ ميلا و ٥٠ ، وقضينا ثلاثة أشهر فى الحفر عن خمسة أبراج . وقد اتضح لنا بعدُ ، أن البرج الأول مثال كامل منها . ارتفاعه فى الأصل ما بين ٢٥ قدماً و ٣٠ قدماً ، والجدران مشيدة بقطع مربعة خشنة من الصخر الرملى مثبتة بملاط من طين أنضجته الشمس ، وهى جدران مزدوجة فى جوفها حشوة من المدَر حتى يبلغ سمكها عند القاعدة ست أقدام .

وكان جزء من سقف هذا البرج لا يزال قائماً ، وبه وكر من الحجر يحارب سكانه من وراء جداره ، ولا سبيل إلى الدخول والخروج ، إلا من سلالم تؤدى إلى فتحة فى السقف ، ولقد وجدنا أجزاء من هذه السلالم فى الأنقاض .

ولما أزحنا التراب وبقايا البناء المتهدم فى جوف البرج ، لاح لنا طرف من تخطيط ملون على الملاط الذى طلى به الجدار من الداخل . ثم أخذت تتكشف لنا واحدة بعد واحدة ، صور النباتات والطيور والزهور تتخللها رايات مثلثة الشكل .

أما أرض البرج ، ومساحتها ٢٠ قدماً فى ٢٠ قدماً ، فكانت مرصوفة ببلاط ضخم من الصخر الرملى ، وعلى جوانب الحجرة مقاعد غائرة فى الجدار مبنية بالحجر واللبن عليها مُظَلّة من الصخر الرملى . وكانتُ هذه القاعد الغائرة تتخذ أيضاً صوامع للاختزان . وفى أحد جوانب الأرض ، موقد نار له حافة تطيف به ، وثمة نفق فى الجدار للتهوية ، هو أشبه بمدخنة تبدأ من الأرض .

وحينما نظرت فى جوف البرج ، رأيت نبض الحياة — وخفوت الموت أيضا — وكانت هبّة الهواء المختزن منذ قرون فى تلك المطامير عند ما تفتحها ، أشبه برائحة قبر فرعونى . وكانت المطامير غاصة بأمتعة سكانه : حقائب من جلد الظبى بها ذرور التجميل المستعمل فى أيام المحافل ، وحلى من الأصداف ، وعصى للكهان منقوشة من الخشب ، وريش ، ودمى صغيرة تمائم للحظ ، وأردية من جلود الظباء ، ومطارف من الريش ، وسهام من الخيزران والصوان ، ومقانع وقرون .

وليس شىء من جميع ما تُرِك فى هذه الفوضى ، ما هو أعجب من سكان البرج أنفسهم . ستة عشر هيكلا منثورة على هيئات مختلفة ، ومعهم قصتهم المحزنة . وحينما تطلعت رأيت شواهد على أن هذا الحصن قد هوجم ، وأن المدافعين عنه قتلوا ، وأن البرج قد ضرب بالسهام النارية ، وأن خشب السقف قد احترق ثم تقوض السقف ، وأن أولئك الذين كانوا يحاربون فى الوكر

قد سقطوا مع السقف عند انهياره . واصطلحت حرارة هذه البقعة الجنوبية وجفافها وفعل النار فى تفحم الأجسام ، فحفظت الجثث حفظاً تاماً ، فكانت الهيا كل أحسن حالا من كثير من الموميات الفرعونية.

فهذه جثة امرأة انقلبت على ظهرها فى إحدى صوامع الخزن . لقد دقت عظامها الأحجار المتهاوية ، ولكن جسمها بقى على خير حال ، حتى تكاد ترى على وجهها وسْم تباريح العذاب ، وقد نشب فى صدرها وبطنها ستة عشر نصلا من نصال السهام المحترقة ، وقد قبضت بيسراها على قوس صغيرة من خشب السندان شديدة بادية الشدة ، لا يزال فى طرفيها بقية من وترها .

وهذه امرأة خرى فى كتفها سهم ، وقد بلغ منها التهشيم ، ولكن تصفيف شعرها لم يزل فى خير هيئته ، وقد فرّقته ثم أرسلت على كلا الصدغين ثلاث غدائر ، عقصْتها إلى أعلى ، وثبتتها بسيور ملونة من جلد الغزال ، وجمعتها عقدة واحدة فى مؤخر رأسها . أما مفرق الشعر فكان مدهوناً بدهان أحمر.

وعلى الأرض ثلة من المحاربين ، وفى يد أحدهم ثلاث قسى وحزمة فيها سبعة وعشرون سهماً ، وبيّن أنه كان يوزع الذخيرة حين صرعته ضربة فأس . ورأينا آخر مات مثل ميتته الشنيعة ، فلا تزال ترى فأساً مشرشرة الحد ومغروزة فى جمجمته وقد غار فيها نصف النصل .

وعند فوهة المدخنة رأينا أشد المناظر مجلبة للأسى ، فهذا فتى فى الخامسة عشرة أو السادسة عشرة من العمر ، مضفور الشعر طويله ، قد دس من بدنه ما استطاع فى جوف الفجوة الصغيرة . والظاهر أنه كان لم يزل حيا عند ما خر السقف الملتهب ، إذ لم يحترق من جسده غير الجزء الأسفل ، وقد اخترق ظهره سهم . وإنك لتستطيع أن تقرأ فى قسمات وجهه الجامد دلائل الفزع التى ظلت مرتسمة عليه قروناً طويلة ، منذ اندس فى تلك الفجوة لكى يتقى لفح النار .

أزحنا التراب عن سبعة عشر برجا فى غالينا ، فزودنا كل منها بتفاصيل جديدة عن تلك الفاجعة المروعة . فالأبراج جميعها قد أحرقت ، وكل منها قد ظل حتى النهاية يدافع عنه كل رجل وامرأة ممن وجدنا جثثهم فيه . أما ما كان فى نفوسنا من لهفة العلم على معرفة جواب هذا السؤال : من بنى هذه الأبراج ، فقد أذكاها سؤال آخر : من أباد القوم الذين بنوها ؟

فى وسعنا أن نعرف تاريخ هذه الخرائب بالفحص عن نماذج الخشب التى وجدت بها . وإن تعاقب فترات الجفاف والرطوبة —

كما يتبين من مقاطع خشب السقف والسلالم — تدل على أن هذه الأخشاب قد قطعت بين سنة ١١٤٣ و ١٢٤٨ بعد الميلاد . ويبدو جليا أن أهل غالينا ، لم يكونوا من هنود « البوبلو » المعروفين ، فإن هيا كل أبدانهم تختلف بعض الاختلاف ، أما الأدوات والأسلحة فأشد تباينا واختلافا . وبناؤهم أبراجا من الحجارة ، هو وحده يميزهم عن أقوام « البوبلو » الذين نعرفهم الآن .

ولقد عثرنا فى بعض الأبراج على قطع من الفخار من طراز غير معروف فى أقاليم الجنوب الغربية ، ولكنه طراز شائع فى شرق وادى المسيسبى . ووجدنا أيضاً أن هؤلاء قد زرعوا صنفاً من الحنطة وضروباً من اليقطين ، كانت معروفة عند الأقدمين الذين عاشوا على مقربة من « أيووا » وفى وادى الميسورى .

وعلى مقربة من الأبراج الحجرية وجدنا حفراً مستديرة ، يبلغ محيطها من ٣٠ قدما إلى ٥٠ ، محتفرة فى الأرض ، ويلوح أنها كانت بيوت أهل غالينا . والبيوت المحفورة كانت معروفة عند الهنود الذين عمروا سهول أمريكا فى سالف الزمن .

ومن هذه الدلائل وغيرها انتهينا إلى أن أهل غالينا قد وفدوا من السهول منذ بضع مئات من السنين قبل أن يبادوا . ويبدو أنهم وجدوا أن الجنوب الغربي قد حل به قوم آخرون ، وهذا خليق أن يفسر لنا لماذا اختاروا إقليم غالينا الوعر ، على جماله ، فاتخذوه موطناً . أما من أين اقتبسوا طريقة بناء الأبراج فذلك أمر مجهول ، ولربما كانوا هم الذين اخترعوا ذلك النمط الهندسى ، عند ما حفزتهم الحاجة إلى الدفاع عن أنفسهم .

ولكن من هم أولئك الذين اجتاحوا إقليم غالينا حوالى سنة ١٢٥٠ ، وأحرقوا تلك الأبراج الصخرية برجا برجا ؟ فإن تكن جثث بعض المغيرين لم تزل مطروحة مع جثث صرعاهم ، فإننا لم نستطع حتى الآن أن نميز بعضها من بعض . وإذن فالدليل البين الذى نستدل به إلى معرفة أولئك الذين قضوا على أهل غالينا ، هى النبال المغروزة فى الجثث . إن هنود « النافاهو » و « الأباش » يتخذون عادة نصالا عريضة شائكة مركبة فى قداح ثقيلة . والسهام المغروزة فى جثث أهل غالينا ، سهام مركبة من قداح من الخشب والقصب ، ونصل مثلث صغير من الصوان ، وفى كل منها ثلاث ريشات وعلى فوقه علامة مميزة ، حتى يمكن تمييز القتلى وإحصاؤهم بعد المعركة . وهذه السهام المركبة هى من نفس الطراز الذى يستعمله هنود « البوبلو » .

هل كره بعض عشائر «البوبلو» تقحّم أهل غالينا على تلك الأرجاء فأبادوهم ؟ لم نتحقق من ذلك بعد ، ولكننا على يقين من أن أبراج غالينا ، القائمة على جروف منيعة وقمم لا تنال ، قد رماها فدمّرها واحداً بعد واحد ، عدوٌّ غير معروف . وكل برج من هــذه الأبراج جزء من الفاجعة التى وقعت حوادثها منذ ٧٠٠ سنة خلت.

وقد وصلنا منذ أيام كتاب من جو أريانو ، فقــد عثر فى جوف إقليم غالينا على بيت فى أنف جبل فى واد عميق لم نجُب أرضه بعد . وفى ذلك عدة البيت أبراج ، وكل محتوياتها سليمة قد حفظها الجفاف . ويوم تضع الحرب أوزارها ، سنعود ثانية إلى إقليم الأبراج لنكشف عن بقية القصة الضائعة ، إذا استطعنا ووفقنا .

فى مقصف للجنود بمدينــة هوليود ، جلست فتاة أمام آلة كاتبــة تطبع عليها رسائل يمليها الجنود ، لكى يرسلوها إلى آبائهم أو أصدقائهم أو حبيباتهم . ومنذ عهد قريب وقف بحار طويل أشقر لا يزيد عمره على ١٩ سنة ، فى صف طويل ينتظر دوره ليمــلى على الفتاة رسالتــه . فلمــا وصل إليها وقف بادى الحياء فدعته إلى الجلوس ولكن عزمه خانه فى اللحظة الأخــيرة فتمتم قائلا : « لا بد .. لا بد من أن أعيد التفكير فى المسألة » ، وعاد إلى آخر الصف .

وأخيراً جلس على كرسى بجوار الفتاة ، وجعل يملى عليها ما يلى ، وهو يتلعثم فى كلامه ، وينظر تارة إلى حذائه وتارة إلى السقف .

« حبيبتى : هذه هى الليــلة الأخيرة من إجازتى ، وغــداً أسافر ولكنى أريد أن أقول لك إنك أجمل من رأيت فى حيــاتى . وياليتنى لقيتك من قبل . ترى أترضين أن تكتبى إلى فى الحين بعد الحين ؟ إن ذلك فضل أقدره ، وإنك لفتاة مدهشة . فأتمنى لك كل خير ، وأرجو أن تكتبى إلى . إننى لم ألق فى حياتى فتاة مثلك — صدقينى » .

وبعد أن أعطى الكاتبة اسمه وعنوانه وقف وقال مسرعا فى قوله : « هذا وحسب ، وشكرا » وانصرف . فصاحت الفتاة : « هاه ، يا بحار ! ما اسم الفتاة وعنوانها؟ » فالتفت البحار وبلع ريقه وقال : « لست أعرف اسمك » ومضى .

هامش : (وقد قالت لى الفتاة : هذا فتى لا أجد بدّا من أن أكتب إليه)

[بيتر هلمرز]

برج الشهرة

روبرت فونتين
ملخصة عن مجلة " ذى أمريكان ميركيورى "

بعد سنين قضيتها أقرأ القصص وأخال نفسى نابليون أو ولنجتون وأنا تحت شجرة التفاح فى فناء دارنا ، بدأت أتوق إلى أن أجعل لمغامراتى نصيباً أكبر من الحقيقة .

فمن رأس تلك الشجرة كان فى وسعي أن أرى الفناء الفسيح الذى يضع فيه مستر فريبرن أحطابه ، وأن أرى سائر الأطفال ، ومعهم سالى الصبية الشيطانة ، وهم يعدون ويقمصون .ويصيحون صياحاً كأن فيه نغمة مرح .

قلت لأمى وأبى : « لا بدّ لى الآن من أن أنطلق وألعب كسائر الأطفال فى فناء بيت فريبرن . إننى لا أحب أن أجلس دائماً وحدى تحت شجرة » .

فتعجب والدى وقال : « هكذا ! اسمع يابنى : جلس ذات مرة عالم تحت شجرة ، ولما صكت رأسه تفاحة ، غدا رجلا ذائع الصيت . فليس لزاماً أن تنتقل إلى مكان آخر لتصبح رجلا ذائع الصيت » .

« لست أبغى الصيت ، بل أريد أن أخرج للرياضة » .

فقالت والدتى : « أنت أصغر جدا من أن تحتمل الألعاب الجافية » .

فقلت ملحا : « لست صغيراً ، وإنما أبدو صغيراً » .

فهز والدى كتفيه وقال : « دعيه يذهب ، أين كنا نكون لو أن أم كولمبس حبست خطاه إلى الأبد فى فناء دارها » .

فلما دخلت فناء فريبرن نظر إلىّ الأطفال باستهزاء ، فقد قالوا إننى صغير جداء نحيف جداً ، شديد الخوف . وكان على أن أشترى المثلجات لكل منهم من قروشى القليلة ، حتى يسمحوا لى ببعض اللعب .

لم يكن فى وسعى أن أفعل شيئاً مما يفعله الآخرون ، إذ كنت أهاب أن أقفز فى حفرة على التبن الذى فى قعرها . وكنت لا أكاد أبلغ منتصف كومة الحطب حتى أسقط متدحرجاً . وكنت لا أكاد أخطو خمس خطوات وحسب على حافة السياج المرتفع ، حتى أهوى فى حقل الطماطم فى الحديقة المجاورة .

ولما كنت أضعف هؤلاء المغامرين فقد نالنى عقابهم ، فقيدونى فى إصطبل جواد يدعى هاري ،وهو جواد كبير الحجم لطيف ، إلا أن أرق الخيل حاشية لا يطيق أن يرى طفلا صغيراً مربوطاً فى ذيله ، ولا سيما فى الصيف حين يكثر الذباب .

وكان ضحك الأطفال يعلو حين أحاول أن أتجنب هارى وهو يخبط بى الجدران.

وفى النهاية فك عني القيد دون أن يصاب جسمى بسوء، وإن أصاب نفسى أذى بليغ.

« سأريهم ، هؤلاء الرعاع ! » .

هكذا قلت لنفسى فى الليل وأنا فى فراشى، وجعلت أبتهل إلى الله أن يبعث إلى ملكا يعيننى حتى أصبح قويا وشجاعاً .

وفى المدرسة سألت أستاذى : « كيف يصير الإنسان قويا شجاعاً ؟ »

فقال : « القوى الشديد الباس من عمر قلبه الإيمان » .

فقلت لنفسى : « حسن ، سأملأ قلبي إيماناً » .

وجعلت كل ليلة أخاطب صورتى فى المرآة : « أنت مؤمن ، أنت شجاع قوى » .

وبعد شهر من هذه المحادثة التى لم يقاطعنى فيها أحد ، قررت أن فى قلبي من الإيمان ما يكفى . وكما يحدث دائماً جاءت اللحظة الحاسمة .

كنت أسير على مقربة من الكنيسة حين قابلت سالى وسائر الأطفال ، فقال أحدهم : « الجواد هارى فى وحشة يتلهف إليك » .

وسألنى آخر : « أترى أمك قبلت رضوض جسمك حينما عدت إلى البيت ؟ »

وقالت سالى : « إخاله سينمو ويكبر حتى يصير قزماً ! » .

فجمعت قبضة يدى وتوهجت النار فى عينى .

وتوجهت إلى الله وقلت : « اللهم اهدنى إلى عمل أعمله ، اللهم اجعلنى الساعة عجيباً خارقاً ، وسأكون غلاماً صالحاً ، ولن آخذ نقود الصدقات أشترى بها المثلجات » .

فما هو إلا أن لاح فى نفسى خاطر يتألق .

رأيت برج الكنيسة ومن حوله عرائش الكرم المتينة العتيقة التى يسهل على طفل صغير أن يتسلقها ، وإن كانت شيئاً تافها يستهين به الأطفال الكبار .

فقلت لنفسى : « هلم ! » .

وتسلقتها شيئاً فشيئاً ، على حين كان المستهزئون فى دهشة ينظرون . وتساقت ثم تسلقت ، حتى صرت لا أكاد أسمع صيحات الخوف على ممن كان تحتى ، ووصلت أخيراً إلى حافة البرج ، فقد تجاوزت عرائش الكرم ولم يبق هناك سوى بلاط أملس .

ترددت ، ثم غمر قلبي شعور غريب بأن ملكا يدفعنى ويقول لى : لا تفقد إيمانك .

قلت لنفسى : « هذا ملك يحوطنى، فكأنها إذن مشيئة الله تريدنى أن أبلغ القمة » .

بلغتها ونظرت تحتى ، فرأيتنى قد صعدت

على لوح زجاج أملس . كان زملائى على الأرض يلوّحون ويصيحون . فامتلأت زهواً ، لقد وفقت أعجب التوفيق .

وسرعان ما شعرت بحرارة شديدة وظمأ طاغ ، وعزمت على أن أعود أدراجى .

ولكن — ويا للأسف — لم يكن الهبوط هيناً كما يظن ، فأنت فى صعودك تستطيع أن تعلق بالبلاط ، وأما فى الهبوط فأنت حرىّ أن تنزلق يجذبك إلى الأرض ثقل جسمك .

فأخذنى الرعب من فورى فتعلقت بقمة البرج وتمتمت : « أأنت تاركى ، يارب ، أهوى من هذا العلوّ فتندق عنقى وعظامى؟ اللهم أرسل إلى من ينقذنى، وليكن غراباً فى منقاره سلم ، وإلا فأرسل إلى ملكا فإن الغراب لا يحمل السلم ، اللهمّ أرسل ما تشاء ، ولك على أن أطيعك ما عشت » .

وكأن الله استجاب دعائى ، فقد أخرج القس ما كنتوش رأسه من نافذة الصومعة فى أسفل الكنيسة ، فهدأت نفسى ، فقد بعث الله من ينقذنى . وسيهتدى القس بلا ريب إلى حل ، وسرعان ما سمعت رنين أجراس هائل ثم صوت إنذار .

هى فرقة المطافىء !

وفى مثل لمح البصر امتدّ السلم الضخم ، وما كدت حتى حملت إلى الأرض آمناً .

ولما صرت على الأرض، ولم تزل فرائصى ترتعد ، أبيت أن أجيب على أى سؤال ، أو أن أكلم أى إنسان إلا القس ما كنتوش سألنى غاضباً : « ما معنى هذا ؟ »

وكان الاضطراب قد هدّ جسمى، ولكنه أيضاً أيقظ ذهنى ، فقلت له : « يا أبتاه لقد استبدت بنفسى رغبة عنيفة ، أن أدنو من السماء ومن رحمة الله، صدقنى يا أبتاه، فعرجت إلى أقصى ارتفاع أستطيع أن أبلغه. أفترانى أخطأت ؟ »

فنظر حوله جافلا وبدا كأنه يخاطر بمكانته وعلمه .

ثم قال لى وهو يمسح بيده ، رأسى الذى يتصبب منه العرق : « كلا ! يابنى ، كلا! ولكن الدنو من السماء ميسّر للروح، أما البدن فلا حاجة بك إلى حمله معك » .

وفى صباح اليوم التالى فى وقت الفطور ، وكنت مقبلا على طعامى ألتهمه ، ندّت عن والدتى صرخة . قالت ، وكانت تقرأ إحدى الصحف: « ياله من خبر ! اسمع، صبى مجهول يتسلق برج الكنيسة فى طريقه إلى السماء ، هكذا قال القسيس ، وهو فى العاشرة أو الحادية عشرة من عمره » .

فكشر والدى ضاحكا ونفخ فى قهوته نفخاً رفيقاً ثم قال : « لعله مخبول » .

فقالت والدتى : « إن سألتنى رأيى ،

قلت لك : لعله يعيش في بيت لا يشعر فيه بحب من والديه أو عنـاية ، فأراد أن يفر بنفسه » . فقال والدى موافقاً : « جائز » .

فأردفت والدتى وهى جادة فيما يرى : « يجب أن يسجن أمثال هؤلاء الآباء » .

فسألنى والدى : « ما رأيك يابنى ، فأنت فى سن هذا الشيطان الجرىء ؟ » .

« أنا ؟ آه . . لا أدرى فأنا لا أحب أن أتسلق فيأخـذنى الدوار . أخبرنى يا أبتى ماذا فى العرض الجديد فى المسرح ، أهناك كلب يتقلب كالبهلوان ؟ أم هناك فتيات جميلات يغنين ؟ » .

خرجت والدتى ذاهبـة إلى المطبخ ، فهمس والدى فى أذنى : « إذا أردت مرة أخرى أن تزهى على أقرانك ، فخـذ مع الإيمان سلماً وقطعة حبل — أفهمت ؟ » .

فقلت : « أجل » ، واحمر وجهى خجلا وذهبت أدنى أنفى من صفحة الطعام .

الحيوان الذكر

كان هنرى وزوجه يعيشان فى مزرعة يربيان فيها الدجاج ، وكانت زوجه شـديدة الدؤوب فى عملها ، ولم تـكن تحجم عن أن تسوق الجرارة ، أو أن تبنى بيتاً للدجاج ، أو أن تقوم بأى عمـل يعد من أعمـال الرجال . وأما هنرى فـكان يؤثر زيارة جيرانه ومحادثتهم على كل عمـل . وفى أحد الأيام سرت وزوجى بسيارتنا ، فوجدنا زوجه على مقربة من الجرن ، وهنرى واقفاً يراقبها . فوقفنا لهم ، وبعد حديث دام بضع دقائق عادت زوجه إلى عملها ، وأما هنرى فمضى مستغرقاً فى قصة يقصها وقدمه على سلم سيارتنا .

وسمعنا قعقعة فالتفتنا ثلاثتنا إلى الجرن ، وإذا زوجه تجهد جهد طاقتها أن تحرك برميلا من الصلب فيه ٥٠ جالوناً من الزيت ، ولـكن هنرى لم يقطع حديثه إلا هنيهـة ليقول لزوجته دون أن يحرك قدمه : « لا تحاولى أن ترفعيه ياعزيزتى . دحرجيه » .

[أودريه ساندبرج]

كنت أقضى إجازتى مع صديق فى كنتكى ، فعزمنا أن نخرج إلى التلال لنرى كيف يعيش سكان الجبال . فوصلنا إلى دار فى مزرعة ، ووجدنا رجلا مستلقياً فى شرفتها يدخن غليوناً ، ورأينا امرأة تحفر قطعة من الأرض فدنوت من الرجل وسألته : « أليس ما تعمله زوجتك عملا شاقاً ؟ »

فقال : « نعم ، ولـكن العمل يجرى بالتناوب » .

فقلت : « فهمت ، فحين يتعبها العمل تتولاه أنت » .

فقال : « لا . حين يتعبها العمل فى الحديقة تتحول إلى العمل فى الدار » .

[ا . ت . سليفسترينى]

أيهما تصدق — أشهود العيان
في جريمة ، أم دليـل القرائن ؟

رب رجل يحاكم محاكمة فيها تلف نفسه وحياته ، وشهادة شهود العيان من أهل الشرف والذمة قد تسوقه إلى المشنقة ، وعسى أن يكون على ذلك بريئاً .

وهـذه ثلاث قضايا حـدثت ، فأنعم النظر فيها .

كان الشيخ « شولر رينير » لا يثق بالبنوك . ولقـد قضى أكثر عمره ، وهو ٧٠ عاما ، يكد ويكدح فى مزرعتـه بنيوجرسى ، وكان يدخر المال الذى يربحه فى خزانة صغيرة فى جـدار منزله الريفى . فزعم جيرانه أن فيها مبلغاً يتراوح بين ٢٥ ألف ريال و ٥٠ ألفاً ، ورقا وفضة .

وذات يوم بعد الظهر خرج شولر رينير فى بعض أعمال تمنعه أن يعود قبل الساعة السادسة . وأخذت « جين نيكسون » ، خادمته ، سـنة من النوم وهى على كرسيها فى الردهة . ثم دنت منهـا أقدام تمشى على حذر ، وفتح الباب ، واستيقظت جين على صوت أجش يقول : « اجلسى كما أنت والزمى الصمت » فإذا أمامها شبح مفزع طويل ، مقنع بقناع أحمر ، وفى يده بندقية .

وبينا كانت تراقبه وقدملئت رعباً ، اختطف هذا الشبح الشنيع المنظر مطرقة ثم انقض بها على الخزانة فحطمها ، ثم استخرج المال وذهب به .

وسمر الذعر جين نيكسون فى كرسيها ، بل سمرها الذعر وبداهة العقـل معاً . فلم تكن فى حاجة إلى أن تعدو وراءه ، وتتعرض لفتك سلاحه ، ولم ؟ « لأنى أعرف من هو » هكذا قالت للفـلاح الشيخ الثائر حين عاد إلى داره .

فحين كان اللص يسرق الخزانة زل القناع عن وجهه ، ورأت جين نيكسون وجهه وهى على بعد خمس أقدام منه ، وإنها لتعرفه كما تعرف وجه شولر رينير نفسه . وقالت : هو وجه « ول هاملتون » الذى يعمل فى المزرعة المجاورة .

وألقى القبض على ول هاملتون بعد ظهر هـذا اليوم نفسه ، وقد أيد اتهامه ثلاثة شهود آخرون . فقـد رآه قسيس القرية وهو يعـدو من بيت رينير حاملا حقيبة ، ثم نادى عليه فلم يلب نداءه ، ثم شاهده اثنـان من الصيادين رابضاً خلف ألفاف

من الشجر فى مزرعة رينير فاندياه ، فما أجاب .

ولاشك أنه من سوء حظ ول هاملتون — هذا الرجل المبرأ من كلّ عيب — أن يتفق بعد إحكامه التدبير أن يزلّ القناع عن وجهه ، وأن يتفق أن يمر القسيس ، وأن يتفق أن يكون الصيادان فى الحقل .

ولنتدبر الآن قضية أخرى لا تقل غرابة عن قضية ول هاملتون ، فالمتهم فى هـذه أعظم وقاراً وأعلى مقاما .

كانت «نانسى لويس بتس» سجينة فى أحد سجون ولاية انديانا . وقد تزوجت قبل أن تحاكم وتدان بثلاثة أشهر وحسب ، ويبدو أنهـا كانت فى حاجة إلى مال لأن زوجها وليم أصبح بلا عمل وإنها لتحبه حبا جما . فعزمت — فيما يظهر — أن تستغل شيئا من مواهبها فى تزوير الشيكات ، فذلك خير من أن تظل دائبـة على قاصمة الظهر من غسل ملابس الجيران وخياطتها .

وجازت الشيكات على عشرات من مخازن التجارة فى ولاية إنديانا . وقد نم خط نانسى على شخصيتها ، كما قال رجال المباحث ، وساعدهم فى النهاية على اقتفاء أثرها ، وقد ثبتت التهمة بشهادة سبعة من التجار تعرّفوها دون تردد . ولا غرو أن يكون هناك سبب خليق بأن يذكرهم بها ، فإن كتابة الشيك — وقيمته دائماً أكبر من ثمن الشراء كى يتسنى لها أن تصرف الباقى نقـداً — كان يقتضيها أن تحادث التاجر وجهاً لوجه بضع دقائق . فرأوها توقع بأسمـاء ، ظهر فيما بعد أنها منتحلة . وقد دافع عنها زوجها دفاعاحاراً .

وهاهو ذا مثل أغرب فى التحول الباعث المثير ، من الاستقامة إلى طلب المال من أهون سبيل . فهاهما شابان متهمان بالقتل ، وسينسحب المحلفون حالا للمداولة فى الحكم وإن كان مفروغا منه .

فذات صباح من شهر يناير قبل الساعة التاسعة اقتحم ثلاثة لصوص داراً للسنما بمدينة لين بولاية ماساشوستس ، وسددوا بنادقهم إلى عشرة من الخدم ينظفون الدار ، ثم ساقوهم إلى إحدى الغرف . وكان أمين الخزانة فى طريقه ، لا يريبه شىء ، وهو وحده الذى يستطيع أن يفتح الخزانة .

وفى ذلك الحين أقبل ملصق إعلانات كبير السن فدخل المسرح ليأخذ سلماً ، فأمروه أن يدخل الغرفة ، ولكن الخوف لم يسرع إليه إسراعا يرضى اللصـوص ، فضربوه فصرعوه ، ثم هشمت رأسه رصاصة لغير سبب بين ، سوى القسوة التى لا تعرف الرحمة .

ثم وصل أمين الخزانة وفتحها لهم مطمئناً

لأنها كما قال : « كانت خالية » ، فقد أودع دخل اليوم السابق فى القسم الليلى لأحد البنوك ، فى الثانية صباحاً . وهكذا لم يخرج اللصوص من هذه المغامرة بشىء سوى القتل.

وكذلك بقى عشرة أشخاص ساعتين ونصف ساعة ، فى حجرة واحدة ، مع هؤلاء القتلة ، فتيسر لهم من الفرص خيرها حتى يتفرسوا وجوههم ، ويذكروا ذكراً راسخاً ملامحهم وهيآتهم ونبرات أصواتهم.

وقد عرفوا أن أحد اللصوص كان يدعى ماك ، ورأوا آخر يرتدى سترة زرقاء ذات مشباك من نحاس أصفر .

عثرت شرطة بوسطن فى اليوم التالى على جثة قتيل ملقاة على شريط السكة الحديدية . وقد تبين أنه سائق سيارة يدعى «ماكانون» . ماك ! واتضح أنه كان صديقاً لسائقين ببوسطن هما « لويس بيريت » « وكليمنت مولواى » ، وقد عرفا بالاستقامة وحسن السيرة . فلما سئلا عما كانا يصنعان فى صباح يوم ٣ يناير ، كان جوابهما مضطرباً متناقضاً . وكان بيريت حين قبض عليه مرتديا سترة زرقاء ذات مشباك من نحاس أصفر .

وضع بيريت ومولواى بين عدد من الرجال ، فاستطاع خمسة من موظفى السينما الذين تهيأ لهم أن يذكروا هيئة القتلة ، أن يهتدوا إليهم بين صف الرجال ، وأن يميزوهم بدقة . ألم يروهم بأعينهم ؟

فها هى ثلاث قضايا محكمة غاية الإحكام : ول هاملتون الذى رأته جين نيكسون والقس واثنان من الصيادين . ونانسى لويز التى اهتدى إليها التجار السبعة . والمجرمون الذين ظل معهم موظفو السينما ساعتين ونصف ساعة فى حجرة واحدة .

وهذه القضايا جميعها متشابهة فى أن أبطالها تنكبوا بغتة سيرتهم المعروفة بالاستقامة والاعتدال ، كما أنهم جميعاً متشابهون من حيث أن ول هاملتون ونانسى وباريت ومولواى أبرياء كل البراءة .

فحين كان ول هاملتون فى السجن وصلت رسالة من رجل كان ضميره يؤنبه ، لأنه كان يعلم من الذى حطم خزانة رينير . وهو « جون إلزورث » مراقب العمارة التى يقطن فيها كاتب الرسالة ، والذى يحمل له فى قلبه حقداً . فلما تعقب رجال الشرطة جون الزورث عثروا عنده على المال المسروق .

وحينما استقبلت نانسى لويز شهرها السابع فى السجن عادت الشكاوى تتوالى عن الشيكات المزورة . فأخذ أحد رجال المباحث المرتابين فى الأمر ، صورة نانسى وعرضوها على أصحاب أحد المحلات التى رفعت إليهم شكواها . فقالوا : « لا شك إنها هى » .

وهكذا أفرج عن نانسى لويز التى لايمكن أن تزور الشبكات وهى فى السجن . وبعد مضى ثلاثة أعوام اعترفت المجرمة الحقيقية .

وحين بقى لويس باريت وكليمنت مولواى فى قاعة المحكمة ينتظران ، وقد انسحب المحلفون ، أقبل أحد المبلغين وهمس فى أذن وكيل النيابة ، ثم أوقفت المحاكمة ، وأفرج عن باريت ومولواى فى نفس اليوم . فقد قبض على شابين آخرين فى نيويورك ، ثم أدت أقوالهما إلى القبض على رجل ثالث فى بوسطن . فأفضى بقصة غريبة من الجرائم والقتل ، لاعن جريمة سنها لين فحسب بل عن جرائم كثيرة غيرها . وهؤلاء الفتيان القتلة هم الشقيقان ميلين وشريكهما ابراهام فابر . ولم يكن بينهم من يسمى ماك ، إذ كانوا يستعملون أسماء منتحلة حين يدعو بعضهم بعضاً .

ولو وضعت صورة ول هاملتون بجوار صورة جون إلزورث فمن العسير أن تتصور أدنى شبه بينهما .

وقارن ، كما فعلتُ ، صورة نانسى لويز بالمزورة الحقيقية ، فمن الصعب أن تتخيل كيف يمكن أن تلتبس صورتهما . وأخيراً ضع ، كما فعلتُ أيضاً ، صورة الشقيقين ميلين بإزاء صورتى باريت ومولواى ، تعرف كيف يشق عليك أن تعثر على أربعة رجال يتباينون هذا التباين .

فليت شعرى كيف يقسم كل هؤلاء الشهود قسماً بتًّا أن هؤلاء هم المجرمون . ففى جميع هذه القضايا كانت الفرصة خير فرصة للتحقق من شخصية المجرمين ، غير أنها أدت ولا ريب إلى وقوع فى خطأ شنيع .

ولقد حدث ذلك فى قضايا لا تحصى ، ويمكن أن يحدث ذلك لأى إنسان . يسأل رجال الشرطة هذا السؤال المأثور : « أين كنت فى صباح يوم كذا وكذا ؟ ؟ » فربما كان من العسير أن تجيب ، لأن معظمنا لايقيّد ما يصنعه فى كل لحظة . ولاشك أننا لم نشترك فى أية جريمة ، غير أنك تجد من يحلف اليمين مشيراً إليك : « هذا هو الجانى » .

ومثل هذا الدليل لا يمكن أن يرفض رفضاً باتاً ، ولكن لما كانت شهادة العيان مظنة الخطأ كما ترى ، صار رجال الشرطة أقل ثقة بها من ثقتهم بدليل « القرائن » على كثرة الإساءة فى استخدامه .

وفى وسع ول هاملتون ونانسى لويز وكليمنت مولواى ولويس باريت ، وهم أربعة « مجرمون » فى قضايا اكتشف سرها عفواً ، أن يخبروك لم يكون ذلك ؟ فهم يعلمون ، كما يعلم علماء النفس والمشعوذون ورجال المباحث ، أن عيوننا وآذاننا غير معصومة ، وأنها حرية دائماً بأن تخدعنا — وأنها قد تخدع شاهداً عابراً سليم القلب .

باب الكتب

رواية الضابط البحرى إليف دافيد رتشردسون نفسه عن حربه الخفية فى جزيرة ليتى.

عصابة أمريكية فى الفلبين

ملخصة عن كتاب بقلم إيرا ولفرت

فى هذا الكتاب رواية تامة لأول مرة لقصة الضابط رتشردسون الرائعة عن الحرب الخفية على اليابانيين فى الفلبين . وقد ظل المطاردون الباقون من كارثة باتان عامين يقومون بهذه الحرب الخفية الباسلة ، دون أن يشار إليهم فى الأنباء ، فقد كتم الجنرال ماك آرثر خبرهم ، لأن العصابات التى كانت تشن هذه الحرب كانت ترسل إليه باللاسلكى معلومات ثمينة عن حركات سفن اليابان وطائراتها وجنودها .

فى كتاب و . ل . هوايت الخالد — عن زوارق الطربيد التابعة للولايات المتحدة فى معركة الفلبين الأولى — يروى الملازم روبرت ب . كيللى كيف أن الضابط إليف دافيد رتشردسون فى عيد ميلاده الرابع والعشرين يدير دفة الزورق ، حين أغرقوا طراداً يابانيا بعد معركة تجلت فيها البطولة . وبعث كيللى برتشردسون إلى شاطئ سيبو فى قارب ليجئ بطبيب للجرحى وفى أثناء غيابه ، دمرت الطائرات اليابانية زورق الطربيد . وفى اليوم التالى — ١٠ إبريل — سقطت باتان .

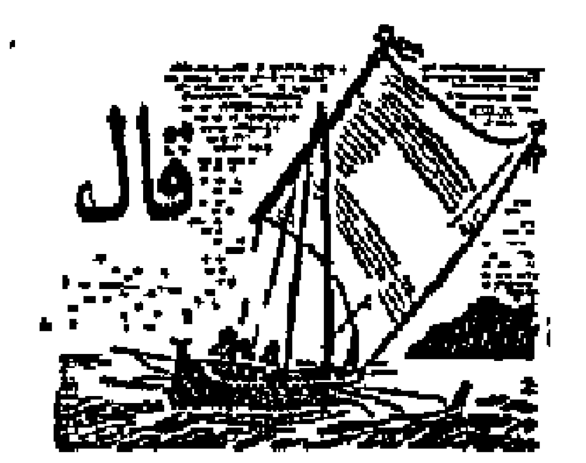
جمع الضابط رتشردسون من بقى من رجالنا وانضم إلى قواتنا البحرية فى جزيرة ماكتان ، ومن هناك ، كما قال الملازم كيالى ، « يحاولون جميعاً أن يهربوا إلى جزيرة ليتى . وكان هذا آخر عهدى بهم »

ولكن هذا لم يكن آخر عهد العالم بهذا الضابط الشاب ، فقد فر إلى ليتى ، ثم اشترى هو و ١١ أصحابكيا آخرين زورقاً شراعيا صغيراً وأوقروه بالمؤن ، ومن بينها خنزير حى ، وانطلقوا إلى أستراليا ، غير أنهم لم يقطعوا سوى ٢٠ ميل حتى ثارت بهم عاصفة مفاجئة فقلبت زورقهم على مسافة ثمانية أميال من الشاطىء . واستطاع خمسة منهم ، بعد أن سبحوا ثلاثة عشر ساعة فى الماء ، وبعد جهد لايكاد يصدق أن يبلغوا الشاطئ ، والتقط الأهالى الموالون الآخرين .

وكان رتشردسون يرجو أن يبحر مرة أخرى إلى أستراليا ، وإذا بفرصة نادرة تسنح له ليؤدى خدمة مباشرة لبلاده .

فقد اتصل بالعصابات ، وساعد على تنظيمها وتدريبها وقيادتها ، وثم قصص أخرى عن حرب العصابات ، ولكنه ما من قصة أخرى تفوق قصة هذا الكفاح فى الفلبين ، وقدرتها على تحريك النفوس وتقوية القلوب .

وقد كتبها أيرا ولفرت كما رواها الضابط رتشردسون بألفاظه



قال رتشردسون : ظلت الرقعة التى كنت فيها من الفلبين هادئة طول الصيف من سنة ١٩٤٢ ، ولم تكن لليابانيين هناك قوة كبيرة ، فقد مضى جيشهم الرئيسى فى زحفه ولم يخلف وراءه إلا شراذم ، فقضيت أنا ومن معى من الرجال عدة شهور حول القرية ، على مقربة من الموضع الذى غرق فيه الزورق الذى حاولنا أن نذهب به إلى أستراليا ، وزجينا الوقت بصيد السمك والسباحة ، والكسل على العموم .

وكنا نعيش مع أسر من الفلبين ، ونتنقل بينها من حين إلى حين حتى لايبهظ أسرة واحدة منها عبء إطعامنا ، واتقاء لليابانيين الذين كانوا يرسلون أحياناً دوريات ولكن الأهالى كانوا ينذروننا إذا أقبل اليابانيون ، حتى ولو كنا فى قرية غريبة أو مارين بضيعة فى الجبال .

« نعم يا سيدى ، نعم ، كان الأمريكيون هنا يا سيدى ، وقد رأيتهم بعينى رأسى يا سيدى ، ولكنهم رحلوا منذ ثلاثة شهور أو أربعة » .

هذا ما كان يقوله الفلبينيون ، ولعلنا ما اختفينا إلا قبل ذلك بخمس دقائق .

وكان هناك أمريكيون مبعثرون فى كل مكان مختبئين . وحوالى أول سبتمبر ملّ طول الإختباء من العدو « أبوت » — وكان راعياً فيما سلف — وأمريكى آخر اسمه تونى هيراتيك ، وكان فى الجبل قرب بالينجاساج ،وكانا يختلفان كثيراً إلى المدينة، فأهلها يعرفونهما . وفى أول سبتمبر أقبلا كالعادة فقيل لهما إن هناك ثلاثة من اليابانيين فقال أبوت : « تعال نطردها من المدينة » .

وكان معهما بنادق أتوماتيكية من طراز برونج ، وكان اليابانيون مسلحين أيضاً ، ولكنهم ذعروا فدخلوا فى كنيسة من الخشب وصعدوا إلى برجها ، ولم يكن وقت أبوت وهيراتيك يتسع لحصارهم وتجويعهم فأضرموا النار فى الكنيسة ، ولم يحتج أحد .

فألقى أحد اليابانيين بنفسه من البرج وتحطم ومات على الأرض، واحترق الآخران مع الكنيسة ، وانصرف أبوت وهيراتيك إلى شأنهما ، وقال الأهالى لهما : « مرحى ! خيراً صنعتما ! » وإن كانت كنيستهما قد دمرت تدميرا .

ونقل التهامس الخبر ونشره فى طول الجزيرة وعرضها ، وذاعت فكرة « اقتلوا اليابانيين » وهى بسيطة،ولكن مامن أحد عنى بأن يعمل بها من قبل ، فالآن بدأوا. وفى نحو أسبوعين وجدت حوالى خمسين عصابة منفصلة تجوب الجزيرة ، وكل منها يحمل اسماً ضخما،وعلى رأسها زعيم طموح.

ولم تكن ثم صعوبة فى تأليف هذه العصابات ، فقد كان مما أدى إليه وجود اليابانيين تعطل كثير من الرجال : أصحاب زوارق صودرت مراكبهم،وجنود فلبينيون سابقون . وجاءت سياسة عدم التعاون الفلبينية مع منهاج « الرخاء المشترك » اليابانى فزادت عدد العاطلين ، من معلمى المدارس مثلا ، والموظفين والأعوان السياسيين على اختلافهم، وسائقى سيارات النقل .فالعصابة من هؤلاء الرجال كان لها مقام محترم فى جماعاتهم .

وكان غير الصالحين يقودون هذه العصابات فى البداية ، فكانوا يهبطون قرية من القرى ، ويزعمون أنهم مقاتلون فى سبيل الحرية ، ويأخذون من الأهالى ماشاءوا — ثيابا ، وبنادق ،وطعاما ،وكل ما يستطيعون أخذه حتى النساء !

فقلت لمن معى من الرجال : « إن هذا النوع من النشاط لاينبغى لنا » .

وبعد قليل سمعت بكولونيل أمريكى له جيش من عصابة صغيرة فى ماليتبوج على

شاطىء ليتى الجنوبى . فاستطعت أن أذهب إلى هناك ، وعرفت أنه الكولونيل مورجان الذى كان فيما سبق فى خدمة البوليس الفلبينى . وقد انضم إلى الكولونيل وندل فرتيج من جيش الولايات المتحدة الذى عهد إليه الجنرال دوجلاس ماك آرثر بعد التسليم ، فى تنظيم نشاط العصابات . وأخبرنى مورجان أنه يعمل الآن فى معاونة فرتيج على توحيد العصابات فى كل مكان وتقسيمها إلى مناطق عسكرية منفصلة ، ومتى اتحدت فإنها تحصل على الاعتراف بها والمساعدة لها من ماك آرثر ، ولكنه لا اعتراف بها ما بقيت هوجاء .

فبدا لى أن هذه فرصة حسنة ، وانضممت إليهم ، فأرسلنى مورجان إلى زعيم عصابة آخر هو الكولونيل روبرتو كانجليون ، وهو رجل قضى فى جيش الفلبين سبعة وعشرين عاما ، وكان أول وطنى عينه ماك آرثر قائد فرقة ، وبعد الهزيمة سلم هو ووحدته ، ثم استطاع بعد ذلك أن يفر إلى جنوبى ليتى .

وكان لكانجليون بيت صغير نظيف مخبوء فى الجبال ، لا يستطيع أحد أن يدنو منه ، لأن رجالا كامنين فى الأدغال يقفون لك بالسلاح حتى يأذن فى مقابلتك . وكان هنا مقر قيادة العصابات فى ليتى ، على ما كانت من ضعف فى ذلك الوقت .

وكان كانجليون لا ينهب . وقد أقام مصنعاً بدائيا للصابون ليحصل على المال ، وهذا المصنع عبارة عن عجلة من الخشب ويد تدير مخرطة ساذجة تخرط جوز الهند ، ثم تغلى الخراطة التى تتناثر ويطفو الزيت على السطح ، وبعد أن يتبخر الماء يضاف إلى الزيت خلاصة رماد الخشب ، ولم يكن هذا صابوناً حسناً ، ولكنه كان خيراً من لا شىء ، وكان الأهالى يتلهفون على شرائه .

لما زرت الكولونيل كانجليون أول مرة ، كان جندى يدير العجلة ، وكان الكولونيل يمسك بقشر الجوز للعاصر ، فقدمت نفسى إليه وعرفته أنى ضابط فى بحرية الولايات المتحدة ، فقال إنه سمع بى من أمريكيين آخرين . وبحثنا بإسهاب مسألة تنظيم العصابات وكيف نوحدها لنحصل على الاعتراف والمساعدة ، وكيف نبقى حتى تأتينا المعونة دون أن نكون عالة وحملة على الأهالى .

وانصرفت فى مهمة ، فإنه كان قد أرسل اثنين ليتصلا بالكولونيل فرتيج ، فاختفيا ولم يظهر لهما أثر ، فعرضت أن أكون أنا الثالث الذى يقوم بهذه المحاولة .

إلى منداناو فى زورق شراعى صغير ومعى مسدس أعطانيه الكولونيل كانجليون ، وكان أول همّ لى أن أجد كولونيل اسمه ماك ليش، فإنه هو الخليق أن يعرف مكان فرتيج .

وساعفنى الحظ مع اليابانيين ، فلم أر أحداً منهم ، ووجدت الكولونيل ماك ليش بسهولة . فلما صرت عنده رأيت عصابة حقيقية ، فقد كان هناك مَنْسَر كامل من الجيش والأسطول وجدوا الطريق بسلام إلى أرض العصابات .

فقال ماك ليش إنه سيذهب قريباً إلى مقر القيادة العامة — كما يسمى البيت الذى يقيم فيه فرتيج — وأنه يسره أن أرافقه ، فركبنا الزورق « روزاليا » ، وهو زورق بخارى حسن اغتصبوه من اليابانيين .

وقال لى الكولونيل ماك ليش : « إننا بدأنا بقيد معوّق ، فإن معاركنا الحالية هى فى سبيل المؤن . ولسنا نقاتل حتى من أجل حياتنا ، فإن هذا يكون تبديداً للرصاص ، وكل ما نفعله هو أن نجرى . ولكننا نقاتل اليابانيين من أجل المؤن . ومن هنا استولينا على روزاليا » .

ووكل إلى الكولونيل ماك ليش قيادة الزورق وقال : « لما التحقت بالجيش قال الأسطول : سنحملكم إلى هناك . حسن يا بنى ، خذنى إلى هناك » فراجعت السرعة والاتجاه ، وأقلعنا فى الساعة الثالثة بعد الظهر .

وفى نحو الساعة الرابعة صباحاً كنا ماضين بسرعة حسنة ، وفى لين ويسر ، والمراقبان اللذان فى المقدمة يبدوان يقظين غير واضحين ، والحال تبعث على الرضى ، وإذا بهما يحولان من السواد إلى النهبة اللامعة ، فقد ارتمى عليهما نور كشاف — نور كبير — من مدمرة .

وكان النور علينا تماماً ، فجعلنا نبدو فى لون باهت من الخضرة الضاربة إلى الزرقة . وكما يحدث أحياناً فى الحرب لم يتحدنا أحد لحسن الحظ . ولا أزال إلى اليوم أرتجف كلما فكرت فى ذلك . فمضينا بأقصى سرعة — نحو ست عقد فى الساعة — وانطلقنا إلى الشاطىء رأساً . وكنا على مقربة من سلسلة من الصخور تمتد من الشاطىء إلى البحر مسافة ميل ، فإذا كان المد عالياً استطاع الزورق ان يسير فوقها ولم تستطع سفينة أن تتبعه ، فأسرعنا إلى الساحل ووثبنا إليه .

وقصدت أنا والكولونل ماك ليش إلى الجبال ، وشرعنا نشق طريقنا فى حقول

الأرز ، وما لبثنا أن أقبلت امرأة تعدو نحونا من الطريق وتصيح : « اليابانيون ! اليابانيون آتون » .

ومرت بنا سرية من اليابانيين ونحن مختبئون ، وكانت لهم ضوضاء وهم يمشون ، ولمعدّاتهم صرير وصريف ، فمروا بنا كأنهم أشباح تتراءى فى حلم ، واستأنفنا السير واضطررنا إلى الاختباء من عدة دوريات يابانية .

وقد علمنا فيما بعد أن اليابانيين نزلوا قبل ذلك بوقت قصير فى عدة مواضع على طول الساحل المجاور ، فى حملة مفاجئة ليأخذوا العصابات على غرة ، ويستولوا على مؤنها . وكان يساعدهم رجال من الطابور الخامس، فهم يعرفون على وجه الدقة إلى أين يقصدون . وكان فرتيج يتخذ مستودعات من بيوت مبعثرة بعثرة واسعة فى الجبال ، وكان اليابانيون يرسلون الطيارات فوق المستودعات ، إذا تعذر على جنودهم الوصول إليها ، وقلما كانت الطائرات تخطىء ، فكانت تهتدى إلى البيت المنشود من بين عدة من أمثاله وتضربه حتى تسويه بالأرض .

ولكنهم لم يهتدوا إلى فرتيج ، ولما وجدناه أخيراً كان قد اتخذ مقراً جديداً فى بيت جبلى عادى على قوائم من خشب ، وكان مقراً متنقلا لم أر فى حياتى أسهل من نقله . وكانت لفرتيج حقيبة صغيرة وضع فيها الخرائط والأوراق والشفرة ، وفى وسعه أن يثب من نافذة وينطلق ومعه الحقيبة إذا تطلب الأمر الهرب فى أية ساعة من النهار أو الليل . أما سجلاته وملفاته فكانت مخبوءة بعناية فى جحور مغطاة فى جوف الأرض . وكان فرتيج ، لما وصلت ، على اتصال يومى بمقرّ قيادة الجنرال ماك آرثر فى المنطقة الجنوبية الغربية من المحيط الهادى . وكان الاتصال قد حدث فى ديسمبر سنة ١٩٤٢ ، إذ كان روبرت س. بول أحد رجال فيلق الطيران من ولاية أنديانا ، ووليم . ف . كونكو وستيوارت ويليفر من رجال اللاسلكى فى عمارة زوارق الطربيد للدوريات ، قد نجوا من اليابانيين وانضموا إلى فرتيج فى الجبال فقال لهم : « أنتم سلاح الإشارة عنـــدى » فبحثوا وصنعوا جهازاً مرتجلا ، وأخيراً أوجدوا الاتصال اللاسلكى ، وكان جهازهم عجيباً ، ولكنه يستطيع الإرسال والتلقى .

وظلوا أسبوعاً يرسلون الإشارات ويحاولون الاتصال بسان فرانسيسكو ، ولكنهم لم يتلقوا جواباً ، فظنوا أن جهازهم ربما كان مختلا ، فكانوا يفكونه كل ليلة ثم يركبونه مرة أخرى ، غير أنهم لا يتلقون جوابا .

ثم جاءتهم فجأة نقط وشرطات — حصل الاتصال مع سان فرانسيسكو ، واستعرف الكولونل فرتيبج إليها ، وصار معنيا بعد بعد ذلك بإمكان إيجاد هيئة استخبارات فعالة للعصابات ولماك آرثر . وقد تحدثنا نصف يوم فى المسائل التى يقتضيها تنظيم العصابات على قاعدة عملية صحيحة ، ثم شرعت فى العودة إلى ليتى .

وكان علينا أن نقطع نحو ثلاثمائة ميل حافلة باليابانيين قبل أن يتسنى لى وأنا آمن أن أستقل زوقاً إلى ليتى . ولم أكن قط بديناً ، ولكنى فقدت نحو ٣٠ رطلا فى هذه الرحلة ، فلما شارفت نهايتها كنت أحس عظامى تحتك تحت جلدى وتخزه ؛ وكانت جماعتنا مؤلفة من الكولونل ماك ليش وعشرة من الجنود الفلبينيين ، ومنى ، ومعنا ٢٠٠٠ طلقة من عيار ٣٠ر. وخمسة صناديق كبيرة من المهمات الطبية ، وكنا نضطر إلى التلبث بكل بلدة لنحصل على حمالين متطوعين يساعدوننا على الوصول إلى البلدة التالية .

وكنا نمشى يتقدمنا رائد فلبينى يكشف لنا الطريق ، وكان أعزل ، وكل ما يبدو عليه أنه صبى من أهل الناحية يؤدى رسالة . ويتبعه طليعة من أربعة جنود ، ثم الباقون ومعهم الأحمال والمهمات ، وأخيراً تجىء الساقة . فإذا شوهد ما يدعو إلى التحرز تراجع الرائد إلى الطليعة ، ونفخت الطليعة فى بوق من الصدف ، والنفخ فيه يحدث صوتاً طويلا حزيناً بعيد المدى .

وهناك طائر له مثل هذا الصوت ، فهو نافع للتحذير ، ولكنا كنا إذا سمعنا صوت الطائر نظن أن العدو قريب فنختفى فى الأدغال ، وكان هذا يعوق تقدمنا كثيراً ، فكنا نرسل أحدنا يعدو إلى الطليعة لنعرف أنفخوا فى بوقهم أم ذاك صوت الطائر .

وحاولنا أن نسير بمعدل ١٥ ميلا فى اليوم ، وبعد قليل صار قلبى يخفق كأن فيه ريحاً ، وكل من يسير فى الأدغال يصيبه ذلك عاجلا أو آجلا من التعب ، فترقد وتحس كأن مضخة تفرغ ما فيها فى صدرك ، وبعد الراحة تزول عنك ، وأحياناً تحم أيضاً ، ولكن هذا أيضا يزول .

ولن أنسى قط هذا المسير — الحسك والأشواك تمزق الذراعين والساقين ، ورائحة الأدغال الرطبة العفنة ، واضطراب قلبى ووجيبه ، والعرق والقروح ، وما يتصبب من العرق الملح يكويها ، والإعصار يقذف بالمطر بشدة ، فيحس المرء أن القطرة

كيس من حصى ، وصوت البوق ، وطابور من مصفحات اليابانيين يمر بنا ونحن مختبئون فى الغابة نتساءل والعرق يسيل : ماذا نصنع هنا ؟ وماذا رمى بالأمريكيين فى عالم كهذا؟

ولما عدت إلى الكولونل كانجليون لم يعرفنى أول ما رآنى ، فقد كان البرق قد حمل إليه نعيي .

كانت المشكلة الأولى عند كانجليون هى الذخيرة . وكان جيشه الصغير يستعمل فواصل البطاريات ، وأطرافها وغيرها من المعادن اللينة لصنع الرصاص . فإذا استعملت هذا المعدن ، وأطلقت بعض طلقات ، سدت أنبوبة البندقية وارتدت عليك فقذفت بك عشر أقدام .

وصارت مسألة الذخيرة كلها مسألتى ، وكنت قد اتفقت مع الكولونل ماك ليش على أن يعطينى ٤٠٠٠ طاقة فارغة من عيار ٣٠ر٠ فنحشوها ونعيد إليه ألفاً محشوة . ووجدت شابا اسمه كويزون لتنظيم مصنع للذخيرة . فبحثنا حولنا وعثرنا على كور يدوى وعدد من المناشير ، ومبرد . فكان منها مصنعنا للأسلحة الصغيرة .

ويبلغ كويزون من العمر الحادية والعشرين ، ولم يكن له عهد سابق بالجيش ، ولكنى جعلت منه « ملازماً ثالثاً » لأنه ذكي مِطْواع .

وبحثنا فى دور المدارس عما يصلح لملء أصداف الرصاص ، وكانت القضبان النحاسية للستائر مصنوعة من معدن قوى سمكه كسمك الرصاصة من عيار ٣٠ر٠ ، فجعلنا نقطع القضبان إلى أطوال ملائمة ونبرد طرفها حتى تصبح مدببة ، ثم ندس هذه الرصاصة فى بندقية قديمة محطمة من طراز سبرنجفيلد ، ونتناول قضيباً وندفعها به ، فإذا خرجت من أنبوبة البندقية فهى صالحة وإلا بردناها مرة أخرى .

أما المواد المتفجرة فاتخذنا لها مزيجاً من الكبريت وفحم قشر الجوز والإثمد ، ولكن مصدرنا الرئيسى للمواد المتفجرة كان الألغام البحرية اليابانية ، التى كنا نفكها ، وكنا نخلطها بمسحوق الخشب لنؤخر الاحتراق لأن المادة المتفجرة فى اللغم أعنف من أن تصلح لرصاصة بندقية ، وقد نسفت خمس بنادق قبل أن نفطن إلى ذلك .

وكانت الطريقة أن نفرغ البارود فى غلاف الرصاصة بقمع صغير صنعناه بأيدينا، ثم نضع القطعة من قضيب الستائر فى الغلاف، تطوى فتحة الغلاف عليها بكلبتين (زرادية).

وكانت مهمة كويزون أن يقدر النسبة

اللازمة للمزيج ، وكان الأمر كله أمر تجريب ووقوع فى أخطاء ، فإذا حصل خطأ انفجرت الرصاصة فى أنبوبة البندقيــة ، فيخرج اللهب من بين المزاليج فيحرق يديه . وقد أتلف ذات صباح ثلاث بندقيات واحترقت يداه ثلاث مرات على التوالى ، وردّت كتفاه إلى الخلف بشدة تأذت منها قدماه .

فقال أخيراً : «سيدى، إنى لست مرتاحا إلى هذا الضرب من العمل ، وسأضع البندقيــة على المنضدة ، وأختبرها عن بعد يا سيدى » .

ثم استطعنا أن نستولى على ميزان صيدلى فامتنع أن تنسف البندقيات ، وكان استعمال هذه الذخيرة يرهق البنادق ، ولكنها كانت تفتك باليابانيين .

بل لقد كان هناك مدفع للهجوم على بلدة وقد صنعه الكبتن زابنتا الفلبينى وزوجته ، وكانت أنبوبته قصبة غاز عيار ثلاث بوصات وقد وقياها من الانفجار بغلاف من المعدن ، وحلقــات مقواة بأسافين ، أما دبوس الإطلاق فكان عبــارة عن مسمار مدبب مقوى بأحزمة من المطاط مأخوذ من أنبوبة داخلية . وصنع زابنتا وزوجته ثلاث قنابل من قصبة نحاســية من عيار ثلاث بوصات وحشواها رصاصاً، مضافا إليه ما وجداه من « الخردة » . وكان غلاف البارود طوله أربع بوصات وقد ملآه بالبارود إلى الحافة لأنهما كانا يريدان أن يستوثقا من أن القنبلة ستنطلق .

ووضع هــذا المدفع المخترع على تجلات من الخشب ، وكان طول الحبل ٣٠ قدما لأنهما كانا واثقين أنه سيحصل ارتداد عظيم إذا انطلقت القذيفة .

وكان هناك من اليابانيين ١١٠ فى مدرسة البلدة، وهى مبنية من الأسمنت المسلح ليكون جوها طيباً .

وجر زابنتا وزوجته المدفع إلى مكانه ، وقضيا طول الليل يسدّدانه ، وحولهما جمهور متحمس يدلى إليهما بالنصائح ، وانتظرا إلى الفجر ليكونا على يقين من أن كل شىء على وجهه، ثم ارتد كل امرىء إلى الخلف، وتناولت السيدة زابنتا الحبل وجذبته .

فحدث أعظم انفجار على ظهر الأرض . واندفع المدفع واثباً فى الهواء ودار دورة كاملة وهوى على قصبته وشرع يتوثب ، وبلغ من تراجعه فى توثبه أن اضطرت السيدة زابنتا أن تجرى ، ولكن القنبلة كانت قد انطلقت واخترقت الجدار وأصابت الشظايا مَنْ وراء الجدار من اليابانيين . وكنا نسمع توجع اليابانيين طول النهار .

وكنا يومئذ فى سباق مع الزمن، ولا يخفى علينا أنه متى بلغنا من القوة مبلغاً يزعج اليابانيين فإنهم سيجيئون إلينا ويسحقوننا ، ولم نكن نتوقع أن نستطيع الفوز إلا بعد أن يعود ماك آرثر ، ولكنا كنا نعول على الفتك باليابانيين ، وعلى أن نستبقى أمل الأهالى فى التحرير يوما ما .

وفى أثناء ذلك أقام كانجليون فى منطقتنا حكومة جديدة ضد اليابانيين . وقد وضعت أنا إعلانها « رقم ٢ » وقد نص على أنه فى يوم ٢٥ من سبتمبر سنة ١٩٤٣ أو قبله يجب أن يسلم من يملك المهمات الآتية اللازمة لإدارة الحرب ، إلى أقرب رئيس بلدية . وتضمنت القائمة الورق والإطارات وزيوت التشحيم ، والأسلحة النارية ، والذخيرة ، وأجهزة الراديو والمحركات والآلات — وبعبارة أخرى كل شيء ينفع حتى الخيوط والأزرار ، على أن يكون الدفع بواسطة سندات تسدد بعد النصر ، وكل من لا يلبى هذا النداء متطوعا يكون عرضة للمصادرة .

وقد حصلنا على مقادير عظيمة من المواد أكثرها قديم ، ولكن استعماله ممكن بقليل من التجديد . وقد أضفنا إلى ما تلقينا ، بالإغارة على الدكاكين الصينية ، وكان الصينيون فى الفلبين ممثلين إلى حد ما للصين القديمة فى التفكير — الصين التى لم تكن أمة وإنما كانت نهباً لسادة الحرب ، وهؤلاء يعدون كل حكومة أجنبية وغادرة ظالمة . وكان الصينيون قد قدموا من بضائعهم ما لا يعدو أن يكون رمزاً ، فأغرنا عليهم ، وعدنا بأحمال كبيرة ، ولم تثر الغارات عداوات بين الصينيين ، فقد تقبلوا ذلك راضين به على علاته .

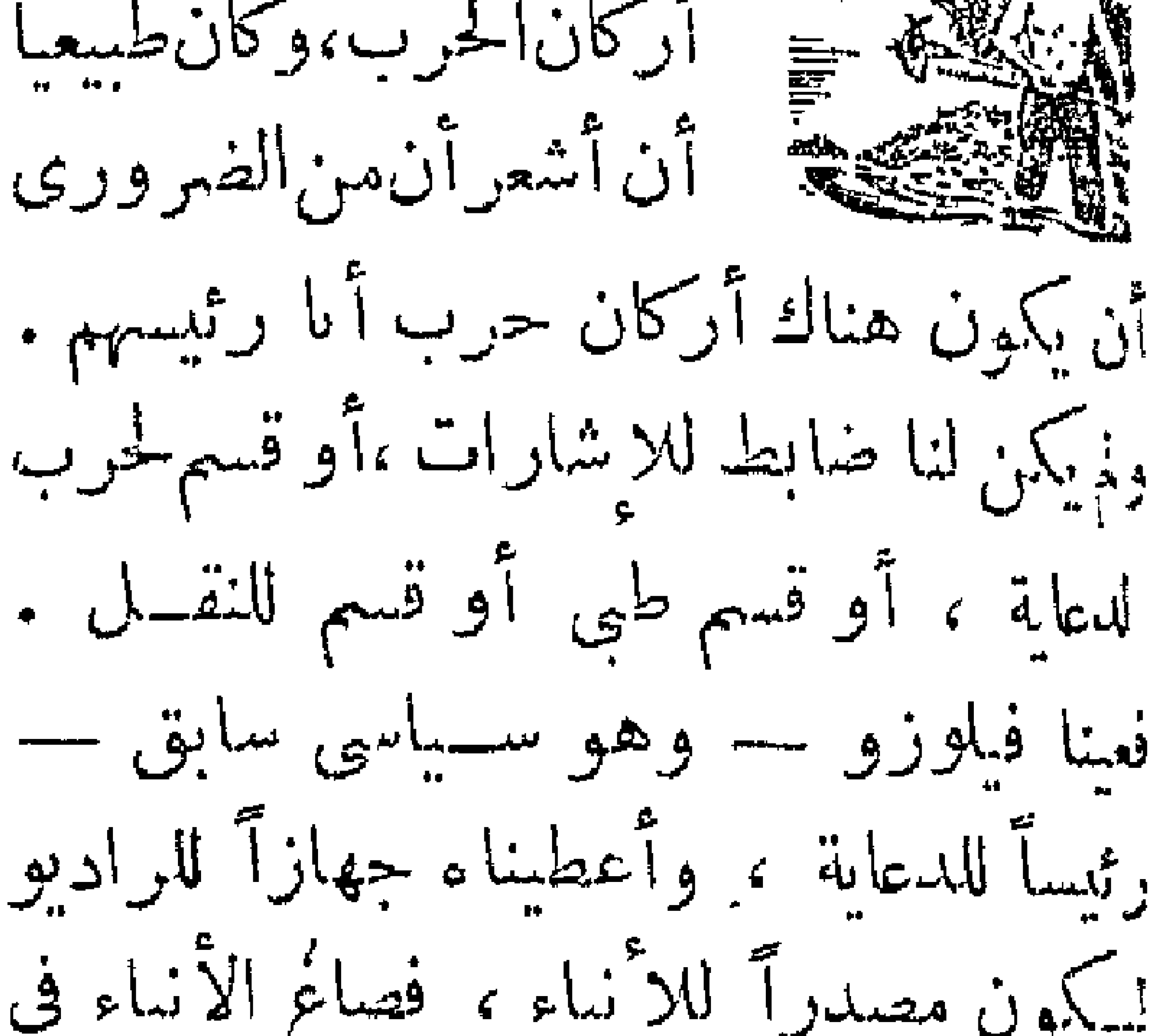
وقد غنمنا من الغارات ٢٠٠٠ بالة من المنسوجات ، فوضع كانجليون تصميما لبزة تصنع منها ، وهى عبارة عن قميص قصير الكمين وسراويل ، وقد صنعنا ٧٠٠ بزة من الألفى بالة ، وكانت خشنة الملمس ، ولكنها على كل حال بزة .

واستطعنا بفضل الحكومة المدنية أن نوجد داراً لضرب النقود ، فطبعنا أوراقاً نقدية بقوالب من الخشب ، وكان فيها صور جاموس ، وكوخ ومناظر محلية — وكانت تبدو ذات صبغة رسمية .

وكانت دار سك النقود تعمل على قاعدة التجميع فى مدرسة قديمة ، فرجل يقطع الورق ، وآخر يضعه فى قطار ، ويغمس القالب الخشبي فى محبرة ثم يطبعه على الورق .

ولم نخف من التزييف ، فقد كان عندنا كل ما هناك من الورق ، وكان بعض هذا الورق النقدى مطبوعا على ورق اللف

وبعضه على ورق الكتابة ، وهو مسطر وله هوامش . وصنعنا الحبر بأن أخذنا مصباح زيت وجعلنا عليه غطاء يتلقى السخام (الهباب) ثم نمزج السخام بالجاسرين .



وعينني كابجليون رئيساً لهيئة أركان الحرب، وكان طبيعيا أن أشعر أن من الضروري أن يكون هناك أركان حرب أنا رئيسهم . ولم يكن لنا ضابط للإشارات ، أو قسم لحرب الدعاية ، أو قسم طبي أو قسم للنقل . فعينا فيلوزو — وهو سياسي سابق — رئيساً للدعاية ، وأعطيناه جهازاً للراديو ليكون مصدراً للأنباء ، فصاغ الأنباء في عبارات نارية كان قسم النقل يوزعها . وقد أنشأ قسم النقل رجل من رجال الأسطول الأمريكي ساهم فيه بموتوسيكل التقطه في مكان ما . وأضفنا إليه مركبة خبأها بعضهم في الأدغال ، وأخذنا من المدنيين ثلاث سيارات خفيفة وثلاث سيارات نقل ، ولم يكن عندنا دهان ندهنها به فتشبه سيارات الجيش ، وكان مكتوبا على أحدها « شركة جوز الهند الدولية » فتركناه عليها.

وكان البنزين مشكلة تتطلب الحل السريع ، فتخطى بنا هذه العقبة فرانك ليرد . وهو أمريكي عمل في الجيش ١٥ عاما ، ومن قوله : « إنك في الجيش تتعلم كيف تصنع أي شيء » فجئناه ببراميل وأنابيب مطلية بالزنك ومفتاح إنجليزي ، فعالج أمر البنزين ، واستخلص الكحول من ال« توبا » وهو شراب محلي من التمر .

وكان هذا وقوداً لا يعتمد عليه لأنه يمتص الماء بسرعة ، فإذا تركت زجاجة وفيها هذا الوقود إلى نصفها ، وبغير سدادة ، فإنها بعد ساعات قليلة تمتلىء إلى عنقها لأن كحول « التوبا » يمتص الرطوبة من الهواء .

ولكن السيارات كانت تستطيع أن تقطع من ستة أميال إلى ثمانية أميال بجالون من هذا الوقود ، إذا جعلته يتدفق إلى الكاربورتر بأكثر من المعتاد . وقد أقبل عليه الجنود يحتسونه ولكنهم كفوا عن ذلك بعد أن أصيب أحدهم بالعمى الوقتي . وكان ليرد يستعمل الأنابيب المطلية بالزنك في التقطير ، أما لتقطير الشراب فيجب أن تستعمل أنابيب من النحاس ، وقد استطعنا الحصول عليها، بعد أن انتظمت الأمور، بأن انتزعنا أنابيب النحاس من السيارات المحطمة.

ووضعت سلاح الإشارة تحت إشرافي الخاص ، وكان كابجليون يستخدم العدائين الذين كانوا يقومون برحلاتهم في زمن يتراوح بين أسبوع وشهر أو شهرين .

وكان الأهالى قد قطعوا كل أسلاك التلفون بعد دخول اليابانيين، وكان هذا عملا وطنيا . ومن الممكن أيضاً اتخاذ المسامير من الأسلاك ، وكانت المسامير نادرة جداً، وقد حصلت على كمية من الأسلاك بأن أرسلت الجيش ليستولى على كل الأسلاك الشائكة وينزعها عن الأسوار ، ثم وكلت إلى لفيف من الجنود أن يعملوا بالكماشتين فيفكوا الأسلاك ويلفوها على بكر .

واتخذت من زجاجات الصودا القديمة عوازل ، فكنا إذا وجدنا أعمدة تلغراف نربط الزجاجات إلى قممها بالسلك ، ولكننا كنا على الأكثر نتخذ النخيل لمخاطباتنا ، فاستطعنا فى شهر ونصف شهر أن نمد من خطوط التلغراف ما يقرب من ١٤٠ كيلومتراً .

وهكذا اتصلت مخابراتنا أربعاً وعشرين ساعة فى اليوم ، وأفادنا ذلك سرعة عظيمة فى تلقى الأنباء وإرسالها . وكانت الأنباء هى المهمة الأولى لكل وحدة فى منطقة يابانية ، وكان كانجليون يريد أن يتصل به الخبر كلما عطس يابانى ، فصار البرق يبلغه ذلك فى نفس اليوم الذى يعطس فيه اليابانى لا بعد شهرين . وبذلك تهيأت لنا مقومات جيش ، فعندنا المخابرات ، وعندنا البزات العسكرية ، والجنود يدربون ويقومون بتجارب فى الكمين ، ومناورات الليل ، والزحف السريع ، وإصابة الهدف .

وفى ٢٧ من أكتوبر وردت رسالة من الكولونيل فرتيج يدعو فيها بعضنا إلى مقر قيادته ، فظننا أن ذلك معناه الجلاء إلى أستراليا ، فركبنا لرحلتنا زورقاً كبيراً حسناً كان قد استولى عليه الكبتن فالى من رجال العصابات .

وهو زورق صالح ، جاء وعليه ١٥ يابانيا لعلهم كانوا آتين من اليابان مباشرة ، ونزلوا إلى البر يبغون جوز الهند واللحم ، فحمل رجال فالى بنادقهم وراء ظهورهم وعلقوا جوز الهند على فوهاتها وكعوبها ، وأحاطوا بلا ضجة باليابانيين وهم ينزلون ، فلما دنوا منهم ألقوا جوز الهند وأطلقوا النار فصرعوا اليابانيين جميعاً .

ولما بلغنا مقرّ فرتيج تبينت أنى لست ذاهباً إلى أستراليا ، وإنما وقف الأسطول على خبرى ، فأنزلت من رئيس أركان حرب العصابات إلى ملازم فى أسطول الولايات المتحدة ، وكلفت أن أنشىء شبكة لاسلكية للتجسس على النقل البحرى اليابانى . وكان ماك آرثر فى ذلك الوقت لا يعنيه أن

نقتل اليابانيين أو لا نقتلهم ، وإنما يعنيه أن يتلقى أخبارهم .

على أن النبأ العظيم كان أن غواصة آتية إلينا تحمل مؤناً ، وكان فرتيبج قدأوفد نحو ٥٠٠ جندى للمساعدة على التفريغ ، ودعا رؤساء العصابات من أماكن قصية مثل مانيلا . وغرضه الظاهر تنسيق نشاطهم ، أما غرضه الحقيقى فهو أن يروا الغواصة والمعونة التى تبذلها أمريكا . وأعد أيضاً ملء سيارتى نقل من الخضر الطازجة والفاكهة لإهدائها إلى الغواصة ، فقد كان يبغى أن تعود إلى مقر ماك آرثر فتبلغه أن له نظاماً حقيقيا نافعاً .

ولما دنا موعد ظهور الغواصة سرنا جميعاً إلى خور صغير على مسافة ستة أميال من المقر العام ، ولم يكن لليابانيين جنود يكفون لحراسة كل الجزيرة ، وكانت هذه المنطقة خالية منهم . وحوالى الساعة ٤ والدقيقة ٣٠ ارتفعت صيحة على طول الساحل فقد طفت الغواصة .

وكان عندنا زورقان لإرشادها ، وكنت أقود أحدها ، بل كان عندنا أيضاً فرقة موسيقية فى قمصان بيض وسراويلات بيض عزفت بعض الأدوار .

فقال أحد بحارة الغواصة : « يظهر أننا غلطنا وذهبنا إلى هوليود ! » .

وكنت مزهواً جداً بالأسطول فى ذلك اليوم أمام كل هؤلاء الفلبينيين . فقد كانت الغواصة ضخمة كالبارجة ، وقد حملت إلينا بنادق تومى وبنادق عادية ، وقنابل يدوية ، ومدافع بازوكا ، ومدافع رشاشة من عيار ٥٠ر٠ ، وذخائر ، وأكسية للتمويه فى الأدغال وسجاير وشكولاته ملفوفاً عليها ورق كتبت عليه هذه العبارة « سأعود — ماك آرثر » .

وكان فرتيبج قد نظم كل شىء بحيث استطاعت الغواصة أن تفرغ شحنتها وتبحر فى منتصف الليل . فشعرت كأنى مُدار بى ، فإن هذه الغواصة ستقطع الطريق إلى أستراليا فى أقل من الوقت الذى تستغرقه عودتى إلى ليتى ، فلو أنى ذهبت فيها ، لعدت إلى الأسطول وإلى الاتصال اللاسلكى بالولايات المتحدة ومكافحة اليابانيين بأجهزة مصنوعة فى الولايات المتحدة ، لا بزجاجات صودا مشدودة إلى النخيل .

وكان بين الموجودين فى الغواصة « لونج توم باكشتر » ، وسيرته مع العصابات مثال لسير كثيرين من الأمريكيين المقاتلين الذين اختبأوا بعد الهزيمة فى الفلبين.

ولم يكن باكستر طويلا جدا فى الحقيقة ، ولكنه كان أطول من أهل الفلبين فسموه الطويل — لونج . وهو شاب أمريكى من الأوساط يناهز العشرين ، وقد جند وألحق بالفيلق الجوى الذى كان مرابطاً فى مندا ناو . فلما صار الموقف ميؤوساً منه فر إلى الجبال ، وبعد رحلة شاقة وصل أخيراً إلى هيناتوان على الشاطىء ، غير أنه كان فى حالة سيئة ، فدعاه العمدة ورئيس الشرط إلى العشاء ، وقدموا له طعاما جيداً ليطول الأمر إلى منتصف الليل ، ثم دعاه العمدة ليريه شيئاً فى ركن ، وسدد رئيس الشرط مسدساً الى ظهره ، ومضى به إلى السجن . وكانا قد تعمدا أن يفعلا ذلك فى الليل ، حتى لا يتدخل أحد من الأهالى المعادين لليابانيين ، وكانا يبغيان أن يتحببا إلى اليابانيين.

وتسلمته دورية يابانية ذهبت به إلى السجن فى سوريجاو ، حيث زاره يوزباشى يابانى ومعه جنديان يحملان بندقيتين مسددتين إليه .

ووقف الضابط ينظر إلى لونج برهة ، ثم ركله فجأة فى فخذه ، وركله فى ساقه ولطم وجهه .

وكان يتكلم وهو يضربه ، ويضربه حتى يقع على ركبتيه ويقول : « هذا لا يكفى » ويجذبه من صدر قميصه ويقول : « فلنجرب هذه الطريقة » ويصرعه مرة أخرى ، ويقول : « هذا حسن . هذا أحسن » ويركله وهو مطروح على الأرض قبل أن يشده وينهضه ويصرعه مرة أخرى ، والجنديان لا يتحركان ومعهما البندقيتان مصوبتين . ثم انصرف الثلاثة أخيراً ، بدون كلام أو تفسير .

وفى اليوم التالى أقبل اليوزباشى مرة أخرى وسأله : « كيف حالك يا نوم باكستر؟ » وكان يدخن سيجاراً كبيراً ، ويبدو عليه الامتلاء والرضى ، كأنما طعم لساعته .

وكان لونج راقداً على فراشه ، فدفع إحدى رجليه لينهض ، وكان حافياً ، فأمسك اليابانى بقدمه ولسعه بالسيجار ، وجعل لونج يعالج الخلاص واليابانى يكوى بسيجاره الجلد الرقيق ، وأخيراً اصطدم رأس لونج وهو يتلوى بالجدار الحجرى فغاب عن الرشد .

وظلت هذه المعاملة أسبوعين ، وكان اليابانى حريصاً على إصابة ساقه بحذائه العسكرى ، وقد كانت الندوب باقية بها مدسنة .

وفى عصر يوم أطل لونج من كوة محبسه فرأى مشنقة تنصب فى ساحة خلف السجن ، وقال الحارس فى صباح اليوم التالى للونج إن السبت التالى سيكون يوم احتفال ، وأن اليابانيين ينوون أن يحتفلوا فيه بشنقه .

فانتظر لونج طول النهار حتى دخل الليل ، وكانت تلك ساعات من أطول ما مر بإنسان ،

فلما جن الليل شرع يقطع قضبان الكوة بأداة لفتح العلب وجدها فى محبسه .

وكانت القضبان الغليظة مصنوعة من خشب ال « بايونج » وهو أصلب خشب معروف . وكان عليه أن يكسر قضيبين ، ولم يكن فى وسعه أن يواصل العمل بانتظام واطراد ، لأن هناك حارسين يتمشيان طول الليل أمام بابه . وأصيبت يداه بجروح فى الساعتين الأوليين من العمل ، ولكنه دأب عليه ، وصنع طينا من التراب يسد به الفراغ فى القضبان .

فلما طلع فجر الثلاثاء كان قد قطع الجزء الأسفل من القضيبين ، أما الجزء الأعلى فكانت معالجته أشق ، لأنه لم يكن يستطيع أن يصل إليه بآلة رافعة ، ولأنه كلّ وأضمره الإعياء ، وكان يلهث وهو يعمل ، وكانت أنفاسه تخرج عالية الصوت فى سكون الليل فيخشى أن يتنبه الحراس ، غير أنه ما كان يستطيع أن يكتم أنفاسه ، وتعبت عضلات ذراعيه حتى لصارت ترجف ، وكانت يداه مجرحتين ، ولكنه ثابر .

وفى ليل الثلاثاء ثار إعصار ، وهطل المطر أيضاً ، ثم انقطع المطر وسكنت الرياح فى الساعة العاشرة ، غير أن محطة الكهرباء أصابها خلل فانطفأت مصابيح الشوارع ، فانتظر لونج دقيقتين بعد مرور الحارسين فى الخارج ، وهو يعد الثوانى ، وقدر أن يكون له السبق بمقدار ١٣ دقيقة ، ثم نزع القضيبين وخرج .

وتسلل إلى الشاطىء ووجد قارباً صغيراً يملأ الماء ثلاثه أرباعه ، وليس به مجداف ، فراح يبحث كالمحموم عن شىء يصلح للتجديف ، قبل أن يجىء حراس الشاطىء ، فلم يجد إلا قطعة من الخيزران طولها ٦ أقدام وقطرها نحو بوصتين .

وليس فى وسعك أن تجدف بعصى مدورة ، فلم يقطع فى ساعة ونصف ساعة إلا نحو نصف ميل ، ولكنه بعد ذلك دخل فى تيار فحمله بضعة أميال ، فلما كان الفجر مال بالقارب إلى الساحل .

ولم يكن يدرى ماذا يصنع ، فقد كان وجهه الوارم من لكمات اليابانى ، كأنه علم يدل عليه أينما سار ، ثم أقبل رجل كهل كان يصطاد السمك طول الليل وكان لا يعرف الإنجليزية ، ولكنه ذهب بلونج إلى كوخه وأطعمه وغطاه بالغرائر ، فنام على الفور . واستيقظ بعد العصر ، وكان الرجل الكهل واقفاً عند رأسه ومعه مسدس ، وإلى جانبه صبى فى العاشرة من عمره .

وقال الصبى : « إنى ابن أبى » وكان الرجل قد جاء بابنه لأنه يتكلم الإنجليزية : « وأخى ياسيدى فى الجيش ، وقبل التسليم أعطى

أبي مسدســه ، وهو لك الآن » .

وكان من عيــار ٣٢ر، ومعه خمس طلقات . وذهب الرجل بلونج في تلك الليلة إلى أسرة أخرى على الساحل فبقى معها نحو أسـبوعين ، وكانت الأسرة كلها تعمل فى الحقول طول النهار ما عـدا فتاة صغيرة ، كانت تلعب وترتع حول البيت وحدها ، على حين كان لونج ينام نهاراً وليلا . ثم إن رجلامن الطابور الخامس عرف أن لونج هنا، فأرسل اليابانيون جنديين للقبض عليــه ، وقف أحدهما أمام البيت والثانى خلفه ، وأكبر ظنهما أنهما لا يناديانه حتى يخرج إليهما مرفوع اليدين ولـكنهما نسيا الفتاة الصغيرة . فقد أيقظت لونج وأسرت إليــه بصوت خفيض جدا : « رجلان ـــ جاءا هنا »

وكان المسدس مع لونج ، وكان قـد نام والمسدس إلى جانبه مرفوع الزناد ، فذهب إلى النافذة ورأى رجلا واقفاً وفمه مفتوح من الدهشة ، فلما هم الرجل بتسديد بندقيته ضربه لونج بين عينيــه ، ثم رأى الرجل الثانى فأرداه . وخرج من هــذه الحادثة بمسدسين آخرين ، فصار معه ثلاثة مسدسات وثمانى عشرة طلقة — وبهذه الذخيرة بدأ حرب عصابات بمفرده .

وكان نقل الأخبار بالتهامس يبلغ فى العادة كل أمريكى وجود غـيره ، وبهذه الوسيلة اتصل لونج توم با كستر بجوردون سميث ، الذى كان طباخا فى الفيلق الجوى التـابع للجيش ، وبدتش جيزين وهو شخصية لم يكن يجرؤ حتى كونراد أن يبتدعها . وقد مات دتش ولاشك ، ولـكنه فى زمنه قد ركب البحر فى سفن شراعيـة وأخرى بخارية بين شيلى والشرق، واشتغل بكل عمل من التعدين إلى تهريب الرقيق لأثرياء الصينيين .

وذهبت عصابة الثلاثة إلى منجم مندناو للحديد، وحصلوا على أنبوبة من الحديد طولها نحو ثمانى بوصات ، وحفروا فيها أخدوداً بمبرد لتتطاير شظاياها حين تنفجر ، وحشوها بقطعتين من الديناميت وجدوهما فى المنجم وجعلوا لها غطاء وفتيلا .

ثم هبطوا إلى مالامونو حيث اتخـذ عشرون من اليابانيين المدرسة ثكنة ، وبقى جيزين وسميث على التـل ليحموا ثالثهم ، وتسلل با كستر بين الحشائش العاليـة إلى مبنى خلف المدرسة مباشرة ، فأشعل الفتيل وأمسكه ثانية أو نحوها ، وهو يصغى إلى الغمغمة، وإلى اليابانيين وهم يلغطون داخل المدرسة : ثم قذف بالأنبوبة من النافذة .

وقال لى با كستر : « بعد ذلك ذهبت أعدو بأسرع ما أستطيع ، ثم نظرت ورأئى تخيل إلى أن جوانب البناء تكورت قليــلا ، ثم

بدأت الأشياء تطير من خلال الجدران » .

هذه هى قصة لونج توم باكستر على قدر ما أعرف ، وبعد أن أبحرت الغواصة كانت مهمته التاليــة أن يحرس النهر ، ولم تكن هناك طرق فى الأدغال ، فإذا حرم اليابانيين الانتفاع بالنهر ، فإنهم يضطرون أن يسيروا أميالا حول هــذه البقعة ليحافظوا على الاتصال بين حامياتهم .

وكان آخر مرة رأيته فيها ، يعنى مترهلا مع رجاله ، وقد لوحتــه الشمس وانتفش شعره حتى بدا كأنه واحد منهم .

فقلت له : « مع السلامة يابنى ! »

فلوح لى ببندقيته وقال : « واظب على الضرب » .

وكانت مهمته خطرة جدا ، فقد كانت الطريقة الوحيدة لحراسة النهر أن يركب قاربا من قوارب الأهالى ، وكانت على طول جانبى هــذا النهر اللعين ، أماكن كثيرة يسهل التربص فيها ، ولم أسمع به بعد ذلك ، ولكنى أرجو مخلصاً أن يكون حيا .

و شرعت فى الإياب إلى ليتى فى أول ديسمبر على زورق ومعى من المهمات ما يكفى تركيب ثلاثة أجهزة للراديو ، وبعد رحلة مثيرة كثر فيها التوارى عن زوارق الدوريات اليابانية ، نزلنا فى بورجوس حيث أقمنا أنا والملازم جوزيف ريفا ريال — من رجال اللاسلكى سابقا ، محطة لاسلكية واحدة.

وكانت هذه هى المرة الأولى والوحيدة ، التى عملت فيها عصابة كان لى بها شأن، بنجاح من أول الأمر . وقد أقمنا المحطة فى منزل بجوار الطريق، ومددنا السلك بين شجرتين من أشجار جوز الهند ، وأرسلنا رسائلنا اللاسلكية، ولكن فرتيبج لم يتلق أية رسالة مدة يومين، فقد كان فى الطرف الآخر عنده خلل ما ، على ما يظهر ، وكانت لهم متاعبهم ومصاعبهم هناك .

وفى اليوم التالى هبط اليابانيون فى كل مكان ، واستولوا على كل البلاد التى كانت فى أيدينا فى جزيرة ليتى ، وعلى بلدتين فى جزيرة باناؤن على الجانب الآخر من الخليج ، وكانت عصابات ليتى الجنوبيــة قد بدأت تحز جلودهم، فمدوا أصابعهم ليقضوا علينا .

ولم يجد اليابانيون فى المنطقة الجنوبيــة من ليتى جيشاً يقاومهم ، فزحفوا شمالا على الشاطىء وانتشروا فى الجبال ، وراقبناهم وهم ينظرون مستغربين إلى نظامنا التلغرافى الذى استخدمنا فيــه زجاجات الصودا ، وتلاقت ظوا بيرهم على غير شىء .

وكان العمل الوحيد الذى قاموا به هو

شروعهم فى استخدام نظامنا التلغرافى ، فقطعنا الخط ، فأصلحوه ، فقطعنا الأشجار ، فوصلوا الخط بأشجار أخرى ، فقطعنا فى ليلة واحدة عشرة كيلو مترات من الأسلاك ، فنفضوا أيديهم يائسين .

وكان كانجليون يدير حرباً تنطوى على الذكاء والحذر ، فما كان عنده سوى ٧٠٠ رجل ، ونصف هذا العدد من البنادق ، وقليل من الذخيرة ، وقد طاردهم اليابانيون بأكثر من خمسة آلاف مسلحين أسلحة ثقيلة . غير أن كانجليون كان يعلم أن اليابانيين خليقون أن يملوا إرسال طوابيرهم فى زحف سريع طويل لا ثمرة له ، وأخلق بهذه القوة أن تكون باهظة التكاليف ما دامت لا تصنع شيئاً ، على حين تنشط العصابات فى جزر أخرى ، وحينئذ يشرع اليابانيون فى سحب قوتهم ، وليس فى وسعه أن ينتظر حتى يتم انسحابهم ، إذ لا بد لأسباب سياسية من أن يقع قتال ، فقد أمد الشعب بالعون جيشاً من العصابات ، فلا مهرب من أن يقاتل من أجلهم ، وإلا فكيف يبقى الأمل فى التحرير إلى أن يعود ماك آرثر ؟ وإذا انتسخ الأمل فى التحرير ، فمن أين لماك آرثر بالاستخبارات ؟ وأية قوة تكون هناك لساعدته حين يجىء ؟ كلا ، لا بد من القتال ، ولكن ليس الآن — واليابانيون كأقوى ما يكونون .

وفى أثناء ذلك ذهبت أنا وريفاريال والجاويش بدرو باتوران لإقامة الجهاز اللاسلكى الرئيسى ، فجدفنا فى الخليج ليلا ، وفى صباح اليوم التالى قادنا دليل من رجال العصابات مسافة أربعة أميال مصعدين فى النهر إلى كوخ خرع فى الجبل ، وكان كل ما أحتاج إليه آلة ومولدا ووقوداً وبنزيناً وزيتاً للتسخين وأسلاكا ، فاهتديت إلى شاب ذكى هو الملازم جوانيتو بيى ليحصل لى على ما أريد ، وتذكرت محركا ومولداً فى سوجود ، كانا يستعملان لتوليد الكهرباء لتصفيف الشعر ، وكانا عند رجل من الطابور الخامس ، فذهب جوانيتو ليلا وجاء بهما منه .

واستغرقت رحلة الذهاب والإياب ثلاثة أيام ، خالطنا فى خلالها الفلبينيين وعشنا فى جوارهم ، وأنشأنا نظاماً للحراسة بالتطوع ، واستأجرنا مساعدين ، وموهنا طريقنا إلى الكوخ وملأناه حجارة وحشائش ، فجاء التمويه آية من آيات الفن .

وتبينا أن قوة المولد ١١٠ فولت ، وكان

الجهاز يحتاج إلى ٢٢٠ فولت ، فظللنا خمسة أيام نحل ونربط ونحاول عبثاً أن نزيد القوة ، فلم نوفق فى شىء مما صنعنا .

وكان الحراس المتطوعون غير ذوى خبرة وسريعى الاضطراب . فأنبأونا مرة أن اليابانيين قادمون فرحلنا ، واحتاج نقل المحرك على أعواد إلى اثنى عشر رجلا ، وحمل برميل زيت التشحيم إلى خمسة عشر رجلا ، وكانت جملة الحمالين خمسين ، ودخلنا فى الأدغال وخضنا جدولا كثير الصخور . وكان الرجل منا ربما وقع ، أو العود انكسر فلا يصيح أحد ولا يتكلم حتى بصوت عال ، وسرنا فى سكون على قدر المستطاع ، دون أن يكون هناك ما يدل علينا سوى أصوات الببغاوات إذ تصرخ وتصيح بنا.

واتضح أن النبأ الذى جاءنا باطل ، فدعوت كل الحراس المدنيين وكلمتهم جادا وقلت : « لقد ضيعنا وقتاً ثميناً ، ومن الضرورى أن تكونوا شجعاناً ، ورجالاً لا نساء ، وأن لا تتوهموا أن وراء كل طائر يابانيا » .

فوافقوا ، ووعدوا أن ينبئونا بقدوم اليابانيين دون أشباحهم .

وساعفنا الحظ مساعفة جميلة ، فوجدنا محولاً للتيار الكهربائى يحول الـ ١١٠ فولت إلى ٢٢٠ وكان يستعمل قبل ذلك لآلة إلقاء الصور السينمائية على الشاشة .

وهى الوحيدة فى جنوبى ليتى . ولكن محركنا أبى أن يعمل ، فكان يهسهس ويكركر ثم يقف ، فنعيد الكرة ، فيعيد سيرته الأولى ، ولا يزيد على أن يطمعنا .

وأخيراً أهملناه وخرجنا إلى حيث اليابانيون ، ووجدنا محركاً استولينا عليه وقضينا يومين نركبه فوق كتل خشبية هيأناها . ولم يكن عندنا مثقاب ، فكنا نحمى مسماراً وندقه بالمطرقة فى الكتلة حتى ينفذ ، ولكن المسمار ينثنى ويلتوى إذا طرقته بشدة .

وإذا بحارس متطوع يقبل وهو يلهث فى الساعة الحادية عشرة ذات مساء ويبلغنا أن اليابانيين فى طريقهم إلينا . ولم يكن البلاغ كاذباً فى هذه المرة ، فشرعنا ننزع الأسلاك ونضع المهمات فى الصناديق ، وكنا نعمل فى هرج ومرج ، غير أنا استطعنا أن ننقل أشياءنا إلى الأدغال ، وأن نخفيها قبل أن يصل اليابانيون .

وأقمت المحطة فى كوخ فى جوف الأدغال بنى لهذا الغرض ، وحوالى ذلك الوقت رأى كانجليون أنه قد آن أن يضرب ، فأمر رجاله أن يهجموا فى منتصف ليلة أول فبراير سنة ١٩٤٤ وظلت الوحدات طول الليلة الأخيرة من يناير تهبط من الجبال لتتخذ مراكزها التى عينت لها من قبل .

وكان الهجوم هجوم عصابات . فليس

هناك جنود يزحفون بعد تمهيد بستار من نار المدفعية ، وكان مع جو نازارينو — قائد مدفعية كانجليون — مدفع واحد من مدافع المورتر من عيار ٨١ مم وخمس قذائف ، ومدفع بازوكا . وكانت الخطة أن يتربص الجنـود على مقربة من المدن حتى تخرج الدوريات اليابانية — إلا في مدينة آناهاوان فقد كانت الحامية اليابانية فيها مؤلفة من اثنى عشر رجلا لا يخرجون في دورية قط ، فاحتاج جنودنا أن يدخلوا عليهم بعد أن اتفقوا على الأمر مع العمدة ، ووجدوا قنبلة يدوية لم تنفجر — وهـذه هي الخطة في جوهرها .

ودعا العمدة الحامية إلى الإفطار صباح أول يوم من فبراير فحضر رجالهـا جميعاً ما خلا واحداً ، تركوه في الخارج ليقوم بالحراسة ، ثم قال لهم العمدة إنه أعد لهم شيئاً خاصاً في الفناء الخارجي ، وأنه ذاهب ليحضره .

فكان خروجه هو الإشارة المتفق عليها مع رجال العصابة ليشرعوا في العمل . وكان بعضهم قد زحف إلى قريب من البيت ومعه القنبلة اليدوية ، وتقدم آخر ، من الحارس ، وعليه قميص من قمصان اللعب فوق سراويله ، وكان معه مسدس في حزامه تحت القميص ، وفي كلتا يديه دجاجة حية مشدودة الرجلين بخيط ، فمد يديه بالدجاجة إلى الحارس دون أن يقول شيئاً ، فأومأ إليه الحارس أن يدخل بالدجاجة ، فأظهر الرجل أنه غير فاهم وترك الدجاجة تسقط من يديه ، فأخرج الياباني صوتاً كالتمطق من الغيظ وانحنى ليمسك الدجاجة ، وقد عز عليه أن يراها تضيع .

وكان حامل القنبلة قد جذب خيطها لما رأى زميله يسقط الدجاجة ، وأخذ يعدو ، فلما انحنى الياباني على الدجاجة أخرج الواقف أمامه مسدسه وأرداه برصاصة في قفاه ، وقذف الآخر بالقنبلة من نافذة البيت ، ثم هجم الباقون من الباب بالبنادق ليقضوا على الذين في الداخل .

وكان جو نازارينو مزهواً بمدفع المورتر والقذائف الخمس فحاول أن يدخل برجاله بلدة ليلوان ، وبدأت المعركة بقنبلة من قنابل المورتر سقطت خارج بنـاء المدرسة التي فيها الحامية اليابانية ، فخرج اليابانيون واحداً وراء واحد ليلجأوا إلى الجحور ، وكان حولهم أسلاك شائكة أيضاً ، وقاوموا طول النهار ، وانتهت معركة اليوم بغير نتيجة .

وفي تلك الليـلة أطلق اليابانيون قنبلة مضيئة ، وذهب جو إلى أن معنى ذلك أنهم يطلبون مدداً من وراء بوغاز ليلوان . فوضع رجاله على الشاطىء ، فلما أقبل زورق

غاص باليابانيين كان جو ورجاله مستعدين لاستقبالهم. ورسا الزورق على رملة الشاطيء ففتح عليهم جو وجماعته أفواه البنـادق ، وعدّوا ثمانين يابانيا فى الزورق ، فكانت مذبحة ، وقضى الرجال بقية الليل يغطسون طلباً للجثث والبنادق والمؤن، وكانوا يبغون أن يأخذوا ثياب القتلى وأحزمة الرصاص .

أما مدفع البازوكا فاستعمل للتسلط على بوغاز ليلوان . وفى ١٠ من فبراير أقبل زورق بخارى حتى صـار على مسافة ٧٥ ياردة من الشاطىء ، وكان رجال جو لم يطلقوا هـذا المدفع قط ، ولم تـكن القذائف من الكثرة بحيث تسمح بالتدريب، فجعلوا هدفهم المحرك ثم شدوا الزناد .

فحدث انفجار فى الماء على مسافة ٥٠ ياردة من الجانب الآخر من الزورق فتجمع اليابانيون عند الجانب الثانى وظهرت عليهم الدهشة من فورة المـاء وجيشانه ، وكانت القذيفة قنبلة من النوع الذى يتأخر انفجاره، والذى يستعمل ضد الدبابات ، وقد اخترقت جانب الزورق فوق خط الماء ونفذت من الجانب الآخر ثم انفجرت فى البحر دون أن تحدث أذى ، ولكن اليابانيين لم يعبروا بوغاز ليلوان فى زورق بعد هذا ، وآثروا أن يقطعوا ستين ميلا فى لفة طويلة ، على أن يخاطروا مرة أخرى .



ثم جاءت الطائرات فألقت قنابلها وضربت بمدافعها ، ومحت أربعة بيوت كنت من قبل فى إحداها أنا ومحطتى اللاسلكية، ولكنهم لم يقتربوا من دار محطتى الجديدة فى الأدغال ، لأنهم عجزوا عن الاهتـداء إليهـا ، وكانت نتيجة الغارة أن فقدت عمالى أسبوعاً كاملا ، فقد جاءت زوجاتهم وأخذنهم ليحفروا لهم وللأطفال خنادق .

وأرسل اليابانيون سرايا قوية التسليح مع دورياتهم ، فتركتها العصابات تمر دون أن تتعرض لهـا . فلما كان المساء وعاد اليابانيون يجرون أرجلهم من التعب والإعياء وقد قطعوا نحو ١٥ ميلا على الأقدام دون أن يجدوا شيئاً ، انقضت عليهم العصابات .

وليس هناك رقم دقيق لخسائر اليابانيين . ومن المحقق أن الخسائر بلغت المئات، ولعلها على الأيام دخلت فى الآلاف ، وكان الماجور الذى يتولى الأمر فى منطقتنا يتخذ سبورة يسجل عليها بالطباشير جملة الخسائر اليابانية لتقوية الحالة النفسية بين رجاله ، غير أن العصابات قلما تستولى على ساحة ، وإنما تضرب حتى تنفـد ذخيرتها ، ثم تتراجع . ومتى كنت لا تسـتولى على ساحة فإنك لا تستطيع أن تحصل على إحصاء دقيق للقتلى .

ومهما يكن من ذلك، فقد بلغت خسائر

اليابانيين مبلغاً جعل رد الفعل من جانبهم مقروناً بالوحشية ، فكان أهالى البلاد يفرون مذعورين إلى الجبال ، وكان من جراء هذا أن صار مركز اليابانيين حرجاً فيما يتعلق بالأقوات ، لأن حامياتهم كانت تعيش عيالا على أهل المدن ، وكانوا يضطرونهم إلى العمل لهم . ولم يكن يسعهم أن يعيشوا فى بلاد مهجورة ، فقصدوا إلى الجبال ومعهم رجال الطابور الخامس ليجيئوا بالفارين ، فإذا عرف رجال الطابور الخامس أسرة من أسر البلدة أكرهوها على العودة ، وكانت الأسر الجبلية تُقتَل حتى لا تعاون العصابات .

غير أن الجلاء عن المدن استمر وكان عوناً كبيراً لنا ، لأنه أكره اليابانيين على ابتعاث فرق للبحث والتفتيش نستطيع أن نفتك بها . وكان بين أهالى البلاد مئات من الأبطال . وهذه قصة لن تروى على الوجه الذى ينبغى أن تروى به ، فإن فصولها كثيرة جداً ، وكثير منها وقع فى أماكن معزولة كان شهودها الوحيدون أولئك الذين أصبحوا قتلى .

واخترعت العصابات حقول ألغام محلية لم تكلفهم قرشاً ولم تتطلب شيئاً من المواد الحربية الباهظة الأثمان ، فكانوا يدسون أعواداً من الخيزران أطرافها محددة مسنونة فى الحشائش على جانبى الطريق ، ويستعملون لهذا الغرض نوعاً خاصاً من الخيزران اسمه « بانجا كى » . فإذا جرحت نفسك عليه خبث الجرح . والأهالى ينفرون من استعمال هذا النوع ، ولكن العصابات صنعت آلافاً من هذه الأعواد المسنونة وغرستها على الطريق الذى يسلكه اليابانيون ، بحيث يكون السنان خارجاً من الأرض نحو قدم ، حتى إذا أقبلت دورية يابانية أطلق رجال العصابات عليها النار أو جهجهوا بها ، فينطرح اليابانيون أرضاً للتوقى فتطعنهم هذه النصال الفتاكة . وقد قتل كثيرون من اليابانيين بهذه الطريقة ، وجرح آخرون أجهزت عليهم العصابات بالخناجر .

وصار رجال الجبال يحملون الخناجر والخنجر العادى له نصل طوله ١٢ بوصة وهو يحمل فى قراب على الكتف ، وكانوا يحملون هذا ويحملون أيضاً خنجراً صغيراً تحت القميص ، فإذا قبض عليهم ألقوا الخنجر الكبير — طبقاً للأوامر — وانتظروا حتى يدنو اليابانى لتكتيفهم ، وحينئذ يستل الرجل منهم الخنجر الصغير ويضرب به حتى يقتل . وقد انتهى الأمر باليابانيين إلى أن صاروا يتقون الاقتراب من الأسير حتى يخلع قميصه . ثم صار أهل الفلبين

يضعون قطعاً من الزجاج فى أفواههم ، أو مواسى إذا وجدوها ، ويسنون الأظفار ويطيلونها ، ليفقأوا بها عيون أعدائهم — أى شىء يؤذى وكفى . وظل جيش كانجليون يقاتل اليابانيين قتالا دموياً مستيئساً ويدفعهم ببطء إلى مدن الشاطئ حتى سلمت الجبال لنا .



وكانت محطتى فى الأدغال كالسفينة فى البحر ، فصنعت مكتباً من خشب باب ، ووضعت عليه جهاز التلقى ، وجرس باب له مفتاح تلغراف ليدق ، فإذا أردنا أن نرسل رسالة آذنت المهندس بدق الجرس، كأنى فى برج سفينة . ودقة واحدة معناها الابتداء ، ودقتان للتوقف ، وثلاث لخفض القوة ، وأربع لزيادتها ، وخمس للحضور للأكل . ولم تكن هناك إشارة لوقف المحرك ، فإذا وقف كان ذلك لخلل ، وكان لا بد من البنزين للابتداء ، وهو نفيس نفاسة الماس ، أما بعد أن يشتغل المحرك فإنه يعمل بعد ذلك بالزيت الوسخ وعندنا منه الكفاية ، فقد كانت سفينة يابانية قد ضربت بالطوربيد على مقربة من الشاطئ ، فحمل الماء براميل كثيرة من الزيت إلى البر ، فجئت بكل مدنى وكل رجل من رجال العصابات من مسافة عشرين ميلا ، فظلوا يعملون ثلاث ليال لنستولى على هذا الزيت . أما البنزين ! البنزين !

وصار استقطار « التوبا » غير عملى ، فإنه ينمو بجوار البحر ، وعلى أنه لم يكن عندنا حينئذ شىء نصنع منه جهازاً للتقطير .

وتمت إقامة شبكتى اللاسلكية ، ولكنى لا أستطيع أن أزعم أنها تعمل بغير توقف ، وبعثت بجهاز للراديو إلى المنطقة الشمالية من ليتى مع رجل من رجال العصابة اسمه كابيليوس ، وكنا قد ركبناه مما فضل من هنا وههنا ، واستغرقت إدارته مثل طول الأبد . وقضى كابيليوس ثلاثة أسابيع ليقطع مئة وعشرين كيلومترا إلى المحطة الجديدة ، فقد كان اليابانيون على طريقه فلم يكن له معدى عن التحرز وأخيراً بدأ العمل ، فإذا جهاز الإرسال يرسل ، أما جهاز التلقى فيأبى أن يتلقى . وكنا قد جربناه فوجدناه صالحاً فى الحالين ، أما هو فاختلف الحال معه ، ولم يكن يعرف كيف يصلحه ، ولا كان عندى رجل أستغنى عنه فأبعث به إليه ، فظل يبعث إلينا برسائله يسألنا فيها هل نسمعه .

فأرسلت إليه عدّاء يحمل منهاجاً ، ويأمره أن يذيع فى الساعة الثامنة صباحاً والساعة الرابعة مساء ، فسلخ الرجل ثلاثة

أسابيع فى الذهاب وثلاثة فى الإياب ، وجاء يقول إن كابيليوس ليس عنده ساعة ! فرددته إليه ومعه ساعة، وغاب ستة أسابيع أخرى فى رحلتى الذهاب والإياب، ثم صارت الدوريات اليابانية أنشط ما تكون فى الساعة الثامنة صباحاً والساعة الرابعة مساء ، فلم يستطع أن يذيع فى هذين الوقتين ، وطلب توقيتاً جديداً ، واضطررت أن أبعث عدّاء بالتوقيت الجديد غاب ستة أسابيع ، وبعد ذلك اضطربت ساعته . فكان كل مايسعنا هو أن ندع جهاز التلقى مفتوحاً خمس دقائق فى الصباح وخمساً فى المساء عسى أن نسمع منه نبأ .

ولم تكن ثم قطع للتغيير لأى جهاز من أجهزتنا . ولما اتفق أن انتظم أمر جهازى توقفت محطة منداناو، فقد ذهب اليابانيون إلى هنــاك مرة بخمسة عشر ألف رجــل ومائة طائرة ، ونسفوا منشئات فرتيج ، ولم تستطع منداناو أن تنبس بأخفى همهمة أكثر من أسبوعين .

ثم يقبل اليـابانيون علينا فيضربوننـا ، وكنا نستطيع عادة أن ننقذ معظم أجهزتنا ولـكن إعادة تركيبها كان يسـتغرق وقتاً ويستنفد جهداً . وقد فقدنا جهاز إرسال لما أغاروا على محطة أقتها بإشراف جوزيف سنت جون من رجال الفيلق الجوى التابع للجيش وكان معى فى الزورق الشراعى حين أزمعنا الذهاب إلى أســتراليا .

وكان أول ما شعر به الرصاص يخترق كوخه ، فلما خرج منه رأى نحو مئة يابانى يهبطون عليه من الجبــل ويطلقون النار ، ولم تكن عنده ذخيرة ، فرمى بندقيته ليتخفف ، وأحنى رأسه وذهب يعدو .

وكان على مسافة خمسين قدماً من الـكوخ حقل نباته عال جداً ، فأدرك أنه إذا دخل فيه ترك أثراً . وكانت هناك شجرة مقلوعة على حافة الحقــل فألقى بنفسه تحتها ، وكان ما تحتها ضيقاً ، ولكنه كاف لبدنه المعروق . والنبات الذى اضطر أن يدخل فيه ويدوس عليه حتى يتصل إلى الشجرة ، قوى يستطيع أن يرتد واقفاً فلا يبقى هنــاك أثر . وكان معه مسدس فرفع زناده . وقال لى فى وصفه: « لقد كنت تستطيع أن تسمع صوت هذه المطرقة وأنت فى الصين ! » .

وأقبل اليابانيون يطعنون بأسنتهم يمنــة ويسرة ويحرقون بها النبات ، ومشى أحدهم على الشجرة التى كان منطرحاً تحتها وجعل يطعن على جانبيها ، وظل جونى راقداً لا يتحرك ، وأمطرت السماء وأصاب جذع الشجرة وسال عليه ، فلم يتحرك ، وخرج النمــل الأحمر ومشى على جفونه ودخل فى أذنيه ، وجاس خلال أنفــه ، فلم يطرده . ولبث هكذا خمس ساعات ونصف ساعة ،

وكان اليابانيون كل دقيقتين أو ثلاث يطلقون النار جزافاً فى الغابة وفى النبات والجبل لإقصاء العصابات ، ثم انصرفوا وأخذوا معهم كل ما كان عند جونى ، وفى جملة ذلك ١٥٠ بيضة ، وغرارة أرز ، وحذاءان لجونى .

كلا ، لم يكن ثم آخر للمتاعب — فالأدوات العازلة تحترق ، ومحولات التيار والأنابيب تهلك ، والأعوان يفقدون رباطة الجأش ويقولون إنهم مضطرون إلى ترحيل أسرهم إلى مكان أمين ، ثم لا يعودون . ولكن جزيرة ليتى لم تكف قط تماماً عن الإذاعة ، فقد كان بعضهم يأتى بالمعجزة ، فتظل تذيع . وأعتقد أن جزيرتنا هى الوحيدة التى لم تفقد اتصالها قط بماك آرثر يوماً واحداً . ثم جاءت غواصة أخرى ، فطاب الحال بعد ذلك .

وكان لابد من معجزة أخرى لتجىء الغواصة ، فقد اختل المكثف فى جهاز الراديو ، ثم أخذت البطارية تخلو من الكهرباء ، فوصلنا بطاريتين بشريط لنحصل على القوة اللازمة للإذاعة ، وكانت هذه آخر رسالة أعانت عليها البطاريتان ، ولكنها أثمرت ثمرتها ، فأتمت الترتيبات الخاصة بالغواصة .

وخرجت الغواصة من الماء على مقربة من الساحل حوالى الساعة السادسة ليلا ، وكان معنا ٤٠٠ فلبينى ينتظرون تفريغها ، ولم يكن هناك رصيف فاستخدمنا القوارب الصغيرة للتفريغ . وكان عندنا منها خمسون . ولكننا اضطررنا أن نربط كل قاربين معاً لنقيم عليهما سطحاً يتسع لشىء ما ، وكان الربان يحتفظ بمستوى الغواصة بإدخال مقادير من الماء فيها كلما أفرغت منها شحنة .

وسألنى : « أين اليابانيون ؟ » .

قلت : « على مسافة خمسة كيلو مترات تحتنا وسبعة كيلو مترات فوقنا » .

فقال : « يا بنى إذا كنت تريد أن تفزعنا فأنت موفق » .

وقد أرسل اليابانيون دورية لترى ما هذه الضجة كلها وما داعيها ، ولكن ١٥٠ من رجال العصابات كانوا رابضين لها فى خنادق حفروها بخناجرهم ، فلم ينجُ من اليابانيين أحد إلا من ولى هارباً .

وأرسل اليابانيون فيما بعد سفناً حربية ، ولكنه لم يكن ثم شىء تضربه ، فقد ذهبت الغواصة ، وذهبنا نحن أيضاً ، ومعنا من البنادق أكثر مما عند كانجليون من الرجال ، ومن أجهزة الراديو أكثر ممن عندنا من رجال اللاسلكى ، أجهزة جديدة لامعة قوية من أسطول الولايات المتحدة ، ومهمات

طبية ، وصناديق طبية كبيرة . وأذكر أن الدكتور بارادو رئيس القسم الطبي عندنا فتح إحداها على الشاطىء ثم قعد يحدق فيها. فلما صرت إلى جانبه قال : « سأحتاج أن أراجع كتبي مرة أخرى لأتذكر فيم تستعمل كل هذه » ، وكانت عيناه مغرورقتين بدموع الرضى والفرح .

وكان في الغواصة شابان أمرت أن أساعدهما على إقامة محطة أرصاد جوية ، وكانا مضطربين في البداية ، فسرني أن أمثل معهما دور المحارب القديم ، وكنت أقول لهما كلاماً كهذا : « لا شيء يدعو إلى القلق ، فليس هناك ياباني على أقل من مئة ياردة من هنا ! » وكان معهما أربعة أطنان من المهمات ، فجمعت ستين من الشبان الفلبينيين لحملها .

وما كادت المحطة الجوية تقام حتى تلقيت رسالة تأمرني أن أذهب إلى سامار الجنوبية ، وأنشىء محطة لاسلكية ، وأخطط حقل ألغام في بوغاز سوريجاو بين هومونهون وجنوبي ليتي .

وجزيرة هومونهون أقل من ستة أميال طولا ، ولا يتجاوز عرضها في أوسع مكان ميلا ونصف ميل ، وكانت الدوريات اليابانية تختلف إليها من حين إلى حين ، والسفن اليابانية تمر بها كل يوم ، وكانت في جزيرة سولوان ، على بعد أربعة أميال ، حامية يابانية من مشاة الأسطول ، ولا مكان للاختباء في هومونهون إذا جد العدو في البحث . ولم يكن معي غير ستة من الجنود ، فإذا جاء اليابانيون لم يبق لنا من سبيل سوى الجري ، وفي هومونهون تجري ما تجري فلا تنتهي إلا إلى ماء .

واجتمع الأهالي لمشاهدتنا ونحن ننزل ، فأعطيناهم مجلات وصابوناً وشكولاته وكبريتاً كتب عليها كلها « سأعود — ماك آرثر » وكانت الصور المنشورة في المجلات بمارسم في سنة ١٩٤٤ ، فهي تثبت للأهالي أننا على اتصال بماك آرثر ، واستولت على قلوبهم صور السفن اليابانية المغرقة ، وعلى عقولهم الخرائط التي تبين ما فعله نيمتز وماك آرثر إلى الآن .

وكان معي للأهالي ذخيرة من الأسبرين والكينين والأتبرين — فقد كانت الملاريا متفشية في الجزيرة — وأخبرتهم أن ماك آرثر أرسل هذا إليهم ليثبت لهم كيف أنه دائم التفكير في أهالي الفلبين .

ثم ألقيت فيهم خطبة مدارها أن ماك آرثر ليس ببعيد . وكنت أعرف إحساس الأهالي ، ففريق منهم يطلب الحرية بأي ثمن ، فالكلام

على ماك آرثر يشعل النار في قلوبهم . وفريق آخر كبير يبغي السلام بأى ثمن ، فالكلام على ماك آرثر يغريهم بأن يتبعونا وأن يدركوا أن هذا هو ثمن السلام .

وأبى جهاز الراديو الكبير الجديد أن يعمل ، فعالجناه أربعة أيام ، وركبناه ، ونقلناه من موضع إلى موضع . ثم تنبهت إلى أن أشجار هومونهون هامدة قميئة ، وأن التربة حمراء ، فالجزيرة ليست إلا كتلة من خام الحديد . وكان عندنا جهاز صغير أقمناه فى زورق وربطنا سلك الهواء بعود الشراع ، وبعدنا عن الشاطىء مقدار عشرين قدماً ، وجعلنا طرفه الآخر فى جوف الماء ، فصلح الأمر .

ولم نقض وقتاً طويلا فى تخطيط المسالك بين حقول الألغام فى البوغاز ، فقد كانت السفن اليابانية من كل حجم كثيرة المرور وكان معى منبه ، وبوصلة صغيرة . فأذكر لمساعدى البيانات الخاصة بالمسافة والاتجاه والمسالك والسرعة فيدونها فى كل دقيقة حتى تختفى السفينة عن النظر .

وكنت أجلس فى بيت على الشاطىء تماماً ، وعلى بعد قليل من النافذة والمنظار على عينى ، وكانت السفن تدنو جداً من الشاطىء حتى كنت أستطيع أحياناً أن أقرأ ما تطالعنى به وجوه اليابانيين ، وأن أدرك ما يحس به المرء وهو على هذه السفن .

ثم حدث ذات صباح ، ومساعدى يشتغل بالراديو فى القارب ، أن سمعت أزيزاً فوقى وإذا بطائرة من طراز زيرو فوقنا مباشرة ، وكانت منخفضة فرأيت اليابانيين اللذين كانا فيها ، وكان أحدهما ينظر إلى الزورق بمنظار ، ولم تعد الطائرة ، ولكن بعد ظهر ذلك اليوم أقبل أحد زوارق الحراسة يسير بجوار الشاطىء ، وكنت قد أخرجت كل مهماتى من البيت وخبأتها ، وأمرت رجالى فتواروا متباعدين فى الحشائش العالية القريبة من الساحل ، ولم تكن ثم فائدة من الجرى ، وكنا على كل حال نستطيع أن نقتل بعض اليابانيين إذا نزلوا إلى البر ، ولكن الزورق اكتفى بالمرور واكتفى رجاله بالنظر بالمناظير ثم انصرفوا . وأكبر ظنى أن الطائرة لم تستطع أن تعين لهم مكاننا بدقة .

وبعد أن تم تخطيط المسالك بدقة فى حقول الألغام ، وأرسل الرسم إلى مقر قيادة ماك آرثر ، قسمت رجالى فريقين ورحلت بأحدهما إلى سامار ، وقدرت أن يكون الذين تركتهم فى هومونهون فى أمان ، ما دام ليس معهم رجل أبيض ، فإذا جاء اليابانيون ، فما عليهم إلا أن يطرحوا بنادقهم فلا يستطيع أحد أن يفرق بينهم وبين بقية الأهالى .



و في ١٢ من سبتمبر أقبلت طائرات الأميرال هالسي، وكنت قد أنشأت محطتي اللاسلكية في جنوبي سامار فاختلت، فأصلحناها، فاختلّ المولد الكهربائي فأصلحنا المولد فاحترق، فسرقنا بعض المولدات من سيارات مكتب الحامية البوليسية التي يسيطر عليها اليابانيون، ثم احتجنا أن نعود فنسرق أحزمة المراوح، وقد عانينا مشقة كبيرة في الوصول إلى مكان السيارة الأولى، فإذا بها ليس فيها حزام مروحة، فاضطررنا إلى المخاطرة بالذهاب إلى مكان السيارة الثانية.

ثم أقبلت الطائرات. ويا له من يوم لم يسبق له مثيل في أي مكان! وكنت قد نهضت لساعتي من الفراش، وإذا بضجيج يملأ السموات، فخطر لي أن العصابات لابد أن يكون شأنها قد عظم جداً، إذا كان اليابانيون يرسلون عليها كل هذه الطائرات، وأقبل الرجال يعدون.

وصاحوا: «الطائرات ياسيدي! طائرات، طائرات، طائرات، طائرات كثيرة، كثيرة، يا سيدي!»

وكنا نرسل الطائرات إلى ماك آرثر عن الطائرات، فأردت أن أعدها وأعين طريقها. وانقضت برهة وأنا لا أستطيع أن أرى هذا المنظر حق رؤيته، ثم أدركت أنها طائرات أمريكية من طراز لم أره من قبل، وكان آخر ما رأيت من الطائرات الأمريكية يرجع إلى نحو ثلاث سنوات خلت، ولكن هذه شارة النجم — الشارة القديمة التي لا يمكن أن يرتقي إليها الشك.

وصاح الرجال: «طائرات أمريكية؟»

فقلت: «طبعاً! تراكم تظنون أن عند اليابانيين كل هذا العدد من الطائرات، وما من واحدة منها إلا وهي جديدة جداً؟»

وحاولت أن أبدو رصيناً هادئاً، ولكن يا لله! لقد تعذر علي أن ألزم نفسي الهدوء، وإذا أنا أهتف هتافاً كاد يخلع عنقي.

وظلت هذه الطائرات تجيء كل ساعة، وفي الموعد بدقة، طول النهار، ثلاثة أيام على التوالي فهتفنا حتى تمزقت ضلوعنا وثيابنا، وصفقنا حتى ورمت أكفنا، ونططنا كنطاطيد الأطفال.

وكانت الغارة على مانيلا، ولم نشهد إلا مثالا واحداً لضربها، وكان هناك نحو ٣٦٠ يابانيًّا على سفينة شراعية جاءوا لنجدة الحامية في جويوان، فخرجت ثلاث طائرات من السرب لترى ما هناك، ولكن طائرة واحدة هي التي ألقت قنابلها، فأصابت هدفها، فوالله لو أنه أخطأ الهدف لاحتجت إلى بيان طويل وتعليل شاق! ولكنه

أصاب فكان كل ماقلته للفلبينيين: « مالكم خرجتم عن طوركم ؟ إن الطائرات الأمريكية لا تخطىء الهدف — لا تخطئه أبداً » .

لقد انتظرت مجىء ماك آرثر مدة عمر كامل على ما كان يخيل إلى ، منذ خرج به زورق طربيد من كوريجيدور . وقد عملت لعودته ، وكابدت ما كابدت فى سبيلها أيضاً ، وكانت تلك اللفافات الصغيرة المكتوب عليها « سأعود — ماك آرثر » على الصابون والشكولاته كأنها شريط من النار يمر برأسى وأنا نائم ، وكنت أحلم أن تكون العودة على هذا النحو : يقبل جنود ماك آرثر هاجمين على الشاطىء ، ونتحدر نحن هاجمين على الشاطىء ونطعن اليابانيين من الخلف ، ونلتقى بالقادمين على جثث اليابانيين ، ونتصافح . ثم أستيقظ متثائباً ، وما زايلنى إحساسى باليد الأمريكية التى صافحتها فى المنام .

على أن الذى حدث جاء على غير ذلك الوجه .

فقد سمعنا ذات صباح انفجارات كأنها الرعد البعيد ، وكان هذا هو الأسطول الأمريكى ، وكان ماك آرثر ينزل فى جزيرة ليتى على مسافة أربعين ميلا منا ، فلما وصل النبأ إلى أقرب بلدة رفعت العصابات العلم الأمريكى على دار المدرسة ، ولما جئنا وحيينا العلم هتفت المدينة .

وسألت : « لماذا لا ترفعون علم الفلبين أيضاً ؟ » .

« كلا ياسيدى ، إن ماك آرثر آت ! وهذا للترحيب به فقط ياسيدى » .

فقلت: « إن الأمريكيين يسرهم أن يروا علم الفلبين أيضا » .

فضج الجمع بالهتاف وارتفع العلم الفلبينى إلى جانب العلم الأمريكى وأمسك رجل بذراعى وقال : « من فضلك ياسيدى » فقد ادخر شيئا ثلاث سنوات ليوم التحرير ، فهل أشاركه فيه ؟ وإذا بهذا الشىء ثلاث زجاجات من شراب الكوكا كولا ، معفرة كأنها النبيذ المعتق . ولم تكن مثلوجة ، ولكن طعمها أذكرنى بلادى ، ونبهنى إلى روح عرفان الجميل فى نفوس أهالى الفلبين .

ثم استولينا على زورق خرجنا به لنستقبل الأسطول ، وكانت الطائرات تمر فوق رءوسنا كل ثلاث دقائق فى أسراب من ثلاث طائرات أو تسع ، وقد يجربون مدافعهم وهم فوقنا ، ولم يكن معى علم أمريكى ألوح به ، ولكنى لوحت بكل شىء معى ، فقد أردت أن يعرفوا أن الزورق ليس يابانى ، وإنما هو للضابط رتشرد سن من أسطول الولايات المتحدة ، وأنى أقود القوة التى مهمتها التمهيد لساعة الغزو تأييداً لماك آرثر .

وظللنا نسير بعد الظهر كله ، فلما كان

الغسق سكنت الريح ، فلم يبق لنا إلاّ أن نجلس حيث نحن ، حتى أقبلت فجأة سفينة كبيرة تنساب إلى جانبنا ، فأشارت إلىّ أن أستعرف إليها ، فكدت أموت من الجزع لأنى لم أدر كيف أجيب .

وأجبتها بنور البطارية، وبشفرة مورس : « أنا ضابط أمريكى فى طريق إلى البيت ، الماجور رتشردسون » .

فدنت المدمرة ، ودعيت بمكبر الصوت أن أدنو بالزورق من الجانب .

فجدفنا كالمجانين ، وشددنا ظهورنا ، وقوينا قلوبنا ، وكان القمر يريق ضوءه على المدمرة ، فرأيت كل مدفع ، بما فى ذلك البطارية الرئيسة ، مسدداً إلينا . فلما صرنا على مسافة ثلاثين قدما ، أمرونا أن نبقى حيث نحن ، ووقف البحارة صفًّا على الحاجز يطلون علينا .

وسأل سائل له صوت ضابط : « من أنت ؟ » .

« أنا الماجور رتشردسون ، وأنا من من رجال الأسطول أيضا » .

فسمعت بعضهم يقول : « هذا الرجل مخبول » .

وأخيراً أمر الضابط أن أصعد ، وألقى نور المصباح الكهربائى علىّ ، وكانت على رأسى خوذة الشمس ، وفى قدمى حذاء الأدغال ، وكنت مرتديا سراويل قصيرة وقميصا قصير الكمين ، ومسدسى فى حزامى وبندقية تومي على كتفى .

فدلوا سلما من الحبال لى وللثلاثة الذين معى ، فلما صعدت إلى السطح أمسك بى بحار ضخم ، على حين نزع غيره سلاحى . وكنت واقفاً أبتسم ، فقد طاب لى الموقف ، وأريتهم خاتم الأسطول وشاراتى الخاصة من كوريجيدور ، ولم أستطع أن أقول شيئا من كثرة الابتسام، فاكتفيت بأن أمد يدى بهذه الأشياء .

وكان الذين معى يلبسون سراويلات قصاراً قذرة مهلهلة وليس فى أقدامهم نعال فصاح بحار : « أهذا هو الجيش ؟ أين ثيابهم ؟ » .

فرفع تيودورو إصبعه الذى يحرك به زناد البندقية وقال : « هذا يا سيدى كل ثيابى » .

فمضوا بى إلى غرفة الطعام ليقدموا لى الألوان الأمريكية الشهية ، وكنت أتلهف عليها منذ ثلاث سنوات ، ولكنى لم أستطع أن أطعم شيئا، فقد كانت أطيب من أن توافق ذوقى ، بعد أن اعتدت الأكل من الشجر كل هذا الزمن .

واغتسلت ورقدت على سرير حقيقى له زنبرك ، وأغطية بيض ووسادة ، غير أنى

لم أنم فقد كان لنا حدا ، وأخيراً نمت على السجادة على الأرض .

ولما استيقظت فى الصباح وصحوت رأيت ثلاثة من الخدم الفلبينيين ، وكانوا فتيانى! فى ثياب الأسطول الأمريكى — قبعات وقمصان وسراويلات وأحذية سود وغير ذلك . وتحت إبط كل منهم نحو ست علب من السجاير والصابون وصابون الحلاقة والمواسى والشكولاتة ، فقد أعطاهم البحارة كل شىء إلا هيكل السفينة !

وبعد عصر ذلك اليوم أمرت أن أذهب إلى الطراد « ناشفيل » فأخذ بعض الضباط يحادثوننى لتزجية الوقت على ما خيل إلى ، وأنا أتساءل : لماذا بعثوا بى إلى هنا ؟

وقال مراسله: « سيقابلك الجنرال الآن ياسيدى » .

فلم أفهم هذا حق الفهم ، وتبعت المراسل إلى غرفة فإذا الجنرال ماك آرثر جالس فيها ! فذهلت . ووقف الجنرال أمام المكتب ومد يده ، وبلغ من دهشتى أنى لم أمد يدى فاضطر أن يتناولها هو من جانبى .

ودام حديثنا نحو عشر دقائق ، ولست أتذكر مادار فيه ، وكان أكثره أسئلة من الجنرال ماك آرثر . ويا للجحيم ! أتراك تظن أنك تستطيع أن تجلس وتروح تثرثر مع جنرال؟ وقد أدهشنى أن أعرف أن ماك آرثر لم يكتف بأن يقرأ كل رسالة بعثنا بها ، بل كان على ما بدا لى قادراً أيضاً على تذكر تفاصيل كل منها . غير أنى أذكر الشعور بالألم الذى كان يخالجنى كلما نسيت أن أقول: « سيدى » وكان الألم يتكرر كثيراً ، لأنى لم أقل « ياسيدى » لأحد ، كل هذا الزمن ولهذا كنت أنسى .

وأحسب أن القصة تنتهى هنا . وقد عملت مع الفيلق الجوى التابع للجيش فترة للمساعدة على تعيين الأهداف اليابانية ، والتقيت بزملائى رجال العصابات فى تكلوبان أنا والسكولونيل كانجليون، وجو ريفاريال فتعانقنا حتى كادت تنشق صدورنا ، ثم تلقيت أمراً بالعودة إلى الوطن لأستريح، ثم يعين لى بعد ذلك عمل .



البصر الضعيف يسبب الحوادث

إن قدرتك على أن ترى الأشياء واضحة هى ضمان من أقوى الضمانات التى توقيك الحوادث . وإن الأجسام المتحركة حركة سريعة لا تتيح للعيون الكليلة التى لا تضبط مدى البصر إلا ضبطاً بطيئاً الوقت الكافى للإبصار . فإذا كان بصرك غير سليم فقد تخطىء درجة من درجات السلم أو قد تعثر بعتبة الباب

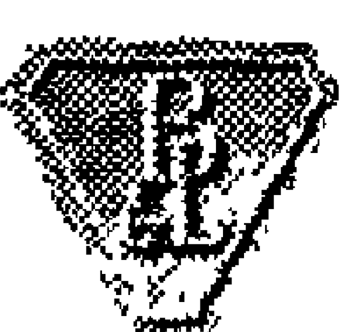
وفى عملك أيضاً تجد البصر الضعيف عائقاً يعوق نجاحك فى المستقبل لأن ضعف البصر لا يسبب الحوادث وحسب — بل يسبب الأخطاء فى العمل أيضاً

وإذن فاستمتع بسلامة البصر الحديدى ومنافعه بأن تعرض عينيك للفحص بانتظام وحين تستعمل عدسات « بوش ولومب » فى شنابر « بوش ولومب » فإنك تعلم واثقاً أنك قد ظفرت بأقصى فائدة فى وصفة طبيبك

بوش ولومب

BAUSCH & LOMB

شركة — ESTABLISHED IN 1853



عدسات — ROCHESTER, N.Y., U.S.A.

شركة بوش ولومب : تصنع زجاجاً للإبصار ومجموعة كاملة من أدوات الإبصار للاستعمال فى الحرب والتربية والبحث العلمى والصناعة ولتصحيح بصر العيون وحفظه

إنه كالسحر قلم پاركر "٥١" "يكتب كتابة جافة"

إن قلم پاركر « ٥١ » يبدأ الكتابة فى الحال وينساب على الورق فى يسر وبغير جهد . إن قصبة هذا القلم ، الرشيقة الناعمة المدببة، تقى سنه من الهواء والقذر... وتحفظه رطباً وأبداً مستعداً للكتابة .

وهو ينفحك بشىء من السحر كذلك.. سحر الكتابة الجافة . وقلم پاركر « ٥١ » وحده يستطيع أن يستعمل حبر پاركر « ٥١ » الجديد ـ الحبر الذى يجف وأنت تكتب . ولكنه مع ذلك يصلح لاستعمال أى حبر آخر .

والماسة الزرقاء على مشبكه . معناها ضمان منا أن يخدمك مدى الحياة .

يوجد فى جميع المخازن الشهيرة .

THE PARKER PEN COMPANY
Janesville, Wis. U.S.A.



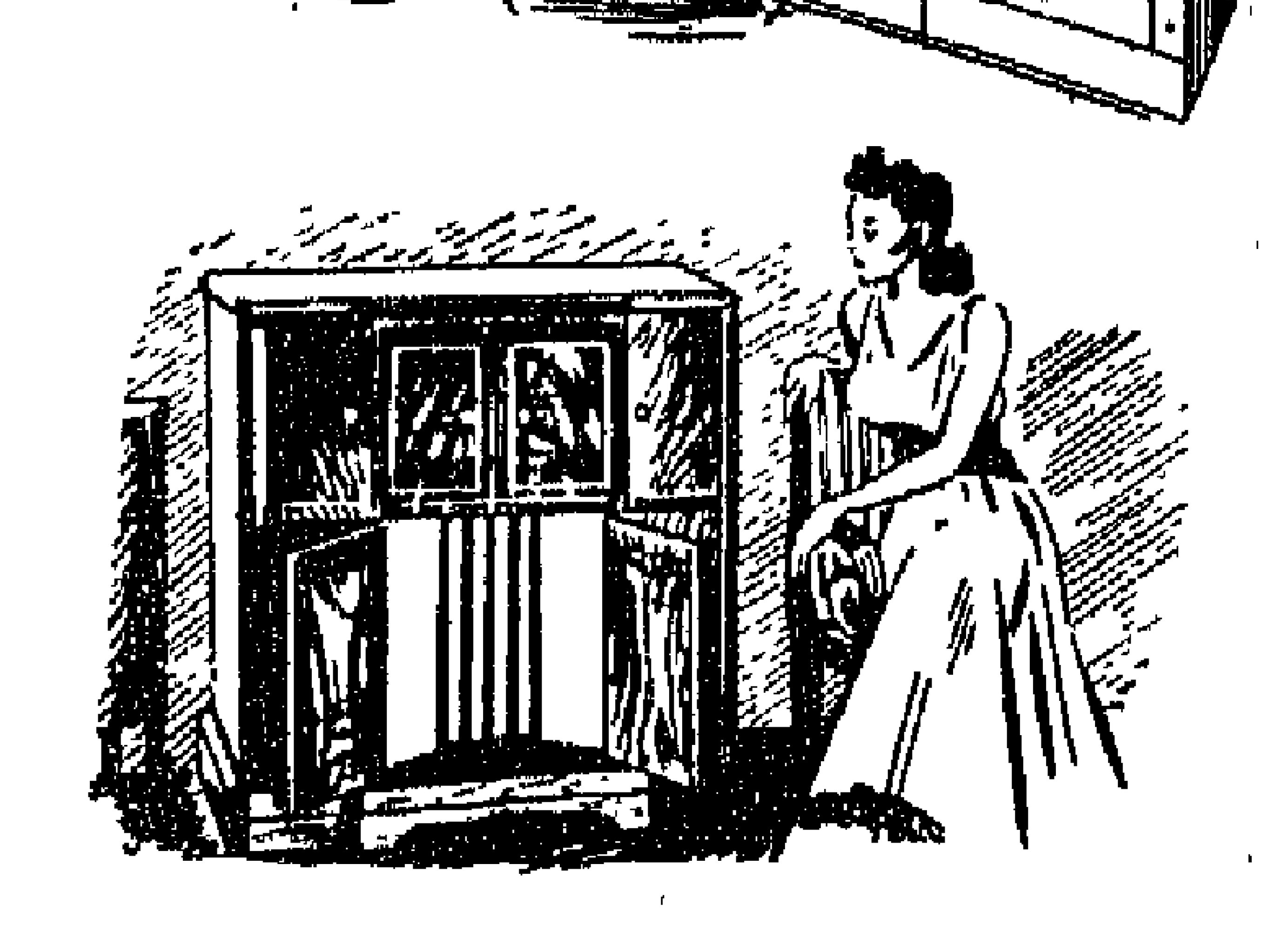

الزعامة ، كالحرّية لا تورَّث
إن الزعامة فى الصناعة هى عقبي البصيرة والشجاعة والبراعة
وهذه هى القاعدة . ولما كانت الرعامة ، كالحرية ، لايمكن أن
تورث ، فلا مفر من تطبيق هذه القاعدة تطبيقاً مستمراً — سنة
بعد سنة — للاحتفاظ بمقام الزعامة . ولذلك ترى اليوم طائرة
كونستيليشن لوكهيد قادرة على الاحتفاظ بسنة الزعامة هذه ، وهى
نفسها استجلاء باهر لطراز أعظم ، من طائرات لوكهيد العتيدة .
ترقبوا LOCKHEED فى الطليعة دائماً
LOCKHEED AIRCRAFT CORPORATION, BURBANK, CALIFORNIA


CALTEX
في خدمتك لإنتاج أسمى المواد البترولية
لكي تظفر بما يجعل مصنعك أجدى عملا وأقل نفقة ،
اطلب خاصة منتجات كالتكس البترولية .
أن الشبكة الواسعة لمراكز التوزيع التي أنشأتها شركة
كالتكس تضمن لك موردا ميسورا تظفر منه ببنزين بالغ الجودة ،
وبالجاز والزيتات ، ووقود الديزل ، وزيوت الوقود .
شركة زيت ، كاليفورنيا تكساس وموزعوها
كالتكس

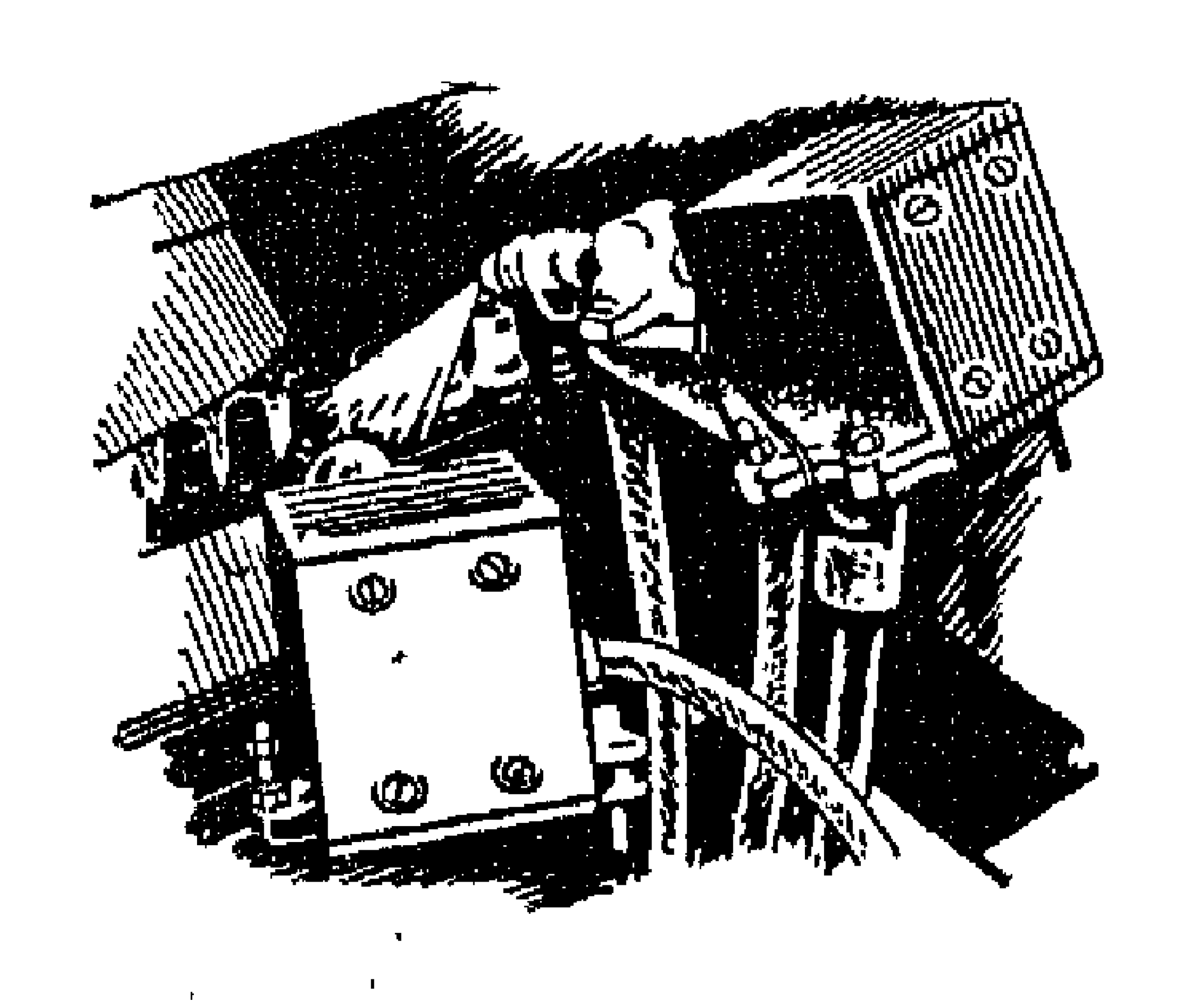
RCA تقــــــدم

أحدث مبتكراتها

حــلم خبراء الراديو: إن جهاز الإستقبال RCA ذا الموجة القصيرة المتعدد نواحي الفائدة ، هو أتم أجهزة الاستقبال إتقاناً — إذ يمدنا بثلاث صـور للاذاعة الواحـدة على ثلاث أسلاك هوائيـة مختلفة. ثم يختار من تلقاء ذاته أجود الثلاث . وبحوث RCA المنقطعة الآن لخدمـة قضية الأمم المتحدة ، تمدنا براديو أجود ومنتجات أخرى لعالم أفضل ، حينما يأتي السلام .



أعظم أجهزة الاستقبال إتقاناً : هو جهاز RCA QUS . وهو أقصى مما يمكن تقـديمه في عالم الراديو بوساطة صماماته بعةوالعشرين ومناطقه الموجية التسع ، كما يقدم أجود نوع إذاعة الاسطوانات بوساطة جهازه الذي يغير عشرين قرص امونون تغييراً أوتوماتيكيا بدون أدنى ضعف في الإخراج . و يقوم بتسجيـل برامج الراديو أو الأحاديث ، ويمكن خدامه كجهاز فعال للخطب العامة — فمنظره رائع وصوته يم ، وهو ذلك النوع مـن راديو RCA الذي سيتاح لك خدامه مرة أخرى حين يأتي السلام .



أنبوبة تساعد على طلاء أخرى : في رش الطلاء على أنابيب RCA المعدنية ، يتولى صمام RCA الالكتروني الاقتصـاد في الطلاء برشه رشا أوتوماتيكيا حينما تكون الأنابيب تماماً أمام صنبور الطلاء . وتصـنع مئات من صمامات RCA العجائب في الصناعة الحديثة . وهناك صمام RCA خاص لكل غرض !



RADIO CORPORATION OF AMERIC

RCA VICTOR DIVISION, CAMDEN, N. J., U. S. A.

.مرالقافلة في الراديو ..تليفزيون ..صمامات .. فونوغرافات .. إسطوانات .. اليكترونات

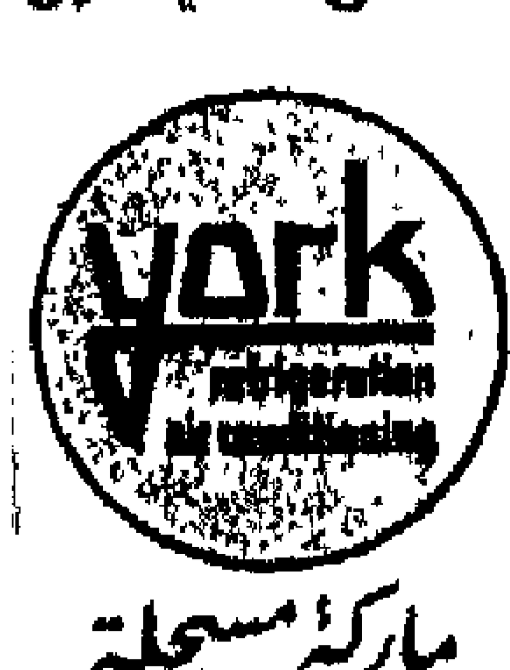
شحن مُبرَّد

سفن مبردة تبريداً تاماً – أن سفن «ريفرز س ٢» تلعب دوراً هاماً فى نقل الطعام الطازج إلى جيوشنا وراء البحار . وقد بنتها شركة « مور دراى دوك » وجهزتها شركة يورك ، فهذه السفن هى مخازن تبريد عائمة . وحرارتها لا ترتفع عن درجة ١٠ تحت الصفر، فهى لذلك عامل عظيم فى قدرة قواتنا المسلحة على الحرب .

وإليك ما قاله موظف فى شركة « يونيتدفروت » التى تسير هذه السفن ، عن عملها : « إن صدق الاعتماد عليها يبهر النفس ولا سيا فى الأحوال الدقيقة التى تقتضيها سرعة الشحن والتفريغ والسفر ، وهذه السرعة هى إحدى المطالب الكبرى فى تجارة التبريد ولم يحدث مرة ما أن عجزت إحدى هذه السفن عن توصيل شحنها إلى غايته فى حالة تامة — وفى الموعد المضروب » .

ومع ذلك فإن معدات يورك المستعملة فى أسطول سفن التبريد ، ليست إلا جزءاً مما تشتد إليه الحاجة فى أجهزة التبريد ، اللازمة لتموين قواتنا المسلحة . فأجهزة التبريد القائمة بنفسها ، المركبة فى سفن النزول إلى الشاطىء ، وسيارات النقل ، والسيارات المقطورة ، تنقل جرايات طازجة من نقطة الارتكاز على الشاطىء إلى منطقة القتال.

فأجهزة يورك تخدم قواتنا المسلحة . من السفينة إلى الشاطىء ، وفى كثير من الأحوال ، اقتضى الأمر أساليب جديدة متفوقة ، وما تم تحسينه واتقانه فى أثناء الحرب سيتجلى فى ما يتاح لعالم يسوده السلام من وسائل تكييف الهواء والتبريد التى أحسنت تحسيناً عظيماً

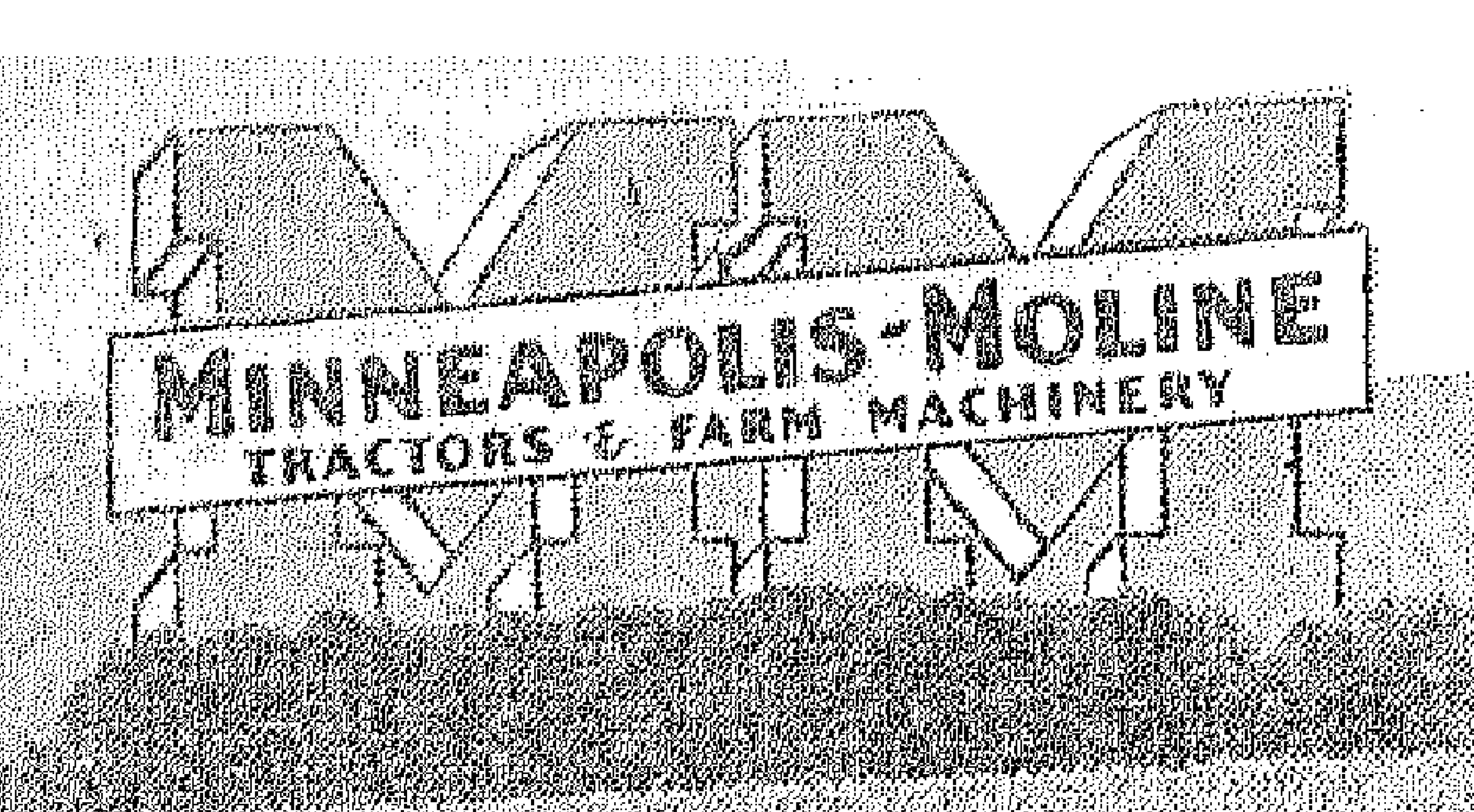


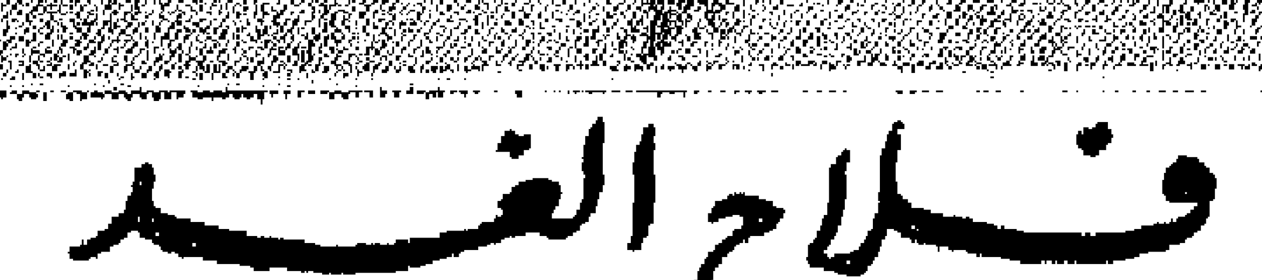
مارك مسجلة

York Corporation, York, Penna.

يورك للتبريد وتكييف الهوا

المقر الرئيسى لأجهزة التبريد الميكانيكى منذ عام ٨٨٥





إنّ الفلاح يزيد محصول الأرض ويضاعفه ، بما يبذله فيها من جهد ، وكذلك يحتفظ بثروتها ويمنع تأكلها . فهو يدرك أن الأرض أمانة بين يديه ، لخير الأمـة ، فيزيد ثروة التربة للأجيال المقبلة .

فلكى يبلغ الفلاح المنزلة العالية التى هو خليق بها فى العالم ، عليه أولا أن يستعمل آلات الحقل الحديثة .

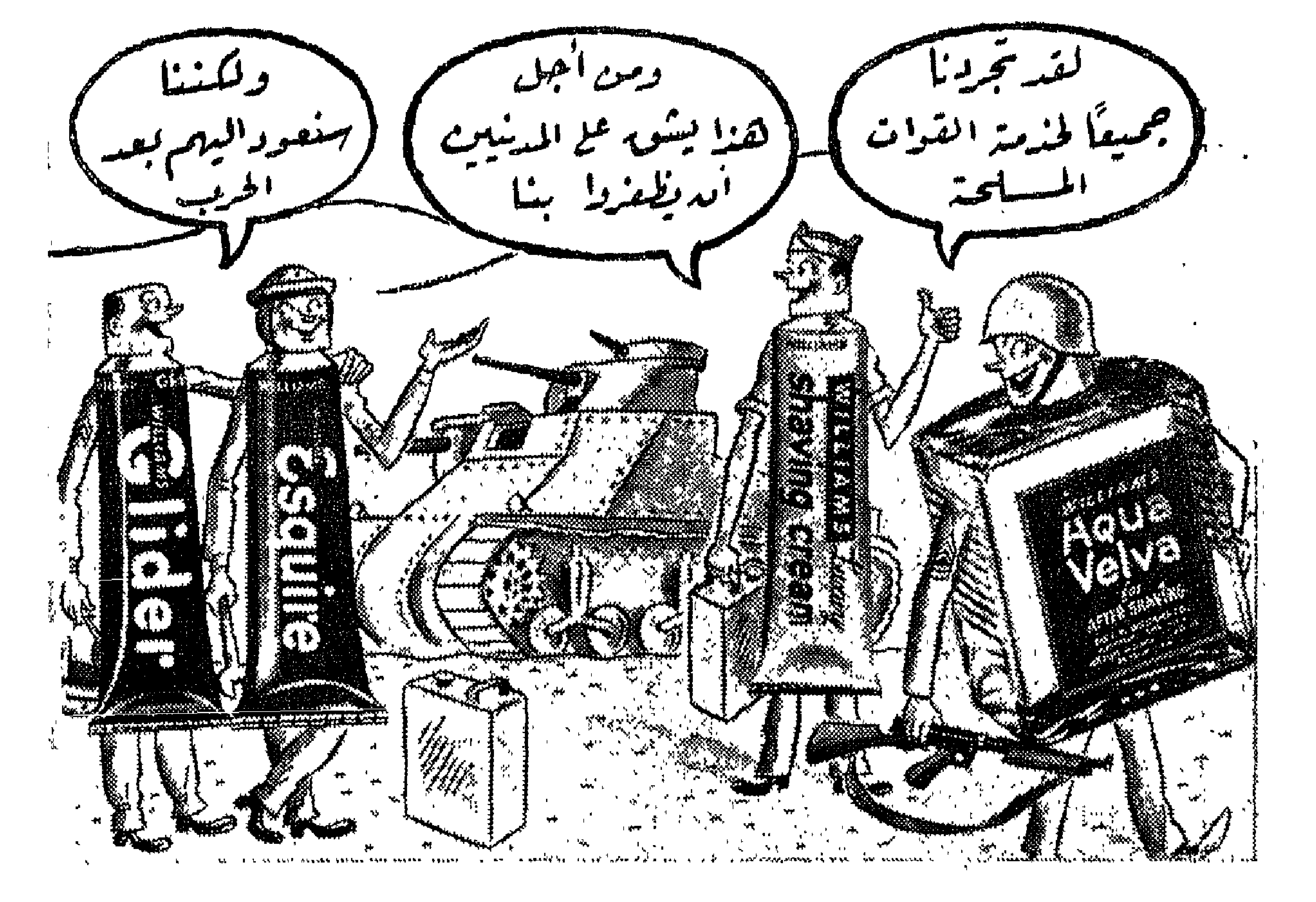
فلهذه الأسباب يرجح أن يكون تاجر الآلات الزراعية ، فى طليعة رجال الأعمال في قومه .

إن شركة مينا پوليس مولين تصنع كل الجرارات وآلات الزراعة ، المسموح بها بحكم القيود المفروضة الآن على المواد اللازمة لها .



MINNEAPOLIS-MOLINE

POWER IMPLEMENT COMPANY MINNEAPOLIS 1, MINNESOTA, U.S.A.


لقد تجردنا جميعاً لخدمة القوات المسلحة
ومن أجل هذا يشق على المدنيين أن يظفروا بنا
ولكننا سنعود اليهم بعد الحرب
Glider
Esquire
Williams
Shaving Cream
Aqua Velva



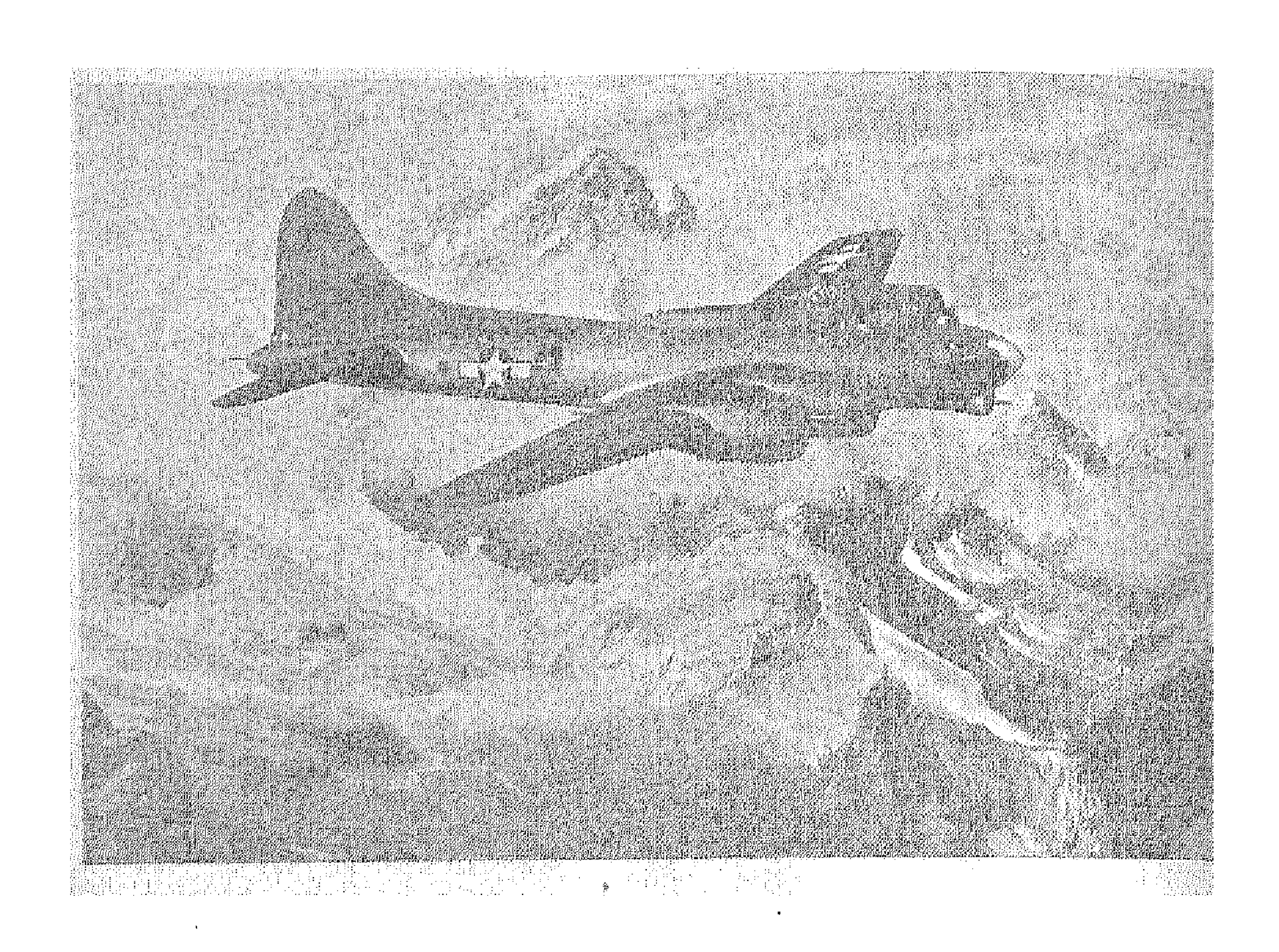
مُعين جديد لك على الطبخ ـ لذة جديدة فى الأكل ، كذلك ـ يُيسّرها لك جلاس بيك ،
ـ أحدث وأصح طريقة للطبخ . إن الأطعمة التى تطبخ أو تسلق أو تقلى ، فى آنية الزجاج المعدة للاستعمال فى الفرن أو على ظهره ، تكون أطيب طعماً ـ وأزكى رائحة ـ وأشهى منظراً ـ أما الطبخ فأيسر وأسهل . وأنت ترى الطعام بعينيك أثناء طبخه ، وتقدمه على المائدة فى نفس صحون الزجاج البراقة التى تطبخ فيها ـ من الفرن إلى المائدة رأساً . فاحرص على أن تشتري جلاس بيك ـ وتحقق من هذا الإسم على كل قطعة .

SunFlame

SUN FLAME APPLIANCES LTD. RIDGEFIELD, NEW JERSEY, U.S.A.



شفرات
مازالت چيليت اشهر شفرات العالم فى السرعة والنعومة والاقتصاد. ولو ان انتاجها محدودًا فسواء اشتريت شفرات چيليت الزرقاء أو جيليت استندرد تضمن احسن حلاقة.
Gillette
GILLETTE BLADE
چيليت



"حقاً إنّ هذه المحركات لقويّة"

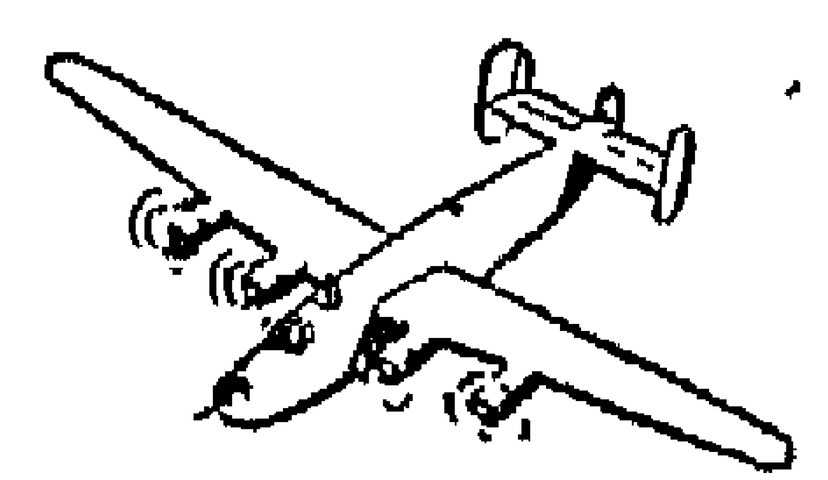
كتب شقيق مدفعى البرج الأوسط فى قلعة
رة إلى ستوديبيكر يقول على لسان شقيقه :
« إن محركات رايت ـ سيكلون التى يصنعها
وديبيكر لهى حقاً يُعتمد عليها وإنها حقاً لقوية »
وإن أقوالا من هذا القبيل لتظفر طبعاً بخير
ير . ولكن رجال ستوديبيكر ونساءه يعلمون
الشأن الحقيقى إنما هو لفعال رجال الطائرات
واسل ، ورجال المطارات الأشداء ، بل هو
ن فعال قواتنا المحاربة جميعاً فى كل مكان .
وهيئة ستوديبيكر تدرك أنها وحدة واحدة
وحسب فى جماعة الأمم المتحدة ، التى تنتج وتحارب .
وفى هذه الجماعة يعد مجهود كلّ فرد مجهوداً عظيما .

وستوديبيكر يفاخر بما عهد إليه به من أعمال
فى هذه الجماعة ـ أعداد وافرة من محركات رايت
سيكلون للقلاع الطائرة صنع بوينج ـ وسيارات
للنقل الحربى الشاق ـ ولنقل الموظفين وعربات
الشحن من طراز ديزل ـ جميع هذه ما فتئت
تتدفق من مصانع ستوديبيكر الخمسة العظيمة .

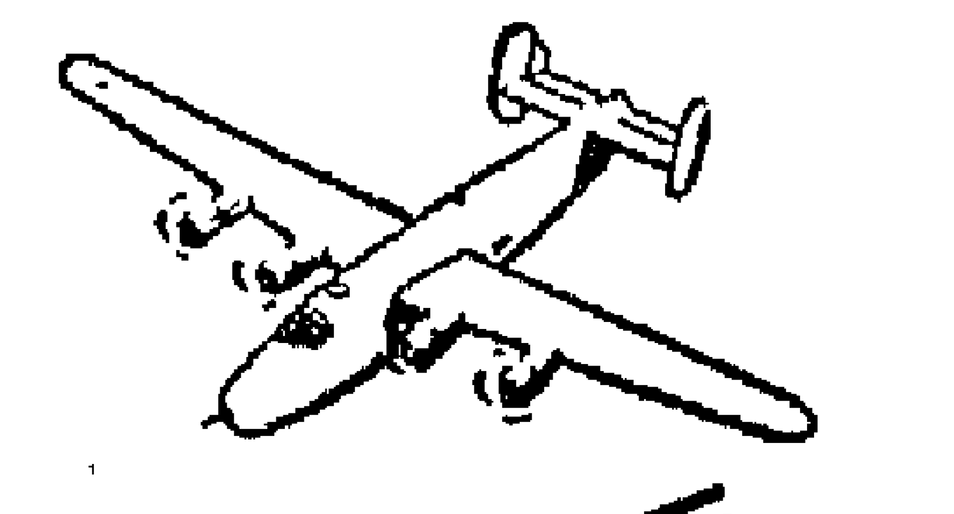
The Studebaker Export Corporation
SOUTH BEND, IND, U. S. A.
Cables: STUDEBAKER

ستوديبيكر يُنتج محركات سيكلون لأجل القلاع الطائرة

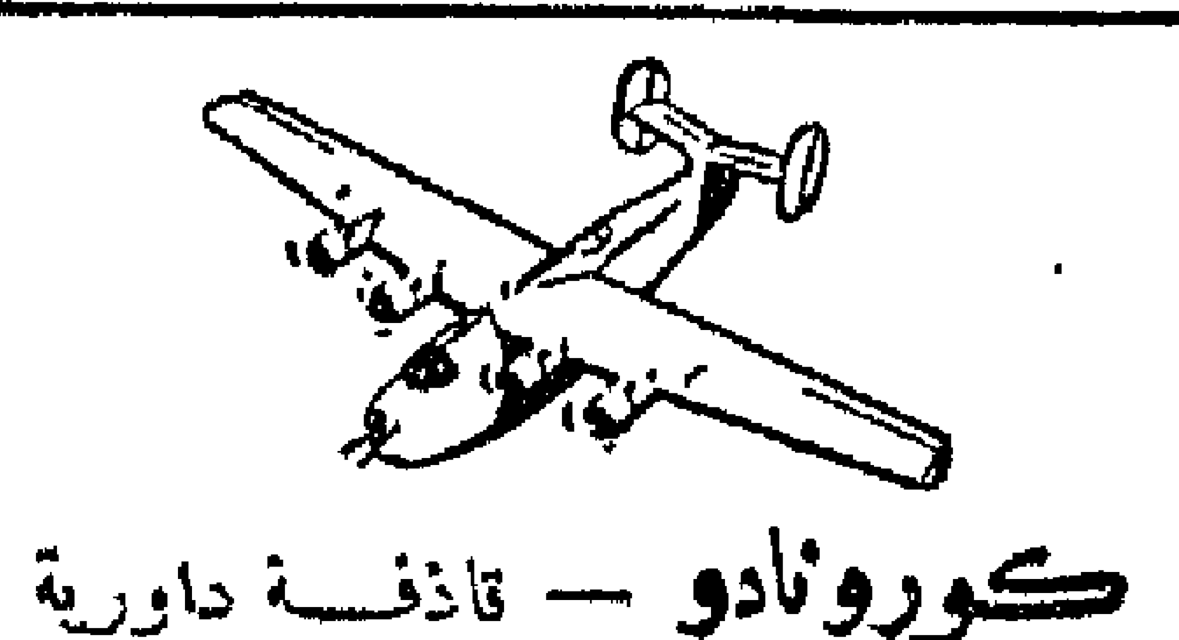
من "الجيب" الطائر إلى سفن الهواء الضخمة



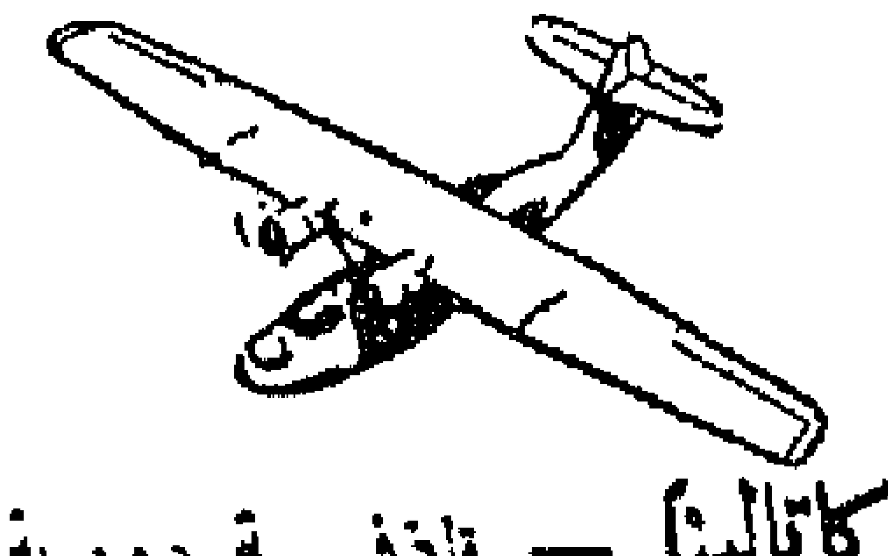
ليبريتور — قاذفة بأربعة محركات



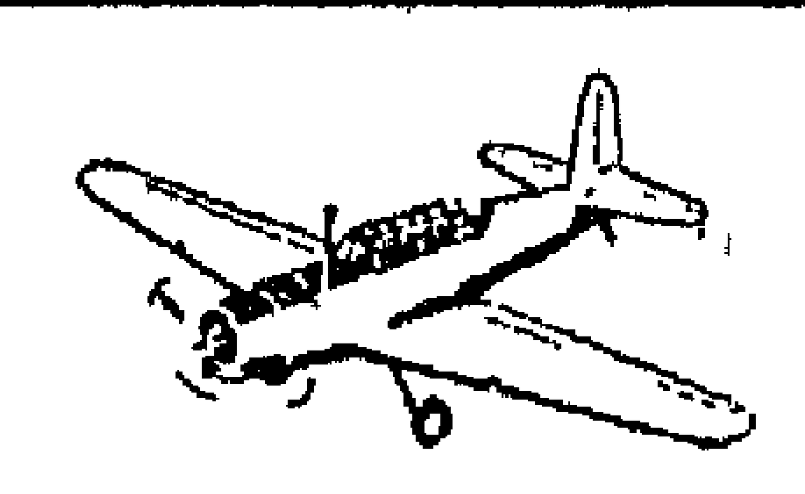
ليبريتور اكسبرس — طائرة نقل



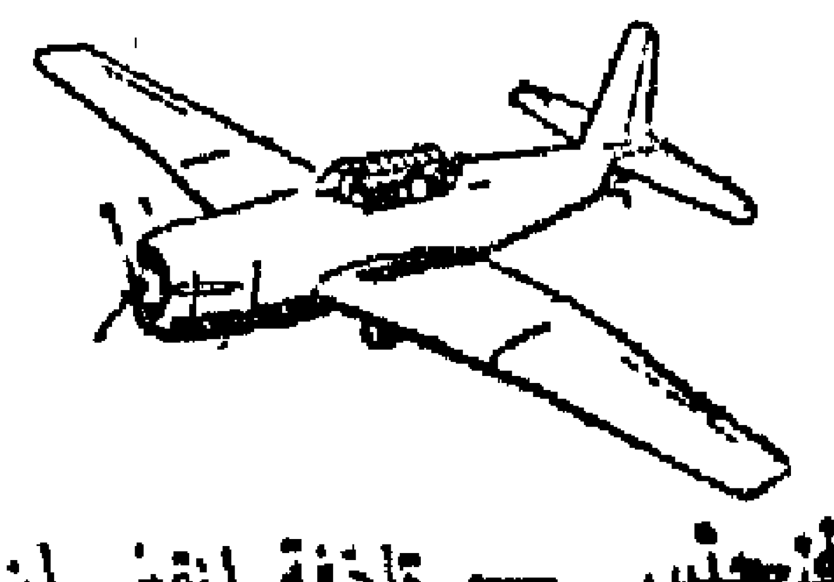
كورونادو — قاذفة داورية



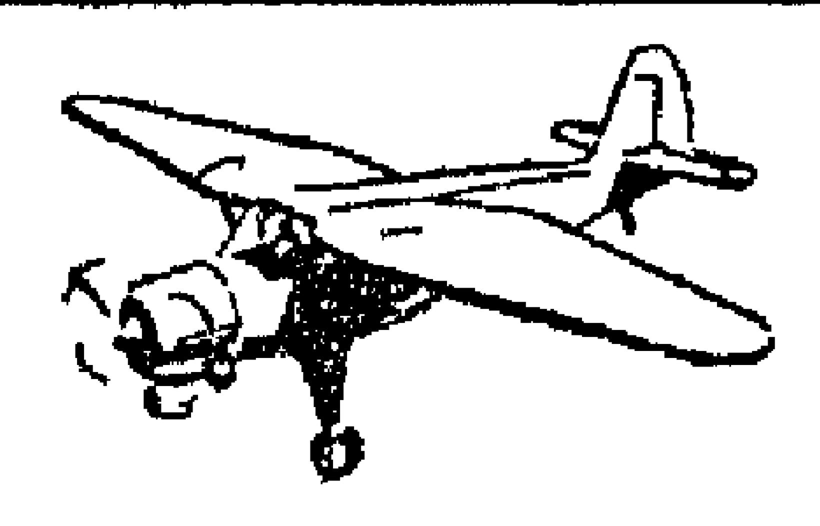
كاتالينا — قاذفة دورية



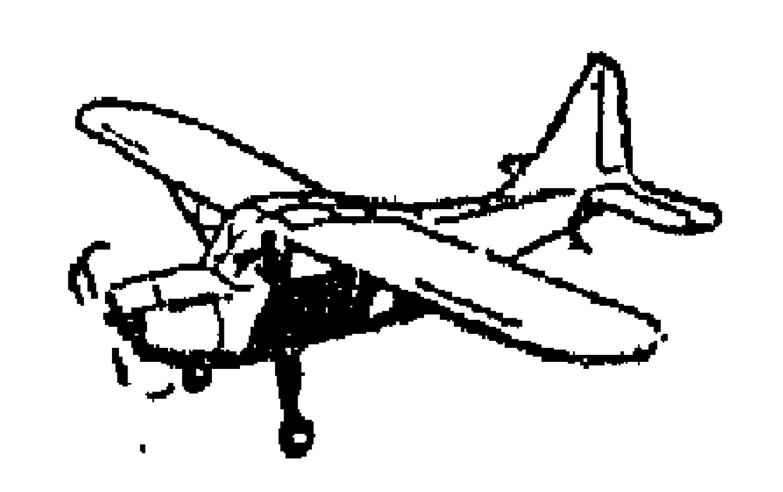
فاليانت — طائرة تدريب أساسية



فنجنس — قاذفة انقضاض



ريليانت — طائرة تدريب للملاحة



ستينل — « الجيب » الطائر

حين نحرز النصر ، ستكون شركة كونسوليديتيد ڤولتي للطائرات قادرة على أن تنتج لعالم ما بعد الحرب ، الطائرات التي تعادل هذه الطائرات ، من الصغيرة التي يملكها أفراد لاستعمالهم الخاص ، إلى الضخمة التي تعبر المحيطات حاملة البضائع والركاب .

CONSOLIDATED VULTEE AIRCRAFT

San Diego, Calif.
Vultee Field, Calif.
Tucson, Ariz.

Fort Worth, Texas
New Orleans, La.
Louisville, Ky.

Wayne, Mich.
Dearborn, Mich.
Allentown, Pa.

Nashville, Tenn.
Elizabeth City, N. C.
Miami, Fla.

عضو في مجلس إنتاج الطائرات الحربية



إن سيارتك الخاصة ، أو سيارة النقل ، او الجرّارة ، لتستطيع أن تخدمك زمناً أطول ، وتكلفك نفقة أقلّ ، إذا رفعتَ عنها العبء الذى تلقيه عليها شموع الاحتراق القذرة أو المتآكلة . فركّب شموع إحتراق شامبيون ، فى فترات منتظمة – فهى تزيد السرعة والقوة ، وهى توفر على الفور ، من الوقود الذى يستهلك ، ما يوفى ثمنها اليسير . إن العالم بأسره يعرف شموع شامبيون ويعترف بأنها شموع احتراق يعتمد عليها لأنها تحفظ المحركات دائرة كأفضل ما يمكن أن تدور

CHAMPION SPARK PLUG COMPANY Toledo, U S A • Windsor, Can • Feltham, Eng.

حتى قبل أن تنشب الحرب
قدمت لك
ثلاجة فيلكو



هذا التصميم السبّاق

حجرة كاملة منفصلة للتخزين المبرد علاوة على حجرة مكعبات الثلج

واليوم يحق لجميع الذين يملكون ثلاجات فيلكو ، أن يهنئوا أنفسهم على حسن اختيارهم . لأن فيلكو ، قدم قبل الحرب نوعاً جديداً تام الجدة من الثلاجات يحتوى على حجرة منفصلة كبيرة « للتخزين المبرد » حيث يمكن أن تحفظ جميع أصناف الطعام ، مدى أسابيع ، على درجات من البرودة تحت درجة التجمد . وهذه صفة مميّزة ، وهي مثل واحد على هذا التصميم السباق ، الذى أدخله فيلكو فى صناعة الثلاجات .

وغداً تحت تأثير تصميم فيلكو السباق ، ستكون الثلاجة أجل وأكثر نفعاً ، وأيسر استعمالا فى البيت . وثمة ، أفكار جديدة تنتظر أن تبحث وتستغلّ ، حين يعود مهندسو فيلكو ، من معامل أبحاث الحرب . فترقّب فيلكو فى ميدان صناعة الثلاجات ، بعد الحرب ، فستجد أدلة جديدة على التقدم الهندسى ، الذي جعل من اسم فيلكو رمزاً للسبق ، على مرّ السنين .

فيلكو
المشهور بالجودة فى جميع أنحاء

CO INTERNATIONAL CORPORATION, 230 Park Avenue, New York, U.S.A.

الشمالية النائية فى أقصى فنلندة ، فإن تلك الشعلة المتوهجة التى تضيء لنا أيامنا ، تخلف وراءها ، إذا آذنت بمغيب ، ضياء الليل الذى يكفل لنا من الضوء ما يعيننا على القراءة ، فمن أجل ذلك يتسع لنا جميعاً من الوقت ما لا يجعل أحداً يلجف فى طلبها حتى يتصفحها .

وفى « وادى الحجارة » ، فى المكسيك ، شاهدت ما يشبه أن يكون غارة على المكتبة كلما وصلت أعداد ريدرز دايجست . ولا أدرى بأية حيلة كان غيرى يظفر بنسخته ، أما أنا فكنت أرشو زوجة صاحب المكتبة كل شهر بزهرة أوركيد أقطفها من حديقتى . ومما يعزى النفوس ، فى هذا الزمن الذى تقام فيه الحواجز العظيمة بين الأمم ، أن تعلم أن هناك دافعاً ملحًّا يدفع الناس إلى أن يتبادلوا الأفكار ، وأن يهتدوا إلى أساس مشترك ييسر لهم أن يتفاهموا ويحترم بعضهم بعضاً .

فى منتصف الحرب الماضية كتبت « سلمى لاجرلوف » قصة عنوانها « ضباب » ، وهى قصة رجل اعتزل الناس ، حتى لا يشعر بتباريح العذاب والبلاء التى أنزلتها الحرب بالإنسانية ، ولكنه جن فى عزلته التى رماه إليها جُبْنه . وهذا المصير أو نحوه ، هو قدر مقدور على كل من يحاول اليوم أن يعيش معتزلا ولا هم له إلا نفسه .

كلا ! بل ينبغى أن نعيش ، وأن نكافح تحت ظلال القوة الروحية المسيطرة التى تصوغ مستقبل العالم . فعلى كل منّا أن يبذل معونته على طريقته و بقدر طاقته ، فى هذا التحول العظيم المفضى إلى مجتمع من الناس تكفل فيه حرية الناس وحرية الراى .

ولكن هذا المجتمع من الآراء ، أو من الناس ، أو من الأمم — يتطلب أساساً من حسن التفاهم بين من سيؤلف بينهم هذا المجتمع . ومن أجل ذلك أبعث إلى « المختار » من ريدرز دايجست أمنيةً من صميم القلب : « اللهم افتح الأبواب المغلقة لهذا الداعى إلى الوحدة ، الحامل لتلك المعانى النبيلة الكريمة التى إذا ألقى سرها فى نفوس الناس والأمم ، آتت أكلها ثمرات جنية من الحرية والعدل والتقدم » .

إلى جهات الأرض الأربع

اديثا موريس • مؤلفة سويدية مشهورة ورحالة عالمية

وقع لى أمر غريب عجيب ، وأنا على مشارف الصحراء الكبرى . كنت وحدى ، وليس معى شىء ، حتى ولا كتاب أخالف به بين الساعات المتوالية الطويلة المملة . وجاء يوم فإذا ناسك وقور من المسلمين يدعونى إلى شرب القهوة عنده ، ولم يكن ذكره القهوة إلا استدراجاً ، أما حقيقة ما كان يبتغيه فهو أن يتيح لى أن أرى مجموعة مطبوعاته ، رجاء أن أضيف إليها شيئاً . ففى تلك النفس الخاشعة ، لم تزل تضطرم شعل من الرغبة فى اقتناء كل ضرب من المطبوعات التى تنالها يده من جود زواره القلائل .

وأضاء الزهو وجهه وهو يرينى أنفس ذخائره : تقويمان لوحتهما الشمس وقوست جلودها ، ونتيجة . . . وأول نسخة من ريدرز دايجست وقع عليها بصرى فى حياتى . فناولنيها وهو يقول : « هذه أنفس ذخائرى ولكننى لا أستطيع أن أقرأها » . ثم نفخ التراب عن أوراقها برفق وقال : « خذيها . إنك تستطيعين أن تقرأيها » .

ولست أدرى كم مئة من ريدرز دايجست قد قرأت منذ ذلك اليوم . ونزلت فى خان عتيق نزل فيه من قبل ألفريد ده موسيه ، وجاءتنى امرأة عربية تقول وقد ضاق صدرها : « سيدتى ، لقد قرأت نسختك من ريدرز دايجست ثلاث مرات ، أتراك ستقرئينها من أولها إلى آخرها مرة رابعة أم تراك ستتكرمين فتدعينها ليقرأها سائرنا ؟ »

وفى صيف سنة ١٩٣٩ وجدت فى نزل صغير فى بتسامو نسخة من ريدرز دايجست يغطيها قشر السمك ، خلفها وراءه صياد إنجليزى . ومن حسن الحظ أن لم يكن من الضرورى أن نتنازع على هذه المجلة الصغيرة فى تلك الأصقاع

مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية